

مجلة

مركز البحوث والدراسات الأفريقية

الموقف الإقليمي والدول
بعد مقتل الرئيس التشادي
إدريس ديبي

جهود الشيخ أحمد قمر الدين
في الحفاظ على الهوية
العربية في جزر القمر

قراءة للمعايير والضوابط الدولية
والإقليمية للنظام الانتخابي
في ليبيا

رؤى أفريقية حول مسألة
الحكم الثنائي للسودان
مقارنة منهجية





مجلة البحوث والدراسات الأفريقية

مجلة فصلية بحثية محكمة تعنى بقضايا ومشكلات القارة الأفريقية

تصدر عن مركز البحوث والدراسات الأفريقية - طرابلس ليبيا

رئيس المركز: د. أحمد الشيباني

المشرف العام: أ. محمد سالم بن سعيد

رئيس التحرير: أ.د فتحي مفتاح سليمان خليفة

مدير التحرير: أ. عز الدين مختار فكرون

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إيدير مصطفى أغنيات د. عمر إبراهيم المنشاز

د. طه محمد والي د. ناصر ساسي الطويري

د. يحيى عمر القويضي د. عبد السلام ولد يحيى

إخراج وضبط: د. رمضان بشير امحمد

اللجنة الاستشارية

أ.د مفتاح بلعيد غويطة (ليبيا) أ.د محمد المختار جي (السنغال)

أ.د الأمين عمر أوفارس (ليبيا) أ.د أمينة العريمى (الإمارات)

أ.د فتحي عمر نصار (فلسطين) أ.د فتحي محمد أميمه (ليبيا)

أ.د سمير أبو زويتة (المغرب) أ.د عبد القادر التومي (الجزائر)

أ.د. حامد الشريف بركان (ليبيا) أ.د. مارين الكسندر مارينوف (بريطانيا)

د. رمضان بشير امحمد (ليبيا)

الآراء والأفكار الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

والمجلة ترحب بمناقشة تلك الآراء وإثرائها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ أَنشَأَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغَمَرَكَهُ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوكَ
ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾

جزء من الآية ﴿61﴾

من سورة هود

الفهرس

الصفحة	المؤلف	الموضوع	ر.ت
هـ	رئيس التحرير	الافتتاحية	*
1	أ.محمود المهدي الغتمي	الموقف الإقليمي والدولي بعد مقتل الرئيس التشادي إدريس ديبي	.1
40	د. صالح محروس محمد	دور بريطانيا في محو الهوية العربية والإسلامية للغة السواحيلية	.2
65	د. وائل نبيل إبراهيم عثمان	الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من الوجود البرتغالي كما صورته الشعر السواحيلي	.3
91	د. ابراهيم برمة أحمد	تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بأفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين	.4
121	د. إسماعيل حامد إسماعيل علي	إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب إفريقيا	.5
164	د. طه محمد والي أ. عز الدين عبد الحفيظ أبوشينة	قراءة للمعايير والضوابط الدولية والإقليمية للنظام الانتخابي في ليبيا	.6
195	أ. أبو بكر سالم الصداقي د. ناصر ساسي طويري د. عز الدين زلي حشلوف	التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)	.7
220	د. أحمد ابن محمد طويل بن عبد الله الخطيب	جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر	.8
237	د. عبد الله محمد العوض د. ياسر عبد المحمود حامد التهامي و د. كمال أبو القاسم عثمان مصطفى	الآثار الاقتصادية والبيئية والصحية لأشجار المسكيت بدلتا طوكر	.9
269	أ.د. فتحي حسن نصار	صفحات مطوية من نضالات ومعاونة الحركة العمالية العربية الفلسطينية أثناء الانتداب البريطاني (1917-1946)	.10
285	أ.د. أحمد عبد الدايم محمد حسين	رؤى افريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونومي)	.11

الافتتاحية

تعد القارة الأفريقية من أكثر القارات التي تتمتع بخصائص ومقدرات وموارد طبيعية، وأصبحت تشكل حضوراً ومكانةً مهمة على الساحة والمساحة الإقليمية والدولية، وعلى الرغم مما تتمتع به من ثروات وإمكانيات، فإنها لم تبلغ نهضتها وتطورها نظراً لما شهدتها من تأمر وتكاليف وتنافس دولي منذ فترة طويلة، وأن هذه الأطماع متعددة الاتجاهات والأهداف كان في أولوياتها الحصول على مواردها الهامة، وجني مقدراتها، ونهب ثرواتها التي يفنقر إليها العديد من الدول وخاصة الدول الغربية، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية، فبدأت الدول الآسيوية كالصين والهند واليابان تسبع لنفسها المجال للمنافسة وبكل قوة وإمكانيات، حتى استطاعت أن تجد لنفسها موطأ قدم داخل القارة، بمداخل أفريقية شبه بالاحتلال الاقتصادي، ومع ندرة الدراسات والأبحاث في هذا الشأن سنجح لمجلة مركز البحوث والدراسات الإفريقية، قبول الدراسات الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وفتح مجال ضمن إصداراتها المتميزة، لتسهم وتكون منبراً لطرح الرؤى والأفكار والأبحاث والدراسات الأكاديمية العلمية، بعلمية ومهنية عالية تساهم بقدر عالٍ، وفاعلية حقيقية في تعزيز واقع القارة الأفريقية بالمعرفة، بل وتسعى المجلة لتنبؤاً مكانها الطبيعي، ولتكون صرحاً علمياً لخدمة البحث والباحثين، وملاذاً آمناً لتعزيز جهد الأكاديميين من أبناء القارة، وهذا ما ستجده بين مضامين محتوى هذا العدد الذي تناول العديد من الأبحاث والدراسات والرؤى المختلفة لقضايا القارة الأفريقية، إن مجلة البحوث والدراسات الإفريقية، الصادرة عن مركز البحوث والدراسات الإفريقية طرابلس ليبيا، تقدم مجهودات وخلصات الباحثين في مختلف الحقول المعرفية، وهي نتاج لقراءتهم وتفاعلهم مع الإشكالات المطروحة عليهم في إبانها، وهي أيضاً تعبر عن الهم العلمي الذي يحمله الباحث الإفريقي حول القضايا

المطروحة على الفضاء الإفريقي، والرغبة في فهم هذه الإشكالات، بل في طرح بدائل واقتراحات من شأنها أن تمكن إفريقيا من سلك درب التنمية الحقيقي.

والأکید أن وضع إفريقيا على سكة التنمية الجلية من بين ما يقتضيه الإيمان بمواردها البشرية، وعلى رأسهم القائمين على البحث العلمي في جودة التعليم والتكوين، والتكنولوجيا، وطرق الإنتاج، والصحة، وتديبير المجال والشأن العام، وغيرها من المجالات الحيوية للقارة، تلكم هي الرؤية التي نسعى إلى تقديمها في هذا العدد وغيرها من الأعداد القادمة، ويحدونا الأمل إن شاء الله في أن تحظى المجلة برعايتكم الفانقة ودعمكم اللامحدود، وذلك من خلال طرح المزيد من أفكاركم النيرة الصائبة الثاقبة، لتطويرها وصولاً ثم بلوغاً لنشر المعرفة؛ لذلك فنحن فخورين بالنتيجة التي حصلنا عليها من نشر العلم والمعرفة وتعميم الإفادة والاستفادة على جموع المهتمين بالشأن الإفريقي، ومن هنا ندعو كل الأكاديميين والباحث المتخصصين .. إلى إغناء المجلة من خلال إرسال بحوثهم ومقالاتهم ودراساتهم العلمية في مجال الدراسات والبحوث الإفريقية، في كل التخصصات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبجميع اللغات سواء العربية أو الفرنسية أو الانجليزية، وفي الأخير نسعى لأن تكون المجلة متنفساً للأقلام الإفريقية .

رئيس التحرير

مقالات العدد الرابع عشر

فبراير 2022



الموقف الإقليمي والدولي بعد مقتل الرئيس التشادي إدريس ديبي

■ أ. محمود المهدي الغتمي
المركز الليبي للأبحاث والدراسات

الملخص:

تناقش هذه الورقة في الأساس التطورات التي حصلت في تشاد بعد مقتل الرئيس إدريس ديبي يوم 20 أبريل 2021م على يد فصائل متمردة في شمال البلاد، وسوف أتناول فيها الموقف الإقليمي، لا سيما موقف الدول المجاورة لتشاد مثل ليبيا، والنيجر، والسودان إزاء التطورات والأزمات التي يمكن أن تتجم وتعاينها تلك الدول إذا أخذت الأمور منحى سلبياً في تشاد، وكذلك موقف فرنسا في الأحداث قبيل وبعد مقتل إدريس ديبي وفي تنصيب ابنه رئيساً للمجلس العسكري الانتقالي، وما الدور الذي قامت به بوصفها الدولة الأكثر ارتباطاً بتشاد بحكم الخلفية الاستعمارية السابقة، وأخيراً تناقش الورقة موقف الاتحاد الأفريقي وإرساله بعثة تقصي حقائق إلى أنجamina بعد الحادثة للتحقيق في مقتل الرئيس ديبي، وهل يختلف تعاطي الاتحاد الإفريقي مع الأزمة في تشاد عن مثيلاتها في دول أفريقية عدّة من قبل، أم أنه تعامل مع القضية بازواجية المعايير؟

توطئة:

منذ يوم 20 أبريل 2021م عندما قُتل إدريس ديبي أثناء مواجهة مع مسلحين من المعارضة قادمين من جنوب ليبيا، لم تُعد الأوضاع كما كانت عليه في منطقة الساحل الأفريقي، وهي المنطقة التي تمتد من المحيط الأطلسي غرباً



إلى سواحل البحر الأحمر شرقاً، وتشكل أهمية استراتيجية لكل القوى الدولية منذ تسعينيات القرن الماضي، ومنطلقاً لمحاربة الجماعات الإرهابية، وعصابات تهريب المخدرات، والأسلحة، والبشر، وقد كانت تشاد في عهد إدريس ديبي (1990-2021م) قاعدة مهمة في محاربة الإرهاب وكبح جماح الجماعات المتطرفة التي كانت تسعى لأن يكون لها موطأ قدم في تلك المنطقة بعد الاضطرابات التي شهدتها مالي، وليبيا.

وقد أثرت الأوضاع الجديدة في تشاد بعد مقتل الرئيس إدريس ديبي على المنطقة بأسرها، لا سيما أنه يوجد في تشاد ثلاث قواعد فرنسية واحدة في أنجamina، والثانية في أبشّة (العاصمة الاقتصادية)، والثالثة في فايلالارجو، ولهذا نجد أن فرنسا لها دور أساسي في معظم ما يجري في تشاد حفاظاً على مصالحها الاقتصادية، والعسكرية، والأمنية هناك، وتعزيزاً لنفوذها التاريخي في منطقة جنوب الصحراء الكبرى، وسوف تناقش هذه الورقة الموقف الإقليمي والدولي وكيفية تعاطيه مع الأزمة في تشاد، ومدى تأثير دول جوار تشاد وهي: ليبيا، والنيجر، والسودان بما يحصل هناك، وسنتطرق لدور فرنسا بوصفها القوة الاستعمارية السابقة التي مازال لها نفوذ كبير في تشاد وفي المنطقة بأسرها، ومدى تدخلها في الأزمة التشادية، وأخيراً سنتناول هذه الورقة تفاعل الاتحاد الأفريقي مع هذه الأزمة وتعامله الدبلوماسي معها الذي أثار جدلاً كبيراً، وسيستخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج التحليلي، وسأقسم الورقة إلى ثلاثة محاور.

أولاً: موقف دول الجوار (ليبيا، والنيجر، والسودان) من التطورات في تشاد.



ثانياً: الدور الفرنسي في التطورات الأخيرة في تشاد قبيل وبعد مقتل الرئيس إدريس ديبي.

ثالثاً: موقف الاتحاد الأفريقي (الحالة التشادية وازدواجية المعايير).

أولاً: موقف دول الجوار (ليبيا، والنيجر، والسودان) من التطورات في تشاد:

ليبيا:

ترتبط ليبيا وتشاد بحدود برية يبلغ طولها نحو 1050 كم، وقد اندلع نزاع بين البلدين بسبب التنازع على ملكية الشريط الحدودي "أوزو" الذي تبلغ مساحته 114 ألف كلم²، وهو شريط غني باليورانيوم والنفط، وغيرهما من الثروات المعدنية، وقد سيطرت القوات الليبية على هذا الإقليم الاستراتيجي في سنة 1973م، وأخذ النفوذ الليبي يتسع تدريجياً إلى أن احتلت القوات الليبية العاصمة أنجamina في سنة 1981م⁽¹⁾، إلا أن الدعم الفرنسي، والأمريكي، والسعودي، والمصري، والعراقي الذي تلقته القوات التشادية، بتنسيق تام من فرنسا حفاظاً منها على مصالحها التاريخية في هذه المستعمرة الفرنسية السابقة، ولإيقاف النفوذ الليبي المتزايد في أفريقيا أدى في نهاية المطاف إلى انسحاب القوات الليبية من الأراضي التشادية سنة 1987م، وقد أحيل النزاع الحدودي بين البلدين إلى محكمة العدل الدولية، وصدر الحكم في سنة 1994م لصالح تشاد، ويمكن أن نقول بأن طبيعة العلاقات الليبية- التشادية قد شهدت تغييراً



إيجابياً كبيراً بمجرد وصول الرئيس "إدريس ديبي" إلى السلطة في سنة 1990م⁽²⁾، باعتباره يملك علاقات متميزة مع العقيد القذافي، وكان يُعرف أحياناً بأنه رجل ليبيا في تشاد، لا سيما ما يربط بين البلدين من علاقات اجتماعية واقتصادية كبيرة، فقد هاجر الألاف من الليبيين من قبائل القذافنة، وأولاد سليمان، وورفلة، والحسون، وغيرهم إلى تشاد في أكثر من موجة في العهد العثماني، وفي فترة الاحتلال الإيطالي⁽³⁾، واستقرت معظم تلك القبائل في شمال تشاد، ما خلق روابط اجتماعية كبيرة بين الشعبين تمتد إلى يومنا هذا، واستمرت العلاقات بين ليبيا وتشاد مستقرة طوال فترة وجود الرئيس "إدريس ديبي" على رأس السلطة، وكانت ليبيا خلال فترة حكم العقيد القذافي أهم دولة جوار مؤثرة في تشاد، وتحولت إلى وسيط إقليمي مهم جداً يقوم بدورٍ فاعل في مفاوضات السلام بين نظام الرئيس "إدريس ديبي" من جهة، وبين المعارضة من جهةٍ أخرى⁽⁴⁾ التي اتخذت من المنطقة الممتدة بين تيبستي في جنوب ليبيا إلى الحدود التشادية مقراً لها، وكانت كل تحركاتها في تلك المنطقة الواسعة مرصودة تماماً من أجهزة الدولة الليبية، بل وكانت معظم تجهيزاتها وتسليحها

- 1- عز الدين موسى صالح عقيلة، النزاع الحدودي الليبي - التشادي 1973-1995م، رسالة ماجستير مقدّمة إلى قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، سنة 2017م، غير منشورة، ص 1.
- 2- المرجع نفسه، ص ص 7-9.
- 3- سعيد عبدالرحمن الحنديري، المسارات والتوطن والعودة، "المهاجرين الليبيين في بحيرة تشاد منذ 1928م، في كتاب: الشيخ حمد سيف النصر حياته وجهاده، 1869-1954م، أعمال الندوة الثانية المنعقدة ببيت الثقافة - الزاوية الغربية يوم 04 أكتوبر 2015م، منشورات مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، ط1، 2017م، ص ص 270-276.



تأتي من السلطات الليبية نفسها!، وأفلح العقيد القذافي في أكثر من مرة في إقناع المعارضة بالجلوس على طاولة المفاوضات لحلّ بعض الأزمات بينها وبين الرئيس "ديبي"، غير أن السلطات الليبية لم تكن تعمل بكل جد وشفافية على الضغط على المعارضة لتنفيذ بنود تلك الاتفاقيات الناتجة عن المفاوضات، كما كانت ليبيا غير مرتاحة للمساهمات الإقليمية أو الدولية الهادفة إلى استقرار الأوضاع في تشاد⁽⁵⁾، ويعتقد الباحث بأن هذه السياسات المتناقضة التي كان يمارسها العقيد القذافي تهدف إلى ضمان تعزيز نفوذه الواسع في تشاد ومنطقة الساحل الأفريقي برمتها، فورقة المعارضة التشادية يحركها كيف ما شاء، وفي أي وقت يراه مناسباً ضد نظام "إدريس ديبي"، وقد استمرت الأوضاع على ما هي عليه بين ليبيا وتشاد إلى أن قامت ثورة 17 فبراير 2011م في ليبيا وأدت إلى مقتل العقيد معمر القذافي في يوم 20 أكتوبر من العام نفسه، وسقوط نظامه بالكامل، وبعد هذا التاريخ تغيرت ملامح العلاقات الليبية التشادية بدرجة كبيرة، لا سيما مع الفراغ الأمني والعسكري في ليبيا الناتج عن عدم الاستقرار الذي عرفته البلاد منذ ذلك التاريخ، ومع انهيار معظم أجهزة ومؤسسات الدولة، والانقسام السياسي الذي طرأ بعد حرب فجر ليبيا في شهر يوليو 2014م التي زادت الأوضاع سوءاً، اختلّت هنا موازين القوة بشكل كبير بين ليبيا وجيرانها، وشهدت المنطقة تحالفات جديدة هدفت إلى زيادة نفوذ دول الجوار في الأراضي

4- ليبيا/ تشاد، ما وراء النفوذ السياسي، مقال في موقع مجموعة الأزمات الدولية، <https://www.crisisgroup.org>، تاريخ الدخول: 2021/07/01م، الساعة: 12:05.

5- ليبيا/ تشاد، ما وراء النفوذ السياسي، مقال في موقع مجموعة الأزمات الدولية، <https://www.crisisgroup.org>، تاريخ الدخول: 2021/07/01م، الساعة: 12:05.



الليبية بسبب الأهمية الجيوسياسية لموقع ليبيا وثرواتها الطبيعية، وقد لعبت فرنسا في هذا الملف دوراً رئيساً في محاولة منها لبسط نفوذها على المنطقة الجنوبية من ليبيا وهي التي كانت تحتلها بشكل مباشر منذ الحرب العالمية الثانية إلى أن خرجت القوات الفرنسية بعد انتهاء الانتداب الفرنسي على إقليم فزان جنوب ليبيا يوم 01 ديسمبر 1956م، بعد مفاوضات شاقة خاضتها حكومة مصطفى بن حليم، توجت بتوقيع اتفاقية الصداقة وحسن الجوار بين المملكة الليبية المتحدة وفرنسا يوم 10 أغسطس 1956م⁽⁶⁾، وتحولت منطقة فزان إلى مرتع لعصابات تهريب البشر، والهجرة غير القانونية، وتجارة المخدرات، وتهريب الأسلحة، وفضاء كبير لحركة الجماعات المتطرفة، والإرهابية، غير أنه رغم هشاشة الأوضاع الأمنية في تلك المنطقة مترامية الأطراف لم تتمكن التنظيمات الإرهابية مثل تنظيم الدولة في بلاد الغرب الإسلامي، أو الدولة الإسلامية، وغيرهما من الحصول على أي قاعدة ثابتة لهما في أي منطقة من فزان⁽⁷⁾.

وتعد قوات المعارضة التشادية لنظام الرئيس "إدريس ديبي" من أهم الجماعات المنتشرة في منطقة فزان بعد ثورة 17 فبراير، وهي لاعب رئيس في تلك المنطقة، وبسبب الامتدادات القبلية والعرقية، والاجتماعية لبعض القبائل المنتشرة في أقصى جنوب ليبيا، فقد ازداد عدد الأفراد والجماعات

6- انظر، مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي،، (د.ن)، (د.م)، 1992م، ص ص 288-303.

7- فقدان الأمن وتحديات الحكم في جنوب ليبيا، مقال منشور على موقع مركز كارنيغي، <https://carnegie-mec.org> تاريخ الدخول: 2021/06/30، الساعة: 21:15.



القادمين من تشاد واستقروا في منطقة فزان، بل وتحولت مناطق ومدن بالكامل لم يكن لهم فيها أي امتداد مثل مرزق، وأم الأرانب، ووادي عتبة وغيرها إلى مناطق يسيطر عليها أفراد وجماعات قادمين من تشاد بقوة السلاح، ويقدر بعض المراقبين عدد المهاجرين من دول جنوب الصحراء الذين سكنوا جنوب ليبيا بعد ثورة 17 فبراير بنحو ربع مليون⁽⁸⁾، فمدينة مثل مرزق التي كانت عاصمة إقليم فزان فيما مضى وملتقى لأهم طرق القوافل والتجارة، وهي مدينة ذات موقع استراتيجي مهم، والأهم من ذلك هو ما تمثله مرزق من أهمية كبرى في مجال الطاقة، فهي تضم واحد من أهم الأحواض النفطية في أفريقيا، وكذلك تعوم على مخزون هائل من المياه الجوفية العذبة، ويوجد بالقرب منها حقل الشرارة النفطي أكبر الحقول في ليبيا⁽⁹⁾، وقد ارتكبت قوات المعارضة التشادية ومن تحالف معها من العصابات وقطاع الطرق في مرزق أعمالاً ترقى إلى جرائم حرب ضد السكان الأصليين، وقاموا بتهجيرهم بشكلٍ كامل، واحتلوا المدينة أمام أنظار الحكومتان العاجزتان في طرابلس وبنغازي، ما جعل الأمر ينذر بتحول ديموغرافي خطير.

8- هذه الإحصائية قدّمها السيد/ سعد بن شرادة عضو المجلس الأعلى للدولة في ليبيا، وأثار أيضاً هذه المخاوف من تغيير ديموغرافي قادم في جنوب ليبيا السيد/ مفتاح بو خليل عميد بلدية الكفرة، انظر مقال منشور في موقع سبوتنيك العربي، <https://arabic.sputniknews.com> تاريخ الدخول: 2021/06/28م، الساعة: 11:25.

9- كريمة ناجي، مساع إلى إحداث تغيير ديموغرافي في جنوب ليبيا، المعارضة التشادية تنشط للتوسع السكاني والاقتصادي، مقال منشور في صحيفة اندبندنت عربية، <https://www.independentarabia.com> تاريخ الدخول: 2021/07/01م، الساعة: 20:30.



وكاد أن يتكرر المشهد المأساوي نفسه في مدينة الكُفرة في الجنوب الشرقي من ليبيا، وهي أيضاً مدينة تحظى بأهمية زراعية، وبنفطية، ومائية، وثقافية، واقتصادية كبرى، فقد كادت أن تسيطر عليها عصابات مدعومة من قوات المعارضة التشادية بعد اشتباكاتٍ دامية استمرت لأكثر من عامين في فترات متقطعة، وكذلك شهدت مدينة الكُفرة في سنة 2016م اشتباكات بين الأهالي ضد ميليشيات من "حركة تحرير السودان"، و"حركة العدل والمساواة" (10). وكل هذه الأمور جعلت قوات المعارضة التشادية والتي تنتمي لعدة تشكيلات، وجهات، وتنظيمات منتشرة في جنوب ليبيا قضية حساسة جداً للأمن القومي الليبي، وكذلك لدول الجوار وأهمها تشاد التي توجه هذه الحركات نشاطها نحوها، بهدف إحداث تغيير سياسي هناك، ويمكن أن نذكر هذه التشكيلات والتنظيمات للتوضيح:

- 1- حركة من أجل الديمقراطية والعدالة في تشاد MDJT : وهي تتكون من قبائل التبو غير الليبيين بالدرجة الأولى، وتأسست في جبال تيبستي.
- 2- جبهة الوفاق من أجل التغيير في تشاد: تتمركز قوات هذه الجبهة بالقرب من مدينة سبها وبلدة أم الأرانب، ويقودها الدكتور مهدي علي محمد، والجنرال محمد نوري.
- 3- المجلس العسكري لإنقاذ الجمهورية CCMSR: وهو من أهم التشكيلات المعارضة التي تضم الآلاف المقاتلين، ويقوده أبكر شريف عيسى.

10- الجنوب المستباح: منافذ ومهابط للتهريب وانتشار العصابات والجماعات المسلحة، مقل منشور في موقع بوابة الوسط، <http://alwasat.ly> / تاريخ الدخول: 2021/07/02م،



4- تجمع القوى من أجل التغيير في تشاد RFC: ويغلب على المنتمين لهذا التجمع انتمائهم لقبائل الزغاوة وهي القبيلة التي ينتمي لها الرئيس الراحل إدريس ديبي، ويتمركز مقاتلوه في مواقع بجنوب سبها، ويقود هذا التجمع تيمان أردمي وهو مقيم في قطر منذ عشر سنوات.

وبعد ثورة 17 فبراير وانهيار المؤسسة العسكرية والأمنية في ليبيا، تمددت كل تلك الحركات، والجبهات المعارضة التشادية في الجنوب الليبي، وبدأت تسيطر على المنطقة الممتدة من بلدة تمسة (جنوب سبها بنحو 150 كلم) وإلى الحدود التشادية بشكل شبه كامل، ويقع تحت نفوذها قاعدة الويغ الجوية، وقاعدة الواو الجوية، وتمارس كل أعمال الحراية، والنهب، والإجرام والقتل ضد كل من يحاول الوقوف ضدها من السكان الأصليين، وبعد مقتل الرئيس التشادي يوم 20 أبريل 2021م في شمال تشاد على يد قوات تشادية معارضة قادمة من ليبيا، فإن الأوضاع في جنوب ليبيا أصبحت تنبئ بأن الأمور هناك خارج السيطرة، وهو يشكل ضربة قوية للاستقرار الهش في ليبيا، مما أثر على دول الجوار أيضاً بعد هذه الحادثة الخطيرة⁽¹¹⁾، وأصبح الأمر يتطلب تكاتف جهود كل مؤسسات الدولة لإعادة السيطرة على الجنوب الليبي، وفي خطوة أولى بعد حادثة مقتل الرئيس التشادي "إدريس ديبي" صدر يوم 21 أبريل 2021م تكليف من القائد الأعلى للقوات المسلحة الليبية الدكتور محمد يونس

الساعة: 13:00.

11- رشيد خشانة، اضطراب الأمن في تشاد يُربك مسارات السلام في ليبيا، مجلة شؤون ليبية، مجلة مستقلة تُعنى بالدراسات حول ليبيا المعاصرة تصدر في تونس، العدد 20، مايو-يونيو 2021م، ص ص 5-8.



المنفي موجه إلى جميع الوحدات العسكرية المتواجدة بالجنوب الليبي أمر فيها بالآتي:

- 1- تتخذ الإجراءات الفورية بتأمين وحماية الحدود الليبية الجنوبية والتعامل مع أي أهداف معادية مع إبلاغنا بتطورات الأوضاع لحظة بلحظة.
- 2- تراعى أقصى درجات الحيطة والحذر والاستعداد للتعامل مع أي طارئ في حينه(12).

وانسجاماً مع تفاعل السلطات الليبية مع مقتل الرئيس التشادي "إدريس ديبي" وخطورة الوضع المحتمل في تشاد المترتب على ذلك الحادث، صدر بيان مشترك لقادة دول: ليبيا، وجمهورية السودان، وجمهورية النيجر في يوم 22 أبريل 2021م، أعربوا فيه عن قلقهم العميق إزاء الأوضاع التي تشهدها جمهورية تشاد، وأنهم يتابعون باهتمام بالغ تطورات الأحداث هناك، وأشادوا في البيان بالدور المهم للرئيس الراحل "إدريس ديبي" في تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة، ودعوا الأشقاء في تشاد إلى تغليب مصلحة بلادهم وانتهاج الحوار، وممارسة ضبط النفس، وإقامة حوار وطني بين الأطراف المختلفة في تشاد، كما جددوا حرصهم في البيان على تكثيف الجهود لدعم التعاون الأمني ومراقبة الحدود المشتركة وتوطيد السلام والاستقرار وحسن الجوار، ووجهوا دعوة لمجلس السلم والأمن الأفريقي PSC إلى ضرورة عقد

12- تكليف القائد الأعلى رقم (11) الصادر بتاريخ 21 أبريل 2021م بشأن اتخاذ الإجراءات الفورية بتأمين وحماية الحدود الجنوبية. منشور على صفحة المكتب الإعلامي لرئيس المجلس الرئاسي الليبي.



جلسة طارئة لاتخاذ خطوات وتدابير من شأنها تخفيف التوتر في المنطقة، وأكدوا في نهاية البيان على أهمية مواصلة التعاون بين الدول الثلاث لتعزيز مكافحة الإرهاب، والتخريب، والجريمة المنظمة، والهجرة غير الشرعية⁽¹³⁾. وفي السياق نفسه، شارك رئيس المجلس الرئاسي الدكتور محمد يونس المنفي في القمة الاستثنائية للجنة حوض بحيرة تشاد التي تضم في عضويتها كل من: تشاد، والنيجر، ونيجيريا، والكاميرون، وبنين، وأفريقيا الوسطى، التي عقدت في العاصمة النيجيرية أبوجا يوم 25 مايو 2021م، وشدد في البيان الذي أصدره الدكتور المنفي على ضرورة وضع حد للخروقات التي تحصل في الحدود الجنوبية الليبية، وأهمية تنفيذ بنود الاتفاق الأمني مع تشاد، والنيجر، والسودان بخصوص الأمن ومراقبة الحدود⁽¹⁴⁾.

النيجر:

تتقاسم النيجر مع تشاد حدود برية يبلغ طولها 1.196 كم⁽¹⁵⁾، والشعبان تجمعهما علاقات تاريخية واجتماعية قديمة جداً، وقد سبق وأن صنّف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي دولتي تشاد والنيجر بأنهما "دول امتداد للصراع" في مالي ونيجيريا. تعاني النيجر من وضع أمني مقلق في ثلاث جهات، ففي الجنوب الشرقي تعد منطقة "ديفا" وبحيرة تشاد مكاناً تتجمع فيه حركة بوكو حرام القادمة

<https://www.facebook.com/Media.PC.Libya/photos>. تاريخ الدخول: 2021/07/05م، الساعة: 11:00.

13- بيان مشترك لقادة دول ليبيا، وجمهورية السودان، وجمهورية النيجر بشأن الأوضاع في جمهورية تشاد صدر يوم 22 أبريل 2021م.

[/https://www.afrigenews.net](https://www.afrigenews.net)

14- [/https://www.aa.com.tr](https://www.aa.com.tr) تاريخ الدخول: 2021/07/03م، الساعة: 16:11.



من نيجيريا، وفي حدودها الشمالية مع ليبيا -ومع أنها ليست بالطويلة- تنشط بؤر للتهريب والهجرة غير الشرعية وتشكل ملاذاً للمقاتلين⁽¹⁶⁾، وفي حدودها مع مالي عانت النيجر من تدفق اللاجئين أثناء اندلاع القتال بين الحركة الوطنية لتحرير أزواد ضد القوات الحكومية من أجل استقلال شعب أزواد في شهر يناير 2012م، ثم توسعت الأحداث بدخول جماعات إرهابية في القتال مثل جماعة أنصار الدين وهي جماعة مسلحة وممولة بشكل جيد، وحركة التوحيد والجهاد التي تنشط في منطقة "غاو" على الحدود بين النيجر وتشاد⁽¹⁷⁾، وغيرهما من تنظيمات إرهابية أفلقت بنشاطها المتزايد السلطات في نيامي.

وقد شهدت المنطقة الحدودية بين تشاد والنيجر العديد من الاشتباكات بين قوات الجيش النيجري وعصابات التهريب، وجماعات التنقيب عن الذهب التي تزايد عددها في الفترة الأخيرة، بالإضافة إلى مجموعات من الإرهابيين، ومع أن السلطات في نيامي قد شنت حملات قمع ضد شبكات التهريب في منطقة "أغاديز" في شمال البلاد، إلا أن تلك المنطقة مازالت تشكل بؤرة للأنشطة الإرهابية وعصابات التهريب، ما دفع بإيطاليا إلى إرسال قوات لمراقبة الحدود لمنع تدفق المهاجرين نحو ليبيا ومنها إلى السواحل الإيطالية، وكذلك قامت (AFRICOM) القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا بإنشاء قاعدة

15- ar.history-hub.com/ تاريخ الدخول: 2021/07/04م، الساعة: 14:52.
16- Chad and Niger مقال منشور في موقع معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام: <https://www.sipri.org> تاريخ الدخول: 2021/07/07م، الساعة: 11:00.
17- أنوار بوخرص، الجزائر والصراع في مالي، مقال منشور في موقع كارنيغي، <https://carnegie-mec.org> تاريخ الدخول: 2021/07/05م، الساعة: 18:10.



للطائرات المسيّرة في منطقة أغاديز، وفرنسا لديها قاعدة في العاصمة نيامي، وقاعدة بمدينة "مادما"، وأخرى في شمال شرق النيجر⁽¹⁸⁾.

وتعد النيجر إحدى الدول الفاعلة في "قوة الساحل G5"، وعملت بشكل وثيق في مجال مكافحة الإرهاب في منطقة الساحل، ومن أجل تعزيز الأمن بين كل من ليبيا، وتشاد، والنيجر، والسودان، وقّعت هذه الدول يوم الأول من يونيو 2018م اتفاقية التعاون الأمني ومراقبة الحدود المشتركة، وتعهّدت الدول الموقعة على تقوية التعاون الأمني فيما بينها، وتبادل المعلومات الاستخباراتية بغية مكافحة الإرهاب، والجريمة العابرة للحدود، سعياً لتوطيد الأمن والتنمية بالمناطق الحدودية، وتكوين إطار عملي وتشاوري لمواجهة التهديدات الأمنية المشتركة، واتفقت الدول على إنشاء لجنة للتنسيق والمتابعة، وكذلك إنشاء مركزاً لإدارة العمليات المشتركة أو الدوريات الأمنية الموازية مع التعهد بدعمه بالوسائل المناسبة⁽¹⁹⁾.

ولأهمية العلاقات بين النيجر وتشاد، وإثر مقتل الرئيس إدريس ديبي وتشكيل المجلس العسكري الانتقالي بقيادة ابنه محمد، اختارت دول G5 النيجر للقيام بدور الوسيط بين المجلس العسكري الانتقالي من جهة، وقوى المعارضة التشادية من جهة أخرى للوصول إلى حل سلمي يجنب البلاد ويلات الاقتتال الداخلي، ورغم أن دور هذه الوساطة قد تَعَقَّد إلى حدٍ ما بعد ورود أنباء تفيد أن

18 -Niger – Chad border area highly vulnerable to organized crime
Economist مقال منشور في موقع مجلة
تاريخ الدخول: 2021/07/03م، الساعة: 12:20.



جزء من المتمردين أعداء الرئيس الراحل إدريس ديبي وكذلك الراضين للمجلس العسكري الانتقالي قد لجأوا إلى النيجر واستخدموا الأراضي النيجرية كقاعدة لانطلاقهم، ولذلك قام الفريق أول" محمد ديبي" بزيارة مفاجئة إلى العاصمة النيجرية نيامي يوم الخامس من مايو 2021م، قابل خلالها الرئيس النيجري "محمد بازوم"، الذي كانت تربطه علاقات وثيقة بالرئيس الراحل إدريس ديبي، بحث خلالها ملف الحوار بين المجلس العسكري وقوى المعارضة التشادية السياسية والمسلحة⁽²⁰⁾، ولا زالت الوساطة بقيادة الرئيس محمد بازوم تقوم بدورها إلى الآن.

السودان:

تعد دولة تشاد من الدول الحبيسة التي لا سواحل لها على أي مسطح مائي، وبذلك تعتمد في تجارتها الخارجية مع سواحل السودان أو ليبيا، ويبلغ طول الحدود المشتركة بين السودان وتشاد نحو 1280 كلم، وتمثل منطقة دارفور في السودان الجزء الأكبر في تلك الحدود، وتعد منطقة دارفور حلقة وصل استراتيجية بين السودان ودول المغرب العربي من جهة، ودول غرب أفريقيا المسلمة من جهةٍ أخرى⁽²¹⁾، وتمتد العلاقات بين البلدين إلى العصور

19- اتفاق أمني بين ليبيا، والنيجر، والسودان، وتشاد لضبط الحدود المشتركة،

<http://ewanlibya.ly/news> تاريخ الدخول: 2021/07/04م، الساعة: 10:00.

20- تفاصيل تحركات المجلس العسكري التشادي من أجل الحوار والمصالحة الوطنية، مقال منشور في موقع <https://arabic.sputniknews.com> تاريخ الدخول:

2021/07/06م، الساعة: 11:15.

21- إخلاص حسين عبدالله، حدود السودان الغربية وأثرها في علاقاته مع دولتي تشاد وأفريقيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية القانون، 2006م، ص 59.



الإسلامية المبكرة، فدولة تشاد هي امتداد لممالك (كانم، وباقرمي، ووادي)، والتي تزامنت مع بروز ممالك (دارفور، والفونج، ومروي) في السودان في حقبة العصور الوسطى⁽²²⁾، وهناك العديد من القبائل المشتركة بين الدولتين تعيش على الحدود ومتداخلة اجتماعياً، وعرقياً، واقتصادياً فيما بينها، مثل قبائل الزغاوة، والرزيقات، والمسيرية، والزيادية⁽²³⁾، وغيرهم، مما أدى لنشوء ثقافة مشتركة بين سكان المناطق الحدودية بين البلدين، تجلّت في تشابه اللهجات، والعادات، والتقاليد.

غير أن تلك العلاقات الوطيدة كثيراً ما كانت عرضة للتوترات، والتجاذبات بين البلدين، وذلك بسبب الظروف الإقليمية والدولية غير المستقرة إلى حد ما، ففي شهر سبتمبر 1979م حضر السودان إلى جانب ليبيا التي كان لها الدور الأكبر، وتحت إشراف منظمة الوحدة الأفريقية مراسم توقيع اتفاقية سلام بين الحكومة التشادية من جهة، وعدد أحد عشر فصيلاً معارضاً من جهة أخرى انتُخب على إثرها كوكوني عويدي رئيساً، وحسين حبري وزيراً للدفاع⁽²⁴⁾، وفي نهاية سنة 1987م اتهم الرئيس التشادي حسين حبري الخرطوم

22- محمد علي تورشين، العلاقات السودانية- التشادية (ماضيها، حاضرها، مستقبلها)، مقال منشور على موقع: <https://www.raialyoum.com>/تاريخ الدخول: 2021/07/09، الساعة: 13:20.

23- إخلاص حسين عبدالله، حدود السودان الغربية وأثرها في علاقاته مع دولتي تشاد وأفريقيا الوسطى، مرجع سابق، ص 62.

24- العلاقات السودانية التشادية، مقال منشور على موقع: <https://www.aljazeera.net> تاريخ الدخول: 2021/07/11، الساعة: 10:55.



بايواء معارضين مقاتلين يسعون للإطاحة به، كان من قادتهم "إدريس ديبي" الذي نجح في انقلابه في شهر ديسمبر 1990م ووصل إلى السلطة⁽²⁵⁾.

إن علاقة السودان بتشاد تتبين أهميتها أكثر لو تتبعنا تفاصيل تلك العلاقة في واحدة من أهم القضايا الكبرى التي شغلت منطقة الساحل والصحراء منذ مطلع الألفية الجديدة، وهي قضية التمرد في دارفور، فالرئيس إدريس ديبي يعرف تمام المعرفة خطورة أي تمرد مسلح ينطلق من تلك المنطقة الإستراتيجية، والتاريخ شاهد على أكثر من نجاح حالف الثوار الذين انطلقوا من تلك المنطقة المتشابكة اجتماعياً، وعرقياً، وثقافياً، فالرئيس التشادي الأسبق حسين حبري مكث طويلاً في شمال تشاد وقاد تمرداً مسلحاً ولكنه لم يصل إلى أية نتيجة، غير أنه عندما غير إستراتيجيته وتمركز في منطقة دارفور وجمع فيها أنصاره وهاجم أنجamina وصل على إثر ذلك للسلطة، والأمر نفسه تكرر مع الرئيس إدريس ديبي، هو الآخر قد وصل إلى السلطة بعد أن مكث في منطقة دارفور وعرف كيف يهاجم ويكسب إلى صفه أهم القبائل وبيني التحالفات فوصل في سنة 1990م إلى السلطة، كل تلك الأسباب مجتمعة وغيرها جعلت لمنطقة دارفور ومحيطها أهمية قصوى في إستراتيجية تحركات الرئيس إدريس ديبي، وفي طريقة تعاطيه مع تلك الأزمة التي اندلعت في سنة 2003م، فخوفاً منه على تقويض سلطته تعامل بكل حزم في البداية مع المتمردين في دارفور، وكان متوجساً بشدة من متمردي حركة تحرير السودان، وعمل في البداية على

25- العلاقات السودانية التشادية، مقال منشور على موقع: <https://www.aljazeera.net> تاريخ الدخول: 2021/07/11م، الساعة: 10:55.



وأد التمرد في مهده تنفيذاً للاتفاقيات الأمنية والعسكرية التي تربط بين البلدين الجارين، وحفاظاً على سلامة وأمن المنطقة من أي خروقات قد تؤثر على أمن تشاد مباشرة⁽²⁶⁾، غير أن تلك العلاقة الودية بين النظامين في تشاد والسودان لم تدم طويلاً، وبدأ كل طرف يبحث عن مصالحه من خلال تحالفات جديدة، وأخذت الأمور تسوء وتندرج بأزمات بين البلدين، وقد اشتدت هذه التوترات إلى درجة كادت أن تصل إلى الصدام المباشر؛ وأغارت ميليشيا الجنجويد على منطقة (دار سيلا) في جنوبي شرقي تشاد، وأصبح واضحاً أن النزاع المسلح في دارفور قد ينتقل إلى تشاد بسبب طول الحدود البرية المفتوحة بين البلدين، وكذلك بسبب التداخل القبلي على طول تلك الحدود⁽²⁷⁾؛ واتهم النظام السوداني نظيره التشادي بضلوعه في التمرد في منطقة دارفور، وأنه أفسح المجال لفصائل المعارضة السودانية بالتمركز في العمق التشادي، والانطلاق لمهاجمة الأراضي السودانية والمساهمة في الاقتتال الدائر هناك، ودخل النظامان السياسيان في تشاد والسودان في معركة كسر عظم، فقد شرع نظام الرئيس إدريس ديبي في دعم مجموعات مسلحة سودانية معارضة لنظام الخرطوم، من أهمها حركة العدل والمساواة بقيادة خليل إبراهيم التي وقر لها إدريس ديبي

26- عثمان محمد البشري، حركة تحرير السودان: الحرب وآفاق السلام في دارفور، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص ص 129- 131.
27- جيروميوتوبيانا، حرب تشاد- السودان بالوكالة وعملية دارفور تشاد: الأسطورة والحقيقة، ورقة عمل صادرة عن المعهد العالي للدراسات الدولية، ومنظمة Small Arms Survey، جنيف، سويسرا، ط1، 2007م، ص 14.



غطاءً سياسياً ولوجستياً في سعيها لإسقاط نظام عمر البشير⁽²⁸⁾، وفي مقابل ذلك قامت الخرطوم بدعم فصائل المعارضة التشادية بالسلاح.

وبالرغم من التقارب الطفيف بين قيادة البلدين بعد وساطة ليبية-قطرية، ثوجت بتوقيع اتفاقية مصالحة في الدوحة بين السودان وتشاد يوم الثالث من مايو 2009م، بعد مفاوضات بين الطرفين لتهدئة الأوضاع وحل المسائل العالقة بينهما ودياً⁽²⁹⁾، غير أنه في اليوم التالي لتوقيع الاتفاق بينهما قامت مجموعات من المعارضة التشادية بقيادة "تحالف اتحاد قوات المقاومة" بشن هجوم على الأراضي التشادية انطلقت فيه من السودان، وتمكّن الجيش التشادي من صد الهجوم من خلال الضربات الجوية والمواجهة المباشرة، وأجبر المتمردين على الانسحاب⁽³⁰⁾، واستمرت العلاقات بين البلدين على هذا المستوى من التوتر، تارة، وتارة أخرى تشهد هدوء نسبياً بسبب الجهود الدبلوماسية التي تحاول إيجاد تقارب ما، وضمن هذا الإطار أجرى الرئيس إدريس ديبي زيارة مهمة إلى العاصمة السودانية الخرطوم يوم 08 فبراير 2010م وبعد مباحثات مغلقة وجادة بين الطرفين تعهد كل منهما بطي صفحة

28- محمد علي تورشين، العلاقات السودانية- التشادية (ماضيها، حاضرها، مستقبلها)، مقال منشور على موقع: <https://www.raialyoum.com> / تاريخ الدخول: 2021/07/09، الساعة: 13:20.

29- محمد أعماري، السودان وتشاد يوقعان اتفاق مصالحة برعاية قطرية ليبية، <https://www.aljazeera.net> / تاريخ الدخول: 2021/07/11، الساعة: 22:50.

30- تقرير الأمين العام عن بعثة الأمم المتحدة في جمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد (S/2009/359)، الجلسة (6172) الثلاثاء 28 يوليو 2009م، نيويورك، ص 3، متاح على الموقع: <https://undocs.org> / تاريخ الدخول: 2021/07/09، الساعة: 20:00.



الخلافات بين البلدين واعتبارها من الماضي، وأن يعمل على دعم العلاقات الثنائية وتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة الحدودية التي طالما تسببت في المزيد من التوتر، وتعهد الرئيس ديبي بدعم المفاوضات بين الحكومة السودانية ومتمرد دي دارفور آنذاك لتحقيق السلام في الإقليم المحاذي لتشاد، وكذلك اتفق الجانبان على تشكيل قوة مشتركة لحفظ الأمن على طول الحدود بينهما وإيجاد حل نهائي للمعارضة المسلحة للطرفين⁽³¹⁾.

وبعد عزل الرئيس عمر البشير عن السلطة يوم 11 أبريل 2019م على يد المجلس العسكري الذي تشكّل بعد ثورة شعبية عارمة شهدها السودان احتجاجاً على سوء الأوضاع المعيشية، والاقتصادية، كان من المنتظر أن تشهد العلاقات السودانية- التشادية مزيداً من الاستقرار⁽³²⁾، وقد أجرى عبدالله حمدوك رئيس الوزراء السوداني في يوم 17 ديسمبر 2019م زيارة إلى أنجamina استغرقت يومين اجتمع فيها بالرئيس إدريس ديبي، وناقشا فيها مستقبل العلاقات الثنائية بين البلدين، وخرج بيان مشترك في نهاية الزيارة أكد على أهمية عمل القوة المشتركة بين البلدين لتأمين الحدود، والعمل على مكافحة الهجرة غير الشرعية، وغيرها من القضايا المهمة⁽³³⁾.

31- الرئيسان السوداني والتشادي يتعهدان بطي صفحة الخلافات بين البلدين، <http://arabic.people.com.cn>، تاريخ الدخول: 2021/07/12م، الساعة: 08:15.

32- تقرير خاص، سقوط البشير، وكالة رويترز للأنباء، إعداد: خالد عبدالعزيز وآخرون، <https://www.reuters.com> / تاريخ الدخول: 2021/07/13م، الساعة: 23:30.

33- إنهاء سنوات من توتر العلاقات بين السودان وتشاد، <https://www.youm7.com> تاريخ الدخول: 2021/07/13م، الساعة: 06:25.



وقد أثار مقتل الرئيس إدريس ديبي المفاجئ يوم 20 أبريل 2021م مخاوف المسؤولين في السودان، وذلك بسبب التداخل القبلي والاجتماعي الذي يربط بين البلدين، لا سيما في منطقة دائمة التوتر وهي دارفور، فالسودان يتخوف من عودة نشاط بعض حركات التمرد في تلك المنطقة، وفي المقابل تخشى أنجamina أن تتحول منطقة دارفور لنقطة تجمع بعض التنظيمات الإرهابية ومنها تنطلق لضرب العمق التشادي، بعد أن شنتت جمعهم الضربات المتتالية التي تلقتها على يد الرئيس الراحل إدريس ديبي⁽³⁴⁾.

الدور الفرنسي في التطورات الأخيرة في تشاد قبيل وبعد مقتل إدريس ديبي:
يعود الوجود الفرنسي في تشاد إلى الفترة الاستعمارية، فهي قد استعمرت بشكل مباشر نحو 14 دولة أفريقية، بما فيها تشاد، حتى أنها خلال فترة الحرب الباردة كان يُطلق عليها لقب (درك أفريقيا) Africa's Gendarme، وقد نفذت القوات الفرنسية في الفترة من 1945 إلى 2005م أكثر من 130 تدخلاً مباشراً في قارة أفريقيا اختلفت حدة تلك التدخلات من إسقاط بعض الأنظمة بشكل مباشر، أو مكافحة تمرد، أو عمليات إجلاء غير قتالية⁽³⁵⁾، وغير ذلك، وحتى بعد استقلال الدول الأفريقية عن فرنسا حافظت باريس على وجود استراتيجي في القارة السمراء، من خلال العديد من القواعد

34- وفاة إدريس ديبي، مخاوف تأثير الصراع التشادي على السودان،

<https://bajnews.net> تاريخ الدخول: 2021/07/14م، الساعة: 09:40.

35 -Anna Sundberg، France - A Continuing Military Presence in Francophone Africa،www. foi.se تاريخ الدخول: 2021/08/15م، الساعة: 11:40.



العسكرية، وكذلك من خلال الروابط الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية⁽³⁶⁾، وقد شكّلت تشاد نقطة محورية للوجود الفرنسي في منطقة الساحل والصحراء؛ حيث تمتلك فرنسا ثلاث قواعد عسكرية في تشاد، قاعدة رئيسية في أنجامينا، وقاعدتان عمليتان أماميتان في مدينة فايا لا رجو في وسط البلاد، وأخرى في مدينة أبشّة العاصمة الاقتصادية بالقرب من الحدود مع السودان⁽³⁷⁾.

وفي خطاب للرئيس إيمانويل ماكرون في "بامكو" عاصمة مالي في سنة 2018م ربط بشكلٍ وثيق بين ما يحدث في أفريقيا من أحداثٍ أمنية وتحركات للجماعات المتطرفة وبين أمن فرنسا بشكل مباشر، وقال في خطابه "بأن التهديد الذي يَظهر على بُعد كيلومترات فقط من هنا في مالي سيضرب بسرعة النساء والأطفال في فرنسا ما لم نتدخل بحزم وقوة⁽³⁸⁾"، ولذلك عندما استولت الجماعات الإسلامية المتطرفة على شمال مالي في النصف الثاني من سنة 2012م، أطلق الرئيس الفرنسي "فرانسوا هولاند" في شهر يناير 2013م عملية عسكرية تحت اسم "سيرفال Serval" لدرج الجماعات الإرهابية من تلك المنطقة، وكان للقوات التشادية دور فاعل في تلك العملية العسكرية؛ حيث

36- نداء السيد حسن محمد، الدور الفرنسي وحدود التنافس الدولي في الساحل الأفريقي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 225، يوليو 2021م، ص 67.

37 -TangiSalun and John Irish، Explainer: Chad's strategic interest to France، western allies. www.reuters.com، 2021/08/16م، تاريخ الدخول: الساعة: 06:20.

38 -Anna Sundberg، France - A Continuing Military Presence in Francophone Africa،www. foi.se، الساعة: 2021/08/15م، تاريخ الدخول: 11:40.



أسهمت بقوة قوامها 2000 جندي في تعقب الجهاديين⁽³⁹⁾، ثم شاركت بعدد 1400 جندي في قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة تمركزت في شمال مالي بعد دحر الجماعات الإرهابية حفاظاً على أمن المنطقة⁽⁴⁰⁾. وفي يوم 01 أغسطس 2014م أطلق الرئيس الفرنسي "فرانسوا هولاند" عملية عسكرية جديدة تحت اسم "عملية برخان" Operation Barkhane وهي أوسع من عملية سيرفال؛ حيث تشمل منطقة الساحل الأفريقي بالكامل، وبدأت هذه العملية بقوة فرنسية قوامها 4000 جندي، كانت متمركزة في القاعدة العسكرية الفرنسية في مالي، في حين كانت العمليات الجوية تتم بواسطة طائرات بدون طيار تقوم بجمع المعلومات على كامل المنطقة بتنسيق من القاعدة الفرنسية في نيامي بالنيجر، أما قيادة العمليات المركزية فكانت في مدينة أنجامينا بتشاد، واستمرت هذه العملية العسكرية بتنسيق بين فرنسا من جهة، وبين دول الساحل الخمس (G5S) وهي (موريتانيا، ومالي، وبوركينا فاسو، والنيجر، وتشاد)⁽⁴¹⁾، وكان الهدف من هذه

39 -TangiSalun and John Irish، Explainer: Chad' s strategic interest to France، western allies. www.reuters.com: تاريخ الدخول: 2021/08/16م، الساعة: 06:20.

40- تشاد: ما هي المخاطر بعد وفاة إدريس ديبي؟، مقال منشور على موقع مجموعة الأزمات الدولية، www.crisisgroup.org تاريخ الدخول: 2021/08/20م، الساعة: 13:00.

41 -Anna Sundberg، France - A Continuing Military Presence in Francophone Africa، www.foi.se: تاريخ الدخول: 2021/08/15م، الساعة: 11:40.



العملية الواسعة هو حماية أمن حدود تلك الدول، ومكافحة الإرهاب، وقد كان للرئيس إدريس ديبي دوراً قيادياً في هذه العملية، وكذلك للقوات التشادية. وبعد سنة 2014م تدخلت القوات التشادية في شمال نيجيريا والكاميرون بطلب مباشر من حكومتي البلدين الجارين لتشاد، وذلك لمواجهة فصائل حركة بوكو حرام المتطرفة⁽⁴²⁾.

توطدت العلاقات بين إدريس ديبي والحكومات الفرنسية المتعاقبة على مدى ثلاثة عقود، ونجح في تسويق نفسه كحليف قوي في محاربة الجماعات الإرهابية المتطرفة بعد مقتل العقيد القذافي في 20 أكتوبر 2011م، والتغيرات التي عصفت بمنطقة الساحل والصحراء بعد ذلك التاريخ، والفراغ الذي نجم عن انهيار المنظومتين الأمنية والعسكرية في ليبيا، فقد عوّلت باريس على كفاءة القوات المسلحة التشادية في تنفيذ بعض المهام الأمنية والعسكرية الموكلة لها في منطقة الساحل والصحراء، فموقع تشاد الاستراتيجي في المنطقة أهلها للقيام بهذا الدور، ولذلك اعتمدت عليها باريس ودعمت النظام التشادي في تأسيس قوات مسلحة مدربة وذات كفاءة عالية، لضبط أمن الحدود وقاتل الجماعات المتطرفة في منطقة متوترة إلى حد كبير بعد الثورة في ليبيا سنة 2011م، وتنحي الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة في يوم 02 أبريل 2019م، وسقوط نظام عمر البشير في 10 أبريل 2019م، كل ذلك جعل من النظام التشادي صمام أمان لمنع تمدد الحركات المتطرفة في منطقة الساحل



والصحراء، وكان شريكاً أساسياً لفرنسا لتنفيذ سياساتها الأمنية هناك، وتعد تشاد الدولة الأفريقية الوحيدة القادرة على نشر قوة قتالية بسرعة كبيرة، لما تتميز به قواتها من مرونة عالية⁽⁴³⁾. كما اعتمدت فرنسا على الرئيس التشادي إدريس ديبي في توفير قوة عسكرية لتنفيذ تدخلها في جمهورية أفريقيا الوسطى (عملية سانغريس) في شهر ديسمبر 2013م إثر الفوضى التي شهدتها البلاد بسبب سقوط نظام الرئيس فرانسوا بوزيزي⁽⁴⁴⁾، وكذلك أنشأت فرنسا مقرّاً لقوة المهام المشتركة متعددة الجنسيات (MNGTF) في أنجامينا سنة 2013م، التي ضمّت وحدات من تشاد، وبنين، والكاميرون، والنيجر، ونيجيريا بهدف إنهاء تمرد حركة بوكو حرام⁽⁴⁵⁾.

كل تلك العلاقات الأمنية الوثيقة بين فرنسا من جهة والرئيس إدريس ديبي من جهة أخرى، والجهود التي بذلها طيلة العقود الماضية في الحفاظ على أمن الساحل الأفريقي جعلت من الرئيس ديبي حليف فرنسا الأول في المنطقة للقيام بأدوار متعددة، قد يكون أهمها مهام أمنية معقدة، ونجح في وضع تشاد كلاعب رئيس في جهود مكافحة الإرهاب في منطقة الساحل والصحراء،

42- تشاد: ما هي المخاطر بعد وفاة إدريس ديبي؟، مقال منشور على موقع مجموعة الأزمات الدولية، www.crisisgroup.org تاريخ الدخول: 2021/08/20م، الساعة: 13:00.

43 -TangiSalun and John Irish، Explainer: Chad's strategic interest to France، western allies. www.reuters.com، تاريخ الدخول: 2021/08/16م، الساعة: 06:20.

44 -Tony Chafer، Chad: France's role and political instability، www.ispionline.it تاريخ الدخول: 2021/08/17م، الساعة: 12:40.



وتمكن بفضل الدعم الفرنسي الكبير من بناء قوات مسلحة تُعدُّ من الأفضل في المنطقة من حيث التجهيز، والتدريب، وبالرغم من أنه منذ استلام الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند مقاليد الحكم في يوم 15 مايو 2012م وعد بأن يعيد النظر في العلاقات التي تربط بين فرنسا وبين بعض الأنظمة الشمولية في أفريقيا التي لا تحترم حقوق الإنسان، إلا أن الدعم الفرنسي للرئيس إدريس ديبي ظل ثابتاً، والوجود الفرنسي في تشاد لم يضعف رغم المتغيرات العديدة التي مرّت على المنطقة، وقد عرّف ديبي كيف يستفيد من تلك العلاقة القوية، فقد تعرّض لمحاولات انقلابية عدّة، غير أنه نجح في القضاء عليها، سواء في 2006م، أو في شهر فبراير 2008م عندما تمكن المتمرّدون المدعومون من السودان من الوصول إلى أنجamina ومن محاصرة القصر الرئاسي، وكذلك في تمرد شهر فبراير 2019م، وفي كل تلك الظروف العصيبة والمحاولات الانقلابية التي تعرّض لها النظام التشادي تلقّى الدعم سريعاً من فرنسا وأفلح في إفشال حالات التمرد، وتدمير آليات العدو وإنهاء وجوده، ففي التمرد الأخير في بداية شهر فبراير 2019م اتهم الرئيس إدريس ديبي المتمردين بأنهم إرهابيون يسعون للوصول إلى السلطة، وقامت إثر ذلك الطائرات الفرنسية المتمركزة في قواعد فرنسية في تشاد بقصف تجمعاتهم وأنهت بذلك حالة التمرد، لقد استطاع إدريس ديبي بفضل دهائه وعلاقته الوثيقة كحليف قوي لفرنسا، واستغلاله شماعة الإرهاب التي ألصقها بمعظم معارضيه في التخلص منهم، وصرف

45 -Tony Chafer، Chad: France's role and political instability،
تاريخ الدخول: 2021/08/17، الساعة 12:40، www.ispionline.it



النظر عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي عصفت ببلاده منذ فترة طويلة⁽⁴⁶⁾.

لقد حكم إدريس ديبي تشاد بقبضة حديدية، وتعرضت حقوق الإنسان خلال عهده الذي استمر ثلاثين سنة لانتهاكات جسيمة، وخير مثال على ذلك تصفية قوات الأمن التشادي خمسة من أفراد أسرة يحيى ديلى المرشح المعارض في الانتخابات الرئاسية يوم 28 فبراير 2021م⁽⁴⁷⁾، في محاولة من إدريس ديبي إرهاب المرشحين الآخرين المنافسين له في الانتخابات التي فاز بها يوم 11 أبريل 2021م بعهدة رئاسية سادسة⁽⁴⁸⁾، وسط غضب واستهجان المعارضة التي اعتبرت أن الانتخابات مجرد مسرحية هزلية يقوم بها ديبي، وبعد إعلان فوزه بالانتخابات الرئاسية واستلامه مقاليد عهدة رئاسية سادسة بأيام معدودة، أعلن في يوم 20 أبريل عن مقتله في مواجهات ضد مقاتلي "جبهة التغيير والوفاق" التي استغلت التوترات التي رافقت الانتخابات الرئاسية ودعت خصوم ديبي للتعاطف معها والانضمام لها⁽⁴⁹⁾، ويرى الباحث أن كل تلك الأحداث كانت تراقبها القوات الفرنسية المتمركزة في ثلاث قواعد في تشاد، إضافة لأجهزة المخابرات الفرنسية التي ترصد كل التحركات حول الرئيس التشادي، وقد وصفت باريس مقتل إدريس ديبي بأنها (فقدت صديقاً شجاعاً

46 -Tony Chafer، Chad: France's role and political instability،
www.ispionline.it.12:40 الساعة، 2021/08/17، تاريخ الدخول:
47 -https://www.reuters.com/تاريخ الدخول: 2021/08/18، الساعة 11:00.
48 -https://www.france24.com/تاريخ الدخول: 2021/08/18، الساعة 01:20.



سعى لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة على مدى ثلاثة عقود⁽⁵⁰⁾ وقد تكتمت السلطات التشادية عن خبر مقتل الرئيس إلى أن رتبت جميع الأمور بالاتفاق مع الجانب الفرنسي، فقد عادت مروحية للجيش التشادي بجثة الرئيس ديبي مساء يوم 18 أبريل 2021م ووُضعت في القصر الرئاسي بأنجامينا، وبقي الخبر طي الكتمان تفادياً لأي مفاجآت قد تطرأ⁽⁵¹⁾، وبشكلٍ عاجل تم تشكيل مجلس عسكري انتقالي برئاسة نجله محمد الذي كان مسؤولاً عن وحدة النخبة في الجيش، وأُعلن المجلس عن فترة انتقالية مدتها ثمانية عشر شهراً تجرى بعدها انتخابات حرة وشفافة⁽⁵²⁾، وطلبت الحكومة الفرنسية في بيان لها (إلى ضرورة أن يتم التحول الجاري على يد المجلس العسكري في ظل ظروف سلمية)⁽⁵³⁾.

ولم يتوقف الدور الفرنسي بعد مقتل الرئيس ديبي عند ذلك الحد، بل اتهمت "جبهة التغيير والوفاق" -وهي الحركة المتمردة المُتهمة بقتل الرئيس

49- تشاد: ما هي المخاطر بعد وفاة إدريس ديبي؟، مقال منشور على موقع مجموعة الأزمات الدولية، www.crisisgroup.org تاريخ الدخول: 2021/08/19م، الساعة: 16:15.

50 -TangiSalun and John Irish، Explainer: Chad's strategic interest to France، western allies. www.reuters.com، تاريخ الدخول: 2021/08/16م، الساعة: 06:20.

51- تفاصيل الساعات الأخيرة قبل مقتل الرئيس التشادي إدريس ديبي، <https://www.skynewsarabia.com> تاريخ الدخول: 2021/08/18م، الساعة: 10:15.

52- تشاد: ما هي المخاطر بعد وفاة إدريس ديبي؟، مقال منشور على موقع مجموعة الأزمات الدولية، www.crisisgroup.org تاريخ الدخول: 2021/08/19م، الساعة: 16:15.

53 - <https://www.aljazeera.net>.07:00، الساعة: 2021/08/18م، الساعة: 07:00.



ديبي- القوات الفرنسية المتمركزة في تشاد بقصف مواقعها يوم 23 أبريل 2021م، أي بعد مقتل الرئيس ديبي مباشرةً، وذلك لعرقلتها عن التقدم صوب العاصمة أنجامينا كما كانت تنوي، وذلك لعدم اعترافها بالمجلس العسكري الانتقالي الذي تولّى مقاليد السلطة⁽⁵⁴⁾.

ويبدو واضحاً أن المجلس العسكري الانتقالي قد أمسك بزمام الأمور بشكل أدى إلى نوع من الاستقرار إلى حد ما، وذلك بمساعدة من القوات الفرنسية التي وفرت له الدعم العسكري واللوجستي والاستخباري لتحركات المجموعات المتمردة التي تتربص للانقضاض على الحكم في أنجامينا، فرنسا تدرك تماماً أهمية الموقع الاستراتيجي لتشاد، وأنه من غير الوارد مطلقاً أن تفرط في كل تلك الإنجازات الأمنية التي تحققت في عهد الرئيس إدريس ديبي، وترغب في استمرار تشاد كقاعدة أمامية ورئيسة لمكافحة الجماعات الإرهابية التي تشكل خطراً داهماً على أمن منطقة الساحل والصحراء بشكل عام.

موقف الاتحاد الأفريقي (الحالة التشادية وازدواجية المعايير):

بتاريخ 19 أبريل 2021م أصدر الاتحاد الأفريقي بياناً أعرب فيه عن أعمق تعازيه لأسرة الفقيد والشعب التشادي في الوفاة المفاجئة كما وصفها البيان- للرئيس إدريس ديبي، وقال البيان أن ديبي كان له دور رئيس في تعزيز أجندة الاتحاد الأفريقي لتعزيز السلم والأمن، وأنه كان داعماً قوياً لجهود الاتحاد لتهيئة بيئة الأمن والاستقرار، ولا سيما في منطقة الساحل، وأكد البيان الصادر أن الاتحاد الأفريقي يقف متضامناً مع حكومة وشعب جمهورية تشاد خلال هذا



الوقت العصيب، ويُضَم إليهم في الحداد على فقدان بطل مساعي أفريقيا لتوفير قارة سلمية وأمنة ومستقرة⁽⁵⁵⁾.

وضمن مساعي الاتحاد الأفريقي في التعرف على الوضع عن قرب في تشاد، أرسلت مفوضية الاتحاد الأفريقي، ومجلس السلم والأمن التابع للاتحاد بعثة تقصي حقائق في يوم 29 أبريل 2021م إلى أنجامينا، وضمت البعثة أربعة أعضاء من مجلس السلم والأمن، وعضو من جمهورية الكونغو الديمقراطية (بصفتها رئيسة الاتحاد الأفريقي)، وبقيادة مفوض الاتحاد الأفريقي للشؤون السياسية والسلم والأمن السفير بانكول أدوي، إلى جانب رئيس مجلس السلم والأمن الأفريقي مدتها أسبوع واحد، وتُجري البعثة مهمتها في تشاد بناء على بيان مجلس السلم والأمن الأفريقي المعتمد في جلسته المنعقدة بتاريخ 22 أبريل 2021م بشأن الوضع في تشاد، وستقوم البعثة بتحقيقات بشأن مقتل الرئيس الراحل إدريس ديبي، والتعامل مع جميع القضايا المتعلقة بالوضع في البلاد، وكذلك ستسعى البعثة للحصول على معلومات مباشرة من الحكومة التشادية وأصحاب المصلحة بشأن تطور الوضع الأمني والسياسي، وبحث كيفية تسهيل العودة السريعة إلى نظام دستوري وحكم ديمقراطي، وأيضاً ستنتظر البعثة في القضايا المتعلقة بالاستقرار، وجهود مكافحة الإرهاب، والتمرد الحاصل هناك، ومن المنتظر أن تجري البعثة مشاورات مع بعض المنظمات الإقليمية والدولية مثل تجمع دول الساحل والصحراء، ولجنة حوض

55- بيان حول وفاة فخامة إدريس ديبي رئيس جمهورية تشاد، بتاريخ 19 أبريل 2021م، منشور على موقع الاتحاد الأفريقي <https://au.int/sites> تاريخ الخول:



بحيرة تشاد L.C.B.C، ومنظمة الإيكواس ECOWAS، والأمم المتحدة، ومن المقرر أن تُقدّم البعثة نتائجها إلى مجلس السلم والأمن الأفريقي في الثامن من مايو 2021م، للنظر فيها أو اتخاذ قرار بشأن الوضع في تشاد⁽⁵⁶⁾. والتقت البعثة برئيس المجلس العسكري الانتقالي الفريق ركن محمد إدريس ديبي، وبحث الطرفان مجمل القضايا المتعلقة بالوضع في تشاد⁽⁵⁷⁾، والملفت في الأمر أن الاتحاد الأفريقي تعامل مع الوضع في تشاد بمنهج مختلف عن الحالات السابقة في أفريقيا، فهو لم يعلّق عضوية تشاد في الاتحاد بعد الإعلان عن مقتل الرئيس التشادي إدريس ديبي وتشكيل مجلس عسكري انتقالي تولّى زمام الأمور، مثل ما حدث في سنة 2009م عندما فرض عقوبات على أعضاء المجلس العسكري في موريتانيا الذين قاموا بانقلاب عسكري على السلطة، أو في مصر سنة 2013م عندما علّق عضويتها في الاتحاد الأفريقي، وكذلك عندما تم تعليق عضوية السودان يوم 06 يونيو 2019م جرّاء التغيير الحاصل هناك، وكل ما في الأمر أن الاتحاد الأفريقي هدّد المجلس العسكري الذي تشكّل بعد مقتل ديبي بتعليق عضوية تشاد بسبب انتهاكهم للدستور الذي ينصّ أنه في حالة شغور منصب رئيس الجمهورية بالوفاة أو العجز أن تؤول

2021/08/20م، الساعة: 10:16.

56 -Press Release، the African Union commission and the au psc undertake a fact finding mission to the republic of Chad، 29 April 2021

57- رئيس المجلس العسكري الانتقالي يلتقي بعثة الاتحاد الأفريقي، منشور على موقع رئاسة جمهورية تشاد، <https://presidence.td/ar> تاريخ الدخول: 2021/08/21م، الساعة: 12:15.



السلطة لرئيس البرلمان في مدة مؤقتة لا تتجاوز أربعين يوماً على أن يتم تنظيم انتخابات رئاسية⁽⁵⁸⁾.

بل إن رئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية فيليكس تشيسيكيدى وهو الرئيس الدوري للاتحاد الأفريقي صرّح في يوم 19 مايو 2021م أن (تولّى الجيش للحكم في تشاد بعد مقتل الرئيس ديبي كان ضرورياً)، ودكّر رئيس الاتحاد الأفريقي (بأن تشاد تواجه خطر الثوار والجماعات الإرهابية، ولذلك كان يجب أن يتولّى الحكم العسكريون)⁽⁵⁹⁾، وقد أدّت هذه الازدواجية في تعامل الاتحاد الأفريقي مع الوضع في تشاد وعدم فرض عقوبات على أعضاء المجلس العسكري إلى انشقاق في داخل مجلس السلم والأمن الأفريقي؛ حيث طالبت مجموعة من الدول الأفريقية ومعظمها ناطقة باللغة الانجليزية بتأييدها الجزائر فرض عقوبات على تشاد تطبيقاً لنصوص الاتحاد الأفريقي، في حين رأت الدول الناطقة بالفرنسية عكس ذلك، بأن يمنح المجلس العسكري في تشاد فرصة لإدارة البلاد لفترة انتقالية⁽⁶⁰⁾.

58- السفير بلال المصري، تشاد وازدواجية معايير الاتحاد الأفريقي، مقال منشور على موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، <https://democraticac.de> تاريخ الدخول: 2021/08/21م، الساعة: 18:50.

59- الاتحاد الأفريقي: استحوذ الجيش على حكم تشاد كان ضرورياً، منشور على الموقع: <https://www.saharamedias.net>

تاريخ الدخول: 2021/08/23م، الساعة: 13:40.

60- السفير بلال المصري، تشاد وازدواجية معايير الاتحاد الأفريقي، مقال منشور على موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، <https://democraticac.de> تاريخ الخول: 2021/08/21م، الساعة: 18:50.



وقد عقد مجلس السلم والأمن الأفريقي اجتماعاً بتاريخ 14 مايو 2021م ناقش فيه تقرير بعثة تقصي الحقائق التي أرسلها الاتحاد الأفريقي إلى تشاد يوم 29 أبريل 2021م، ونتج عن الاجتماع بيان يحتوي على 20 توصية، من أهمها تشجيع السلطات الانتقالية في تشاد بسرعة التحقيق في اغتيال الرئيس التشادي السابق، وطلب من رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي تقديم تقرير عن الوضع في تشاد لمجلس السلم والأمن قبل نهاية شهر يونيو 2021م، وبعد ذلك يتم تقديم تقرير ربع سنوي إلى نهاية الفترة الانتقالية المقررة مدتها 18 شهراً. وقرر في نهاية الاجتماع إبقاء المسألة قيد نظره الفعلي⁽⁶¹⁾، أي أن مجلس السلم والأمن لم يقرر فرض عقوبات على تشاد، وكل ما في الأمر أنه دعا إلى تعيين مبعوث من الاتحاد الأفريقي لمواكبة عمل المجلس العسكري الانتقالي من أجل العودة إلى النظام الدستوري من خلال انتخابات حرة ونزيهة.

ويعتقد الباحث أن مجلس السلم والأمن الأفريقي قد تعرّض لأزمة خطيرة وتحديات قد تمس مستقبل المجلس برمته جرّاء تعامله مع التغيير الذي حصل في تشاد بازدواجية في المعايير عكس تعامله من قبل مع بعض الحالات المشابهة في مختلف أنحاء القارة السمراء، فالمجلس حسب بياناته قد خالف أحكام المادتين 4(ع) و30 من القانون التأسيسي للاتحاد الأفريقي، والبروتوكول المؤسس لمجلس السلم والأمن، ومقرر الجزائر العاصمة الصادر في يوليو 1999م، وإعلان لومي الصادر في يوليو 2009م، حول التغييرات

61- السفير بلال المصري، تشاد وازدواجية معايير الاتحاد الأفريقي، مقال منشور على موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية،



غير الدستورية للحكومات (62)، وكذلك مخالف بشكل صريح للميثاق الأفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم الصادر في أديس أبابا يوم 30 يناير 2007م، والذي يؤكد في المادة (30) أن تتعهد الدول بأن الوصول إلى سلطة الحكم وممارستها يكون وفقاً لدستور الدولة (63).

وبذلك يكون مجلس السلم والأمن قد أَرْضَى جيران تشاد بعدم فرض عقوبات على المجلس العسكري الانتقالي على حساب مبادئ الاتحاد الأفريقي وثوابته الراسخة منذ تأسيسه، بالإضافة إلى أن مجلس السلم والأمن لم يفرض جدولاً زمنياً محدداً يوضح فيه بشكل قاطع مواعيد تسليم السلطة من المجلس العسكري إلى سلطة مدنية بعد إجراء انتخابات نزيهة، وما هي الإجراءات التي يمكن أن يتخذها المجلس في حالة عدم وفاء أعضاء المجلس العسكري الانتقالي بوعودهم؟ كل هذه الأسئلة الملحة والمعلقة تدل بشكل جليّ على تخبط مجلس السلم والأمن في التعاطي مع الأزمة التشادية، وكذلك تأكل الإجماع داخل المجلس بات يهدد عامل الثقة الذي كان متوفراً إلى حد ما خلال تعامله مع الأزمات في أفريقيا خلال السنوات الماضية، وفتح المجال أمام حماية بعض الأنظمة العسكرية التي قد تأتي بواسطة انقلاب غير شرعي وتبرير ذلك بحجة

62- تقرير رئيس المفوضية عن منع التغييرات غير الدستورية للحكومات وتعزيز قدرة الاتحاد الأفريقي على معالجة هذه الأوضاع، سرت- ليبيا 01-03 يوليو 2009م، <https://democraticac.de> تاريخ الخول: 2021/08/21م، الساعة: 18:50.
63- انظر الميثاق الأفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم، www.au.int تاريخ الخول: 2021/08/22م، الساعة: 06:18. علماً أن تشاد من بين الدول التي وقّعت فقط على الميثاق ولم تصدّق عليه.



أن البلاد تواجه أوضاعاً أمنية عسيرة، وأنها تحارب جماعات إرهابية خطيرة، وبذلك يكون عامل الأمن وحده أهم بكثير من القيم والثوابت الدستورية(64).

خاتمة:

يمكننا أن نخلص إلى القول أن هذه الورقة المتواضعة قد ناقشت الموقف الإقليمي للدول المجاورة لتشاد وهي ليبيا، والنيجر، والسودان، إثر مقتل الرئيس إدريس ديبي يوم 20 أبريل 2021م، وما مدى تأثر كل دولة بالتداعيات الأمنية والعسكرية المترتبة على هذا الحدث الذي هزّ منطقة الساحل والصحراء، وهل كان هناك تنسيق جماعي بين هذه الدول للتعاطي مع هذا المتغيّر الحاصل حفاظاً على أمن حدودها مع تشاد؟ وعلى المستوى الدولي ناقشت الورقة الموقف الفرنسي من الأزمة في تشاد وكيف وقفت القوات الفرنسية مع المجلس العسكري الانتقالي الذي شكّل مباشرةً عقب مقتل الرئيس ديبي حليف فرنسا الأول في منطقة الساحل والصحراء، وأخيراً ركزنا البحث على موقف الاتحاد الأفريقي وما مدى صحة تعامله مع الأزمة التشادية بازواجية في المعايير؟، وما جدوى إرساله لبعثة تقصي حقائق إلى أنجamina والتقارير الصادر عن تلك البعثة، وهل التوصيات الصادرة عن البعثة كفيلة للمساهمة في حلحلة الأزمة في تشاد؟

64 -AU balancing act on Chad coup sets a disturbing precedent، by Paul- Simon Handy and Felecite Djilo، www.issafrica.org تاريخ الدخول: 2021/08/23م، الساعة: 09:12.



قائمة المصادر والمراجع

أ- الوثائق العربية والأجنبية:

- 1- بيان حول وفاة فخامة رئيس جمهورية تشاد إدريس ديبي، بتاريخ 19 أبريل 2021م، منشور على موقع الاتحاد الأفريقي <https://au.int/sites>
- 2- بيان مشترك لقادة دول ليبيا، وجمهورية السودان، وجمهورية النيجر بشأن الأوضاع في جمهورية تشاد صدر يوم 22 أبريل 2021م. [/https://www.afrigatenews.net](https://www.afrigatenews.net/)
- 3- الميثاق الأفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم، www.au.int
- 4- تكليف القائد الأعلى رقم (11) الصادر بتاريخ 21 أبريل 2021م بشأن اتخاذ الإجراءات الفورية بتأمين وحماية الحدود الجنوبية. منشور على صفحة المكتب الإعلامي لرئيس المجلس الرئاسي الليبي.

<https://www.facebook.com/Media.PC.Libya/photos>

- 5- Press Release، the African Union commission and the au PSC undertake a fact finding mission to the republic of Chad، 29 April 2021.

ب- الكتب:

- 1- سعيد عبدالرحمن الحنديري، المسارات والتوطن والعودة، "المهاجرين الليبيين في بحيرة تشاد منذ 1928م"، في كتاب: الشيخ حمد سيف النصر حياته وجهاده، 1869-1954م، أعمال الندوة الثانية المنعقدة ببيت الثقافة - الزاوية الغربية يوم 04 أكتوبر 2015م، منشورات مؤسسة الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية، ط/1، 2017م.
- 2- عثمان محمد البشري، حركة تحرير السودان: الحرب وآفاق السلام في دارفور، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- 3- مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، (د.ن)، (د.م)، 1992م.



ج- الدوريات:

1- رشيد خشانة، اضطراب الأمن في تشاد يُربك مسارات السلام في ليبيا، مجلة شؤون ليبية، مجلة مستقلة تُعنى بالدراسات حول ليبيا المعاصرة تصدر في تونس، العدد 20، مايو- يونيو 2021م.

2- نداء السيد حسن محمد، الدور الفرنسي وحدود التنافس الدولي في الساحل الأفريقي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 225، يوليو 2021م.

د- التقارير العربية:

1- تقرير الأمين العام عن بعثة الأمم المتحدة في جمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد (S/2009/359)، الجلسة (6172) الثلاثاء 28 يوليو 2009م، نيويورك، ص 3، متاح على الموقع: <https://undocs.org/>

2- تقرير خاص، سقوط البشير، وكالة رويترز للأخبار، إعداد: خالد عبدالعزيز وآخرون، <https://www.reuters.com>

هـ- البحوث:

- جيروميتوبيانا، حرب تشاد- السودان بالوكالة وعملية دارفور تشاد: الأسطورة والحقيقة، ورقة عمل صادرة عن المعهد العالي للدراسات الدولية، ومنظمة Small Arms Survey، جنيف، سويسرا، ط/1، 2007م.

و- الرسائل العلمية:

1- إخلاص حسين عبدالله، حدود السودان الغربية وأثرها في علاقاته مع دولتي تشاد وأفريقيا الوسطى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية القانون، 2006م.

2- عز الدين موسى صالح عقيلة، النزاع الحدودي الليبي- التشادي 1973- 1995م، رسالة ماجستير مقدّمة إلى قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، سنة 2017م، غير منشورة.



ن- شبكة المعلومات الدولية:

- 1- الاتحاد الأفريقي: استحوذ الجيش على حكم تشاد كان ضرورياً، منشور على الموقع:
<https://www.saharamedias.net>
- 2- اتفاق أممي بين ليبيا، والنيجر، والسودان، وتشاد لضبط الحدود المشتركة،
<http://ewanlibya.ly/news>
- 3- إنهاء سنوات من توتر العلاقات بين السودان وتشاد، <https://www.youm7.com>
- 4- أنوار بوخرص، الجزائر والصراع في مالي، مقال منشور في موقع كارنيغي،
[/https://carnegie-mec.org](https://carnegie-mec.org)
- 5- تشاد: ما هي المخاطر بعد وفاة إدريس ديبي؟، مقال منشور على موقع مجموعة الأزمات الدولية،
www.crisisgroup.org
- 6- تفاصيل الساعات الأخيرة قبل مقتل الرئيس التشادي إدريس ديبي،
- 7- تفاصيل تحركات المجلس العسكري التشادي من أجل الحوار والمصالحة الوطنية، مقال منشور في موقع [/https://arabic.sputniknews.com](https://arabic.sputniknews.com)
- 8- الجنوب المستباح: منافذ ومهابط للتهريب وانتشار العصابات والجماعات المسلحة، مقل منشور في موقع بوابة الوسط، <http://alwasat.ly>
- 9- رئيس المجلس العسكري الانتقالي يلتقي بعثة الاتحاد الأفريقي، منشور على موقع رئاسة جمهورية تشاد، <https://presidence.td/ar>
- 10- الرئيسان السوداني والتشادي يتعهدان بطي صفحة الخلافات بين البلدين،
<http://arabic.people.com.cn>
- 11- السفير بلال المصري، تشاد وازدواجية معايير الاتحاد الأفريقي، مقال منشور على موقع المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية،
[/https://democraticac.de](https://democraticac.de)
- 12- العلاقات السودانية التشادية، مقال منشور على موقع: <https://www.aljazeera.net>



- 13- فقدان الأمن وتحديات الحكم في جنوب ليبيا، مقال منشور على موقع مركز كارنيغي،
[/https://carnegie-mec.org](https://carnegie-mec.org)
- 14- كريمة ناجي، مساع إلى إحداث تغيير ديموغرافي في جنوب ليبيا، المعارضة التشادية
تنشط للتوسع السكاني والاقتصادي، مقال منشور في صحيفة انديبننت عربية،
[/https://www.independentarabia.com](https://www.independentarabia.com)
- 15- ليبيا/ تشاد، ما وراء النفوذ السياسي، مقال في موقع مجموعة الأزمات الدولية،
<https://www.crisisgroup.org>
- 16- محمد أعماري، السودان وتشاد يوقعان اتفاق مصالحة برعاية قطرية لبيبة،
[/https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)
- 17- محمد علي تورشين، العلاقات السودانية- التشادية (ماضيها، حاضرها، مستقبلها)، مقال
منشور على موقع: [/https://www.raialyoum.com](https://www.raialyoum.com)
- 18- هذه الإحصائية قدمها السيد/ سعد بن شرادة عضو المجلس الأعلى للدولة في ليبيا،
وأثار أيضاً هذه المخاوف من تغيير ديمغرافي قادم في جنوب ليبيا السيد/ مفتاح بو خليل
عميد بلدية الكفرة، انظر مقال منشور في موقع سبوتنيك العربي،
[/https://arabic.sputniknews.com](https://arabic.sputniknews.com)
- 19- وفاة إدريس ديبي، مخاوف تأثير الصراع التشادي على السودان،
[/https://bajnews.net](https://bajnews.net)
- 20 - <https://www.aljazeera.net/>
- 21- Tony Chafer، Chad: France's role and political instability،
www.ispionline.i
- 22- Anna Sundberg، France - A Continuing Military Presence in
Francophone Africa. www.foi.se
- 23 - [https://www.aa.com.tr /](https://www.aa.com.tr/)



- 24 -ar.history-hub.com
- 25 -https://www.aa.com.tr/
- 26- Chad and Niger: www.sipri.org
- 27- Niger- Chad border area highly vulnerable to organized crime
Economist. /http://country.eiu.com
- 28- Tangi Salun and John Irish, Explainer: Chad's strategic interest to
France, western allies. www.reuters.com.
- 29- AU balancing act on Chad coup sets a disturbing precedent, by
Paul- Simon Handy and Felecite Djilo, www.issafrica.org.
- 30- https://www.reuters.com/
- 31https://www.skynewsarabia.com/



دور بريطانيا في محو الهوية العربية والإسلامية للغة السواحيلية

■ د- صالح محروس محمد

عضو هيئة تدريس، جامعة بني سويف، مصر

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منيسوتا فرع الهند

الملخص

تعد اللغة السواحيلية من أشهر اللغات في العالم ويتحدث بها أناس في ثلاث عشرة دولة في شرق ووسط إفريقيا وهي اللغة الرسمية لنتزانيا. وكان قد وصل الإسلام إلى شرق إفريقيا قبل أن يصل للمدينة المنورة (يثر ب قبل الإسلام)، وذلك متمثلاً في هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة. وكانت اللغة العربية قد انتشرت مع انتشار الإسلام في شرق إفريقيا. وكانت اللغة السواحيلية تكتب بحروف عربية ومن اليمين لليسار، ومع وجود الاحتلال الأوربي لشرق إفريقيا، استخدمت بريطانيا المنصرين في تغيير الهوية الإسلامية للغة السواحيلية حيث فرغتها من شكلها عربي فأصبحت تكتب بالحرف اللاتيني.

تتناول هذه البحث ما قامت به بريطانيا من سياسات أثرت على هوية اللغة السواحيلية التي ولدت إسلامية سواء عبر سياساتها التعليمية في زنجبار مركز اللغة السواحيلية أو عبر المنصرين.

وتناولت هذه الدراسة المحاور التالية : أولاً- التعريف باللغة السواحيلية، ثانياً- السياسة التعليمية البريطانية وإضعاف اللغة العربية والسواحيلية، ثالثاً- السياسات البريطانية وكتابة اللغة السواحيلية بحروف لاتينية، رابعاً- جهود المنصرين البريطانيين في التأثير على بنية اللغة السواحيلية.



Abstract

Swahili is one of the most famous languages in the world and is spoken by people in thirteen countries in eastern and central Africa, and it is the official language of Tanzania. The Arabic language had spread with the spread of Islam in East Africa. The Swahili language was written in Arabic letters and from right to left, and with the European occupation of East Africa, Britain used the missionaries to change the Islamic identity of the Swahili language, as it emptied it from its Arabic form and became written in the Latin letter. This study deals with the policies undertaken by Britain that affected the identity of the Swahili language, which was born Islamic, whether through its educational policies in Zanzibar, the Swahili language center, or through the missionaries. This study addresses the following topics: First - Introduction to the Swahili language, Second - British educational policy and the weakening of the Arabic and Swahili language, Third - British policies and writing the Swahili language in Latin letters, Fourth - the efforts of the British missionaries to influence the structure of the Swahili language.

أولاً- التعريف باللغة السواحيلية:

اللغة السواحيلية من أكثر اللغات انتشارا في العالم ويتحدث بها أشخاص ثلاث عشر دولة. وكانت تكتب بحروف عربية أما الآن فتكتب بحروف لاتينية. فما هي قصة هذه اللغة؟
لمعرفة قصة اللغة السواحيلية لابد من معرفة قصة الوجود العربي في شرق إفريقيا وأيضاً انتشار الإسلام في شرق إفريقيا كون اللغة السواحيلية ولدت ولادة إسلامية وكانت تكتب بحروف عربية من اليمين إلى اليسار .



إن وجود العرب في شرق أفريقيا كان قبل الميلاد، وكان عميق الأثر وزادت قوة الأثر بين العرب والأفارقة بعد ظهور الإسلام، ونتج عن التمازج العربي والإفريقي ظهور اللغة السواحيلية وطبقاً للمعنى اللغوي، فإن كلمة سواحيلي أصلها عربي وتعنى رجل الساحل. واصطلاحاً: الشخص الذي ليس لأجداده أي لغة أخرى غير السواحيلية، وهو من أهل ساحل شرق أفريقيا والجزر المجاورة له⁽¹⁾. أو هو الشخص الذي لغته هي السواحيلية⁽²⁾. أو هو الشخص الذي أصله من ساحل شرق أفريقيا والسواحيلية هي لغته الأصلية، ومن ثمّ، فهو ملتزم بثقافته السواحيلية⁽³⁾. وازدادت هذه العلاقات قوةً ورسوخاً بعد ظهور الإسلام وكان هناك نشاط للتجار العُمانيين حيث كانوا يجمعون بين التجارة والتعليم فأنشأوا الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم وبنوا المساجد لأداء الشعائر الدينية ولتعليم الأفارقة قواعد الإسلام وشعائره الصحيحة⁽⁴⁾ ومع انتشار الإسلام اتسع معه نطاق الملاحة البحرية العربية الإسلامية في المحيط الهندي وكانت الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية أعقبها العديد من الهجرات العربية إلى أفريقيا⁽⁵⁾ وكانت زنجبار مركز هذه اللغة - اسم

(1) Hamisi Akida na wengine، Kamusi ya Kiswahili Sanifu. Nairobi، Oxford University press، 1981، uk. 192.

(2) Bakhressa، Salim K.. Kamusi ya Maana na Matumizi، Nairobi، Oxford University press، 1993، uk 256.

(3) Bakiza. Kamusi la Kiswahili Fasaha. Nairobi: Oxford University press، 2010، uk.276.

(4) السيد أحمد الباز، الحياة العلمية والثقافية في السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي من (7-9) هـ (13-15) م، رسالة كتورا غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997 م. ص 177.

(5) Coupland R، East Africa and Its Invaders from the earliest Seyyid Said in 1856 Oxford 1958 P.23



يطلق على مجموعة جزر تابعة لتنزانيا في شرق أفريقيا ولكنها تتمتع بسطة ذاتية واسعة- وتتكون من جزيرتين كبيرتين هما: زنجبار وبمبا (الجزيرة الخضراء). إضافةً إلى عدد من الجزر الصغيرة، ويُطلق على زنجبار بالإنجليزية اسم زانزبار Zanzibar وبالسواحيلية أنجوجا Unguja. وتقع جزيرة زنجبار في غرب المحيط الهندي وهي ثاني أكبر جزيرة به بعد جزيرة مدغشقر، ومعنى الكلمة ساحل الزنج، وكلمة بار مقترضة من الفارسية بمعنى ساحل، ولقد أطلق المسلمون الأوائل هذا الاسم على جميع ما عرفوه من ساحل شرق أفريقيا وسماوا البحر المقابل له ببحر الزنج (القسم الغربي من المحيط الهندي).⁽⁶⁾

وكانت كلمة سواحيلي مرادفه لكلمة مسلم لعدة سنوات طويلة ثم انقسمت إلى أفريقي وعربي لأسباب سياسية. ومع ذلك إن متحدثي السواحيلية معظمهم مسلمون سواء أكانوا من أحفاد الأفارقة أو العرب أو من فارس.⁽⁷⁾

وتعد اللغة السواحيلية لغة رسمية في جزيرة زنجبار وكان ميلاد هذه اللغة في الساحل الشرقي لأفريقيا في القرن السابع والثامن الميلادي، فحوالي 25% من مفرداتها عربية الأصل وما تبقى من أصول البانتو Bantu، وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت تقرأ وتطبع بحروف عربية، ولكن بعد ذلك وحتى الآن تكتب بحروف لاتينية.⁽⁸⁾

(6) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم، زنجبار، مرجع سابق، ص 1

(7) Harries Lyndon، The Arabs and Swahili Culture Africa: Journal of the International African Institute، Vol. 34، No. 3 (Jul، 1964)، pp. 224

(8) Tanzania today Portrait of United Republic Press Africa، London، 1967. P. 234



وتعتبر اللغة السواحيلية لغة إفريقية بانتوية تنتمي إلى عائلة اللغات النيجرية الكونغوية. ويتحدث بها أهل ساحل شرق أفريقيا بداية من جنوب الصومال إلى الجزء الشمالي من موزمبيق. وحاليا يُتحدث بها بشكل رئيسي في تنزانيا وكينيا وأوغندا. بالإضافة سبع دول أخرى في شرق ووسط أفريقيا، وهي رواندا وبوروندي والجزء الشرقي من جمهورية الكونغ والديمقراطية وجنوب الصومال وشمال موزمبيق وملاوي وشمال زامبيا. ويبلغ عدد السكان الناطقين باللغة السواحيلية حوالي 50 مليون نسمة. خارج منطقة شرق ووسط أفريقيا، وأيضاً يُتحدث باللغة السواحيلية في عمان، وبعض أجزاء من مدغشقر وجنوب أفريقيا وجيبوتي.⁽⁹⁾

اللغة السواحيلية أكثر من خمس عشرة لهجة في جميع أنحاء شرق ووسط أفريقيا. تم اعتماد لهجة Kiunguja في زنجبار كلغة قياسية وذلك منذ عام 1935 وتستخدمها وسائل الإعلام، فضلاً عن أنها تعتبر وسيلة للتعليم في المدارس والمعاملات التجارية. اللهجات الرئيسية الأخرى هي كيمفيتا Kimvita في مومباسا Mombasa، وكيام Kiamu في لامو Lamu، وكبمبا Kipemba في بمبا Pemba، وكتومبات Kitumbatu وتومباتو Tumbatu، وهي إحدى جزر زنجبار. بصرف النظر عن هذه اللهجات.⁽¹⁰⁾

ونتيجة للتفاعل بين السكان المحليين والأجانب، دخل إلى معجم اللغة السواحيلية العديد من الكلمات المستعارة من لغات أخرى مثل العربية

(9)Oswald Almasi and other, Swahili Grammar For Introductory And Intermediate Levels, University Press of America, Inc. Lanham, New York, Oxford, 2014. P. 1.

(10)Ibid. P. 2.



والإنجليزية والألمانية والبرتغالية والفارسية والهندية. وتشير الدراسات اللغوية إلى أن الكلمات الأجنبية في اللغة السواحيلية تشكل ما يقرب من 30 ٪ من المفردات، ومعظمها مقترض من اللغة العربية. هذا بالإضافة إلى أن الشعب السواحيلي يقوم بسوحة الكلمات الأجنبية من أجل تلبية احتياجاتهم الخاصة.

وتحظى اللغة السواحيلية بمكانة دولية كبيرة. حيث تم اعتمادها في الاتحاد الأفريقي، كإحدى اللغات الرسمية في أفريقيا. لسنوات عديدة، وهناك مجموعة كبيرة من البرامج تبثها شبكات الراديو باللغة السواحيلية. مثل شبكة راديو بي بي سي، وصوت أمريكا، وراديو جنوب أفريقيا، وراديو ألمانيا، وراديو القاهرة، وراديو اليابان، وراديو بكين، وراديو الهند، وراديو موسكو الدولي.⁽¹¹⁾ كما أن هناك العديد من الجامعات والكليات في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية وأجزاء أخرى من أفريقيا وخاصة مصر لديها برامج دراسية باللغة السواحيلية. وتستخدم اللغة السواحيلية في بعض أفلام أمريكا الشمالية مثل فيلم فندق رواندا Hotel Rwanda وفيلم آخر ملوك اسكتلندا Last King of Scotland وفيلم الأسد الملك Lion King وفيلم كابوس داروين Darwin's Nightmare. وهناك أيضًا العديد من الأغاني السواحيلية الشهيرة المعروفة في جميع أنحاء العالم مثل أغنية هاكونا ماتاتا Hakuna Matata (ليس هناك مشكلة)، وأغنية أنا أحبك يا ملائكة Malaika Nakupenda Malaika، وأغنية مرحب أيها السيد Jambo Bwana. هذا بالإضافة إلى ما تحتوي عليه بعض الأغاني الإنجليزية من عبارات سواحيلية مثل أغنية كل ليلة طويلة All

(11)Ibid. P.3.



Night Long التي يغنيها المطرب لاينل ريتشي، وأغنية الفتاة الليبيرالية
Liberian Girl التي يغنيها المطرب ميكل جاكسون⁽¹²⁾.

وعلاوة على ذلك، هناك المئات من مواقع الإنترنت التي تتناول قواعد
اللغة السواحيلية بالشرح، وتحدث عن التاريخ الثقافي لهذه اللغة. وجدير بالذكر
أن من أكثر المبادرات التي تهدف لترويج اللغة السواحيلية بدأت في الولايات
المتحدة، بما في ذلك مشروع القاموس KAMUSI، الشهير عالمياً والذي يديره
قسم اللغة السواحيلية في جامعة يل Yale. وأطلق كل من جوجل ومايكروسوفت
محركات بحث على الإنترنت باللغة السواحيلية لجعل السواحيلية في متناول
الجميع في كافة أرجاء العالم.⁽¹³⁾

وترجع أهمية اللغة السواحيلية كلغة أفريقية إلى أنها أهم لغات شرق
أفريقيا.⁽¹⁴⁾ ولاشك أن انتشار اللغة السواحيلية بين السكان الأصليين بجانب
العربية كان له أثر كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين القبائل التي تقيم
على الساحل وتلك التي تقيم حول الطرق والقوافل الرئيسية الممتدة من الساحل
إلى بحيرة نياسا وإلى المدن والقرى الداخلية الواقعة على بحيرة تنجانيقا فنتجت
اللغة السواحيلية عن اختلاط قبائل البانتو بعد أن أسلمت بالعرب من سكان
الساحل حيث حدث الاختلاط والتزاوج بينهم وأصبحت عامل ربط بين الساحل
والداخل وانتشرت انتشاراً واسعاً، فحمل العرب العمانيون هذه اللغة الوليدة

(12) Oswald Almasi and other, op.cit P. 3.

(13) Ibid.

(14) سليمان عبدالغنى المالكي، دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا العرب في أفريقيا،
سمنار قسم التاريخ آداب، القاهرة، 1987، ص 137.



بالداخل وانتشرت مع التجارة والتجار ووحدت بين السكان في هذه المنطقة
فكانت الثقافة السواحيلية عاملاً للوحدة. (15)

ثانياً- السياسة التعليمية البريطانية وإضعاف اللغة العربية والسواحيلية:

ولقد رسمت بريطانيا سياستها التعليمية منذ البداية على أساس إضعاف
الثقافة العربية والإسلامية في زنجبار. ووضعت منذ تأسيس إدارة التعليم في
المحمية أسس التعامل مع أمة عربية إسلامية (سلطنة زنجبار) وكيفية القضاء
على الثقافة العربية من خلال التعليم حيث جعلت التعليم في المراحل الأولى
باللغة السواحيلية، ولم تجعله بالحروف العربية كما كانت ولكن جعلتها بالحروف
الرومانية، وكذلك الاهتمام بتدريس المواد باللغة الانجليزية في التعليم لنشر ثقافة
المستعمر، فكانت اللغة العربية لغة ثالثة. وكنتيجة لاستخدام الحروف الرومانية
للغة السواحيلية أدت إلى شبه مقاطعة من الزنجباريين للمدارس الحكومية ففي
عام 1911 اضطرت السلطات لغلق ثلاث من مدارس المقاطعات لعدم إقبال
التلاميذ عليها وحتى عام 1913 م ظل عدد التلاميذ السواحيلية في المدارس
الحكومية لا يزيد عن الثلاثمائة تلميذا وهكذا ابتعد السكان المحليون ولاسيما
العرب السواحيلية عن التعليم الحكومي (16)

وكان قبل الاستعمار الانجليزي لزنجبار لم تكن في زنجبار إلا لغتين
هما السواحيلية والعربية فكان للاحتلال الانجليزي أثره في نشر لغته عن
طريق التعليم ولقد كان التعليم الحكومي في المرحلة الابتدائية بالسواحيلية بينما

(15) ناصر بن حميد العدوى، مرجع سابق، ص 29.

(16) صالحة بنت سيف بن سليمان المسكري: أضواء جديدة على المؤثرات الحضارية
العُمانية في زنجبار والجزيرة الخضراء نماذج من البحوث الفائزة في مسابقة المنتدى
الأدبي ط1 وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان 2001 ص 86



كانت الانجليزية للمرحلة الثانوية والتعليم العالي و وكان للإنجليزية أهميتها في العلاقات الدولية كوسيلة للتفاهم مع دول العالم خارج أفريقيا فالانجليزية كانت تنافس السواحيلية.⁽¹⁷⁾ فكانت الانجليزية من اللغات الموجودة في زنجبار وبمبا وتقدم في النظام التعليمي معظم الملاحظات العامة تكتب بالسواحيلية مع ترجمة انجليزية.⁽¹⁸⁾

ولقد بدأ القنصل البريطاني كيف cave إدارة التعليم في المحمية عام 1907 رداً على الجهود التي قام بها السلطان على بن حمود في إنشاء مدرسة عربية في القصر حيث استفاد من خبرة موظف خدم في مصر وهو Riners Smith في الفترة من (1907 – 1908). وفي عام 1908م افتتحت مدارس التعليم الأساسي elementary schools لمدة ثلاث سنوات وكان التعليم الأساسي يدرس باللغة السواحيلية وهي اللغة الأولى لجميع الطلاب. وكانت المواد الدراسية تدرس باللغة الانجليزية مع مادة اللغة العربية بشكل اضطراري فكان تدريس اللغة العربية جوهرياً، في فصول العرب والأفارقة المسلمين في زنجبار وبمبا، وهذه المجموعات كانت مرتابة من هذا النظام التعليمي المبتكر من حكام مسيحيين، ثم كان القرار البريطاني الذي أيدته الخبرة الاستعمارية السيدة هارى جونستون Harry Johnston وجون كيرك

(17) صالحة بنت سيف بن سليمان المسكري: المرجع السابق ص 86
(18) راجية محمد عفت اللغة السواحيلية في تنزانيا، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد 11،
معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، دبت. ص 3



John Kirk من استعمال الحروف الرومانية لتحل محل الحروف العربية في
اللغة السواحيلية (19)

ومن أهداف السياسة البريطانية التعليمية في زنجبار نشر اللغة
الانجليزية وانتشار الثقافة الانجليزية في مستعمراتها (20) وكذلك التنشئة
السياسية التعليمية للأفارقة من جانب المنصرين لإشراهم كراهية الإسلام
والثقافة العربية (21) واتبعت بريطانيا سياسة محاربة اللغة العربية في زنجبار
ويقول المغيري عن ذلك (منذ أنشئت المدارس لتعليم اللغة الانجليزية
واستخدامها في المكاتبات الرسمية في جميع الدواوين الحكومية صارت اللغة
العربية تضحل وتذهب وتغيب شيئا فشيئا، وترى الرجل العربي المولود بهذه
البلاد الإفريقية لا يعرف شيء عن اللغة العربية) ويعيب المغيري على عرب
زنجبار حيث لم يقوموا بإنشاء مدارس عربية لنشر اللغة العربية. (22)

وفى الأيام الأخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت
اللغة العربية اللغة العامة لعدة عقود ولكن مع بداية القرن العشرين كانت الغلبة
للغة السواحيلية بينما يعرفون القليل من اللغة العربية كجزء من التعليم في

(19).Bennett Norman R، A History of The Arab State of Zanzibar،
London، 1978P. 195

(20) لوردانكي: من الإمبراطورية إلى الكومنولث ترجمة السيد وفائي مراجعة حسين الحوت
القاهرة د . ت ص 54

(21) جمال زكريا قاسم : تاريخ العرب في أفريقيا سبيل التقارب أم التباعد - العرب في
أفريقيا مرجع سابق ص 25

(22) سعيد بن علي المغيري، جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر،
وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1979 ص 295



المدارس⁽²³⁾ فشجعت بريطانيا المنصرين على استخدام اللغة السواحيلية وكتابتها بحروف لاتينية بدلاً من أن كانت تكتب بحروف عربية وقام المنصرون بترجمة الإنجيل إلى اللغة السواحيلية Ki-Swahili منذ عام 1891⁽²⁴⁾ ولقد عمد المنصر الألماني كرافف krpof إلى تدوين اللغة السواحيلية بحروف لاتينية بدلاً من العربية وقام هو ومن جاء بعده من المنصرين بوضع قواعد لتلك اللغة. وكان الهدف من ذلك إفراغ الثقافة السواحيلية من مضمونها العربي والإسلامي⁽²⁵⁾ فكانت سياسة محاربة اللغة العربية عن طريق تقديم اللغة السواحيلية واللغات الأفريقية. وتشجيع اللغة الانجليزية لسيادة الانجليز، وإدخالها كلغة أساسية في مراحل التعليم المختلفة وعمل المنصرون على وقف انتشار اللغة العربية لأنها أداة نشر الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا⁽²⁶⁾ ولقد تم الاتحاد بين الإرساليات التنصيرية في شرق أفريقيا البريطانية (كينيا - أوغندا - تنجانيقا - زنجبار) لتأسيس منظمة لأدب شرق أفريقيا في نيروبي بها مكتبة لتزويد السكان بكتب مدرسية وتنمية نظام المكتبات في شرق أفريقيا البريطانية⁽²⁷⁾

(23).Horton Mark & Middleton John: The Swahili. The Social land Scope of a Mercantile Society Kenya 2000 P .186

(24).Groves C.P: The planting of Christianity. Vol. 4 London، 1958 P.361

(25) عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقيا مجلة منير الإسلام : العدد الثامن السنة 34 شعبان 1406 هـ أبريل 1986 ص 97

(26) عمر سالم بابكور : الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا مكة المكرمة 1418 هـ ص ص 271 ، 273

(27).Groves c :Op . Cit . P.291



ولقد أوضح الإداري البريطاني ويلسون Wilson في تقرير كتبه عام 1939 عن مدى انتشار اللغة السواحيلية بالحروف العربية الرومانية فقال أن 60% من شباب زنجبار و35% من ممبا كانوا يكتبون السواحيلية بحروف عربية وهذا من تأثير جهود المدارس القرآنية، بينما 2% فقط من سكان الجزيرة كانوا يكتبون بحروف رومانية وعلى الرغم من ذلك أصدرت الحكومة البريطانية إصدارتها ونشراتها بالحروف الرومانية⁽²⁸⁾ وعندما استقلت زنجبار في ديسمبر 1963 كان عدد من يتحدثون السواحيلية 230.000 من إجمالي السكان 300.000 أي أنها انتشرت بشكل واسع وكانت تكتب بحروف لاتينية بعد أن كانت تكتب بحروف عربية⁽²⁹⁾.

مما سبق يتضح لنا الدور البريطاني في إضعاف الثقافة العربية الإسلامية في سلطنة زنجبار حيث استخدام اللغة السواحيلية في التعليم و اللغة الانجليزية في التعليم وكذلك مساندة الإرساليات التنصيرية للعمل في سلطنة زنجبار وسعيها لنشر اللغة السواحيلية بحروف رومانية وظهرت أول ترجمة الإنجيل باللغة السواحيلية عام 1891 م ومحاربة المدارس القرآنية وعدم الاقتناع بتعليمها لأنها تعلم القرآن واللغة العربية .

واستخدمت بريطانيا التعليم أداة لخلق عدم موازنة عنصرية بين طوائف زنجبار فمثلاً قدمت التعليم الابتدائي لأطفال السواحيلية، أما الآسيويون فكان لهم مدارسهم الخاصة ونظموا برامج تدريبية ممتازة مختلفة عن

(28).Bennett Norman R: Op. Cit. p. 229

(29).Davidson Basal Modern Africa Second Edition, New York, 1989.

. p. 152



السواحيلية وكان للقمرين (عرب جزر القمر) برامج ونظم للتدريب الخاص بهم، أما العرب والأفارقة فلم ينجزوا في التعليم أي تحصيل⁽³⁰⁾ ويوضح بينت نورمان Bennett Norman أن أهداف السياسة التعليمية البريطانية لكل الجنسيات من أجل الاستفادة الاقتصادية من جميع الفئات حسب التفوق في المجال الاقتصادي فمثلاً التعليم الزراعي كان للعرب، والاقتصاد التجاري كان للهنود والصناعات اليدوية كانت للأفارقة. لكي يساهموا في الدور الاقتصادي والاجتماعي في زنجبار، وكذلك لعلمهم بأهمية الدور العربي في الزراعة⁽³¹⁾ ولقد وضعت بريطانيا برامج تعليمية لتحقيق أهدافها من التعليم في محمية زنجبار لكل الجنسيات فكان تعليم العرب والأفارقة في يد الحكومة ثم كان هناك التعليم التنصيري مع ارتباطهم بمسيحي البر البدائيين والتعليم الإسلامي المنتشر في الريف.⁽³²⁾ وكان من نتائج سياسة بريطانيا غير المتوازنة في التعليم أن استحوذ الهنود على 35% من الوظائف العليا بينما هم يمثلون 5.8% من السكان مما أدى إلى خلق صفحة من الصراعات على الوظائف المميزة، وخلق حالة من عدم الرضا بين الجنسيات الأخرى الذين شعروا أن بريطانيا تريد أن يظل الآسيويون في هذه الوظائف وظل الأمر كذلك حتى انقلاب 1964م⁽³³⁾.

(30).Bin Shahbal Suleiman Said، Zanzibar the Rise and Fall of An Independent State 1895-1964 U A E W.D. p .82

(31).Bennett Norman: Op Cit. P. 223

(32).Hendry W: Hendry W.: Some Aspects of Education in Zanzibar Journal of Royal African society vol No. 108 Jul. 1928 PP. 342، 343

(33).Bin Shahbal Suleiman Said: : Op . Cit. P .82



ويمكن أن نُلخص أهداف السياسة البريطانية التعليمية فيما يلي:

1. كان هدف بريطانيا من التعليم هو إيجاد موظفين لمساعدتها في إدارة المحمية لتقليل نفقة الإدارة.
2. عمدت بريطانيا إلى إضعاف الهوية العربية الإسلامية فكانت سياستها التعليمية قائمة على ذلك من البداية.
3. سعت بريطانيا إلى إضعاف اللغة العربية لغة القرآن الكريم والثقافة الإسلامية وذلك عن طريق نشر اللغة السواحيلية بالحرف اللاتيني ونشر اللغة الانجليزية.

ثالثاً- السياسات البريطانية وكتابة اللغة السواحيلية بحروف لاتينية:

ولقد كانت الفترة الاستعمارية ذات أثر كبير على اللغة السواحيلية حيث تعمدت انجلترا كتابة السواحيلية بحروف انجليزية بعد أن كانت تكتب بالعربية وذلك حتى تقوم بعزل المسلم عن تراثه وماضيه وعن القرآن الكريم حيث إن اللغة العربية هي حلقة الوصل بينه وبين القرآن الكريم وتربطه بالفكر العربي فاللغة وعاء الفكر.⁽³⁴⁾

ولقد أخذ ستير على عاتقه ومن سبقوه من رفاقه ومن أتوا بعدهم منذ اليوم الأول من وصولهم شرق أفريقيا وتعلمهم اللغة السواحيلية واستخدامهم لها في التخطيط لتحويل رسمها من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني من أجل

(34) داود سلام: مؤثرات لغوية وأدبية عربية في شرق أفريقيا، أبحاث مقدمه لندوة رأس الخيمة التاريخية من 5-7 محرم 1408 هـ الموافق 29 - 31 أغسطس 1987 م ج-2 العلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، سلطنة عُمان 1987م ص 260.



استئصال الأبجدية العربية وإحلال الأبجدية اللاتينية محلها، ثم نشر الدين المسيحي بين أفراد المجتمع السواحيلي.⁽³⁵⁾

وكانت العديد من الجرائد والمجلات تصدر باللغة السواحيلية منها جريدة عدل وإنصاف Adal insaf، وهي جريدة أسبوعية كانت تصدر بالانجليزية والسواحيلية وجريدة جاجاراتى Gujarati، وجريدة أفريقيا لنا Kwetu Afrika، باللغة السواحيلية وجريدة المرشد Mwangazi، بالانجليزية والسواحيلية وصوت العمال Voices of workers، بالانجليزية والسواحيلية بالإضافة إلى إذاعة حكومية باللغة السواحيلية Kiswahili لمدة ساعة ونصف على مدار ستة أيام في الأسبوع وكان ينتظرها الآلاف من سكان مدينة زنجبار كل ذلك من أجل نشر الإنجليزية والسواحيلية وعداء المستعمر للغة العربية.⁽³⁶⁾

وفى عام 1930 قامت اللجنة اللغوية لمنطقة شرق أفريقيا بالاعتراف بلهجة زنجبار كلغة رسمية وإعداد قاموس لها وتوحيد طريقة كتابة السواحيلية وترجمة الكتب العلمية واجتمعت لجنة أفريقيا الشرقية للسواحيلية عام 1948م the East African Swahili committee وقد بذلت بعض الجهود لتحسين النصوص ولإكمال أبحاث خاصة باللغة وقامت بنشر جريدة باللغة السواحيلية.

(35) محمد إبراهيم أبوعجل، الأدب السواحلي الإسلامي. المملكة العربية السعودية، عمادة البحث العلمي، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1422هـ/ 2002م. ص 133، 134.

(36) The British Commonwealth، Op. Cit. P. 756.



وفي عام 1964م أصبحت هذه اللجنة جزءاً من معهد أبحاث السواحيلية بجامعة
تنزانيا.⁽³⁷⁾

ولقد أوضح الإداري البريطاني ويلسون Wilson في تقرير كتبه عام
1939 عن مدى انتشار اللغة السواحيلية بالحروف العربية والرومانية فقال أن
60% من شباب زنجبار و35% من ممبا كانوا يكتبون السواحيلية بحروف
عربية وهذا من جهود المدارس القرآنية، و2% فقط من سكان الجزيرة كانوا
يكتبون بحروف رومانية وعلى الرغم من ذلك أصدرت الحكومة البريطانية
نشراتها بالحروف الرومانية.⁽³⁸⁾ وعندما استقلت زنجبار في ديسمبر عام
1963 كان عدد من يتحدثون السواحيلية 230.000 من إجمالي السكان
300.000 أي أنها انتشرت بشكل واسع وكانت تكتب بحروف لاتينية آنذاك بعد
أن كانت تكتب بحروف عربية ويتضح من ذلك الجهود البريطانية في تشجيع
السواحيلية.⁽³⁹⁾

لقد حددت بريطانيا سياستها التعليمية في زنجبار والتي وضحتها
الوثيقة التي أرسلها السكرتير العام للمحمية إلى الحكومة بتاريخ 24 / 1 /
1925 أن الهدف من التعليم هو توظيف العرب و المحليين في الإدارة ونيلهم
قدراتاً من التعليم الذي هو عبارة عن دورات ثم بعدها يحصلون على شهادات من
إدارة التعليم بالمحمية، والتعيين في الوظائف يكون من المقيمين في زنجبار

(37) راجية محمد عفت: اللغة السواحيلية في تنزانيا، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد 11،
معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، دت، ص 31. & محمد إبراهيم
أبو عجل، الأدب السواحلي الإسلامي، مرجع سابق، ص 141.

(38) Bennett Norman R: Op. Cit. P. 229.

(39) Davidson Basial: Modern Africa, Second Edition, New York,
1989, P. 152.



وأن تعيين غير المقيمين في زنجبار يتم في حالة عدم وجود من يصلح للوظائف من المقيمين، وفكرة الشهادة التي يحصل عليها يعنى أن على من يريد التوظيف في الوظائف الحكومية يكون من المقبلين على التعليم الغربي (40) ويتضح من ذلك أن الغرض من التعليم البريطاني هو في المقام الأول التوظيف في الإدارة لتقليل نفقات الإدارة فهو تعليم محدود لغرض التوظيف في الإدارة فقط. ويقول سليمان بن شهبال : (أنه لم يكن تعليماً بالشكل المعروف ولكنه وسيلة لتدريب الناس الذين تحتاجهم الإدارة الاستعمارية). ولكن في نهاية فترة الاستعمار رأت بريطانيا تنمية الريف وعمل بعض الإصلاحات ولكن كان ذلك يتم ببطء (41) وكان هدف التعليم الغربي هو تحقيق الأهداف الاستعمارية وخلق أتباع للاستعمار جيدين (42)

رابعاً: جهود المنصرين البريطانيين في التأثير على بنية اللغة السواحيلية:

وظهرت اللغة السواحيلية في زنجبار بشكلها الحالي في كتابات المنصرين البريطانيين أمثال إدوارد ستير Edward Steere، وكراف Krapf المبشر الألماني. (43) حيث وضع كراف أول قاموس ألماني سواحلي في عام

(40) F.O 372 / 370 from Costley White chief secretary to the Government 24 January 1925

(41). Bin Shahbal Suleiman Said: Op. Cit. p. 81

(42). McMahan Elisabeth Marry McMahan Elisabeth Mary Becoming Pemban: Identity, Social Welfare and Community During Protectorate Period submitted to The Faculty of the University Graduate School in Partial Fulfillment of The Requirements for the degree Doctorate of Philosophy in Department of History Indiana University, 2005. p. 201

(43) Ingram's W. H. the Dialects of Zanzibar Sultanate Bulletin of the School of Oriental Studies University London vol 3 n. 3 P. 53



1880 م ثم أضاف إليه وعدل فيه عام 1884م، والمبشر الآخر انجليزي الأصل وهو الأسقف الإنجليكاني إدوارد ستير الذي وضع أول قاموس انجليزي سواحيلي ومازال هذا القاموس مُستخدمًا حتى الآن. ولقد ترجم الدكتور جوليوس نيريري رئيس تنزانيا الأسبق مسرحيات وليم شكسبير من الإنجليزية إلى السواحيلية.⁽⁴⁴⁾ وقام كرافف بنشر قاموس للسواحيلية عام 1882 وركز على لهجة ممباسا وبعده بحوالي 25 عاما بدأ الأسقف ستير التابع لبعثة الجامعات لوسط أفريقيا في دراسة لهجة زنجبار كما نشرت بعثة الجامعات التنصيرية لوسط أفريقيا الإنجيل بالسواحيلية وأبقت على بعض الكلمات المقترضة من العربية.⁽⁴⁵⁾

ومن المسلمّ به أنه يوجد تحالف بين الاستعمار والتنصير في مجال التعليم أكثر من التحالف في النظريات السياسية، فمثلا في النواحي المالية زادت المنح السنوية الحكومية للإرساليات في الفترة من 1923 – 1949 م من لا شئ إلى 285.000 جنيه استرليني في تنجانيقا وزادت ميزانية التعليم من النصف إلى الثلث من ميزانية التعليم لمنح الإرساليات والبعثات الخاصة التي كانت تعان بأموال من الحكومات احتراماً لتعليمها هذا بالإضافة إلى ما كانوا يستلمونه من أموال من جمعياتهم ومن أعضاء الكنيسة المحلية.⁽⁴⁶⁾

وقامت الحكومة البريطانية بتشجيع البعثات التنصيرية عن طريق فتح مراكز لنشر المسيحية وكانت تشجع انتشار المسيحية عبر تأييدها للمنظمات

(44) رياض نجيب، صحافي ومدينتين رحلة إلى مدينتين سمرقند وزنجبار بيروت 1997، ص 302.

(45) McMahon Elisabeth Marry, Op. Cit. p. 9.

(46) Oliver Roland M.A: Op. Cit. p. 277



المسيحية مثل الاتحاد الأفريقي، من لاعبي كرة القدم من مسيحي البر الأفريقي (47) ولقد أوضح المغيري صاحب جبهة الأخبار بثاقب فكره أن من أهداف السياسة البريطانية " نشر الدين المسيحي بواسطة المنصرين والمنصرات وأن الرحمة التي قام بها رجال ونساء هذه الجمعيات بواسطة المدارس والمستشفيات فقد حققت نجاحاً بين الزوج فصار بعضهم يدخل في دين النصرانية" (48) وخلال سنوات الحرب العالمية الأولى قامت السياسة التعليمية البريطانية على تقديم المعونات إلى الجمعيات التنصيرية حيث قدمت الإعانات المالية إلى مسؤولي جمعية بعثة الجامعات لوسط أفريقيا Universities Mission to central Africa وكذلك للسيد جرتون Mr. Groton R.H الوزير الأول في المحمية من أجل التنمية التعليمية (49)

ويتضح مما سبق التنسيق والتعاون بين التنصير والاستعمار البريطاني وفيما يخص موضوع الدراسة قام المنصرون بتنفيذ السياسة البريطانية فيما يخص التأثير على اللغة السواحيلية حيث عمل قواميس باللغات الأوربية والسواحيلية بالحرف اللاتيني مع تفريغ المفردات من مفهومها الإسلامي.

الخاتمة

1. تعد اللغة السواحلية من أشهر لغات العالم وشرق إفريقيا وكانت قبل الوجود البريطاني في شرق إفريقيا تكتب بحروف عربية وكان في أغلب الإحصاءات أكثر من نصف مفرداتها من اللغة العربية .

(47).Bin Shahbal Suleiman Said: Op. Cit. p . 136

(48) سعيد بن علي المغيري : مصدر سابق، ص 292

(49).Hendry W.: op. cit. 1928 P. 345



2. اتخذت بريطانيا بعد إعلان الحماية على زنجبار 1890 استراتيجية تهدف لمحاربة اللغة العربية والسواحيلية في زنجبار عن طريق التعليم الذي جعل من السواحيلية اللغة الأولى واستخدمت الانجليزية وتم محاربة العربية .
3. ساهمت الإرساليات التنصيرية في تحقيق السياسة البريطانية من التعليم كون التعليم باللغة الانجليزية وكذلك باللغة السواحيلية بعد كتابتها بالحروف اللاتينية . ورغم هدف التنصير نشر المسيحية في شرق إفريقيا إلا إنه يظل الإسلام دين الأغلبية في تنزانيا، ولاتزال اللغة العربية متواجدة وكذلك السواحيلية ولكن لا يزال الأثر الاستعماري عليها .
4. تبقى السواحيلية المكتوبة بالحرف العربي شاهدة على الحضارة العربية الإسلامية التي كانت منتشرة في بلاد كثيرة في شرق إفريقيا.



قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر

أ- وثائق غير منشورة

- (1) F.O 372 / 370 from Costley White chief secretary to the Government 24 January 1925

ب-مصادر باللغة العربية

- سعيد بن علي المغيرى، جُهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 1979
- علي بن محسن البروانى، الصراعات والوثام فى زنجبار ذكريات على بن محسن البروانى، ترجمة د السيد عمر، مسقط 2010م.
- ناصر بن عبدالله الريامى، زنجبار شخصيات وأحداث 1828- 1972م، ط 2، مسقط، 2009م.

ج- مصادر باللغة الأجنبية

- Farsy، Abdullah Saleh، Baadhi ya Wanavyuoni wa Kishafi wa Mashariki ya Afrika، Zanzibar، Book Room، 1972.

ثانياً، المراجع العربية والمعرّبة

- جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م.
- جمال زكريا قاسم، الدولة العُمانية في شرق إفريقيا، ندوة الدراسات العُمانية، ج 3 وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان 1980م.



دور بريطانيا في محو الهوية العربية والإسلامية للغة السواحيلية

- رياض نجيب، صحافي ومدينتين رحلة إلى مدينتين سمرقند وزنجبار بيروت 1997
- داود سلام، مؤثرات لغوية وأدبية عربية في شرق أفريقيا، أبحاث مقدمه لندوة رأس الخيمة التاريخية من 5-7 محرم 1408 هـ الموافق 29 - 31 أغسطس 1987 م ج2 العلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا، سلطنة عُمان، 1987م
- سليمان عبدالغنى المالكي، دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا العرب في أفريقيا، سمنار قسم التاريخ آداب، القاهرة، 1987
- سيد حامد حريز، المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرق إفريقيا، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1988م.
- صلاح العقاد وجمال زكريا فاسم، زنجبار، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1959م.
- عبد الله نجيب محمد، مصطلحات سواحيلية في ضوء العلاقات الاجتماعية، معهد البحوث الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1987م.
- عمر سالم بابكور : الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا مكة المكرمة 1418 هـ
- ماتيفيف، ف. ف.، تطور الحضارة السواحيلية، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، 1988م، لبنان، بيروت، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).
- ماساو، فيدل ت. & هنري و. موتورو، ساحل أفريقيا الشرق وجزر القمر، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثالث، لبنان، بيروت، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) 1997.
- محمد إبراهيم أبو عجل، الأدب السواحلي الإسلامي. المملكة العربية السعودية، عمادة البحث العلمي، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1422 هـ / 2002م.
- محمد المحمدي رزق، الأثر العربي في الشعر السواحلي، أعمال مؤتمر العلاقات الثقافية العربية الإفريقية، 30-31 مايو، 1998م، ص 499- 516، القاهرة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية.
- نماذج من البحوث الفائزة في مسابقة المنتدى الأدبي، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، 2001م.

رابعاً، المراجع الأجنبية

- Bakiza. Kamusi la Kiswahili Fasaha. Nairobi, Oxford University press, 2010.



- Bennett Norman R, A History of The Arab State of Zanzibar, London, 1978..
- Bin Shahbal Suleiman Said, Zanzibar the Rise and Fall of An Independent State 1895-1964 U A E W.D.
- Brown Beverly, Muslim Influence Trade and Politics in the Lake Tanganyika Historical Studies, vol 4 N 3. Boston University 1971
- Coupland R, East Africa and Its Invaders from the earliest Seyyid Said in 1856, Oxford, 1958.
- Curtin and others, Africa History, London, 1965.
- Davidson Basial, Modern Africa Second Edition, New York, 1989.
- Hamisi Akida na wengine. Kamusi ya Kiswahili Sanifu. Nairobi, Oxford University press, 1981..
- Ingram's W. H, the Dialects of Zanzibar Sultanate, Bulletin of the School of Oriental Studies University, London, vol 3 n. 3.
- Jahadhmy, Ali A., Kusanyiko la Mashairi, Naironi, East African Educational Publishers, Ltd. 1977.
- Kezilahabi, E., Uchunguzi katika Ushairi wa Kiswahili. Makala za semina ya Kimataifa ya Waandishi wa Kiswahili. Dar es Salaam- TUKI, 1983.
- Khamis, Amour Aballa. Utamaduni wa Mzanzibari. Zanzibar, (BAKIZA) Baraza la Kiswahili la Zanzibar, 2008.
- King'ei, Kitula na Ndal, Ahmed. Kamusi ya Methali za Kiswahili. Nairobi, East African Educational publisher Ltd, Toleo jipya, 2009.
- Knappert, Jan. Swahili Islamic Poetry, The Netherlands, E. J. Brill, Leiden, Vol. III, 1971.



- Oswald Almasi and other, Swahili Grammar For Introductory And Intermediate Levels, University Press of America, Inc. Lanham, New York, Oxford, 2014.
- Tanzania today Portrait of United Republic Press Africa, London, 1967
- Prins A. J, the Swahill – Speaking Peoples of Zanzibar and East Africa, London, 1961.

خامساً، الرسائل العلمية

أ- رسائل باللغة العربية

- 1- السيد أحمد الباز، الحياة العلمية والثقافية في السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي من (7-9هـ) (13-15م)، رسالة كئوراء غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997م.
 - 2- حمامه خلفان أحمد غيث، التأثيرات العُمانية في زنجبار، رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1989م.
- ب- رسائل باللغة الإنجليزية

- McMahan Elisabeth Mary, Becoming Pembani, Identity, Social Welfare and Community During Protectorate Period submitted to The Faculty of the University Graduate School in Partial Fulfillment of The Requirements for the degree Doctorate of Philosophy in Department of History Indiana University, 2005.

سادساً، الدوريات

أ- باللغة العربية

- راجية محمد عفت: اللغة السواحيلية في تنزانيا، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد 11، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، د.ت.
- عبد الله نجيب محمد : الحرب على العربية في أفريقيا مجلة منير الإسلام : العدد الثامن السنة 34 شعبان 1406 هـ أبريل 1986.



- Ingram's W. H، the Dialects of Zanzibar Sultanate Bulletin of the School of Oriental Studies University London vol 3 n. 3 P. 53
- Walipora، Ken، Kumbukizi ya Profesa Ali Al' Amin Mazrui، Dar es Salaam، Chuo Kikuu cha Dar es Salaam، Taasisi ya Taaluma za Kiswahili، Jarida la Mulika Na 33، 2014.



الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من الوجود البرتغالي كما صورته الشعر السواحيلي

■ د. وائل نبيل إبراهيم عثمان
عضو هيئة تدريس، قسم اللغات الإفريقية وآدابها، جامعة
الأزهر

مقدمة:

ترجع جذور العلاقات التجارية بين عرب عمان والساحل الإفريقي الشرقي إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي (ستودارد: 1973: ج3: 73). حيث لعب العمانيون دوراً مهماً في التجارة البحرية في المحيط الهندي، فعملوا على نقل التوابل ومواد الطيب من سواحل الهند وشرق إفريقيا، إلى سواحل الجزيرة العربية تمهيداً لنقلها إلى مناطق حوض البحر المتوسط. وقد سجّل أحد المؤرخين الإغريق أن ساحل إفريقيا كان يزدحم بالسفن العربية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية، وذلك منذ القرن الأول الميلادي (الريامي: 2009: 22). ومن ثمّ كان للعرب تأثيرهم الواضح في الساحل الإفريقي الشرقي، ويبدل على ذلك أن الإغريق والرومان أطلقوا عليه اسم عزانيا Azania، نسبة إلى إحدى الممالك العربية القديمة وهي مملكة عزان التي يقال إنها وجدت في منطقة ما جنوب الجزيرة العربية في فترة سابقة على ظهور الإسلام، وانتقل سكانها إلى شرق إفريقيا حيث نسب الإغريق والرومان هذا الساحل إليهم فيما بعد (قاسم: 1996: 62).



أما بعد ظهور الإسلام فقد ازدادت هذه العلاقات التجارية ازدياداً عظيماً، ولم يقتصر العرب على النشاط التجاري هناك، بل اشتغلوا بالزراعة وعلموا غيرهم، وغرسوا شجر الكوكو وعدداً لا يُحصى من أشجار جزيرة العرب، مثل المانجو والرمان وقصب السكر، وأدخلوا زراعة القطن والسهم الهندي والبهارات الهندية والأرز، وأتوا بكثير من حيوانات بلدانهم (ستودارد: 1973: ج3: 73).

وعندما علم البرتغاليون بوجود مناجم الذهب في سوفالا Sofala جنوب كيلوا Kilwa، أبحر فاسكو دا جاما Vasco da Gama (المستكشف البرتغالي) في منتصف عام 1502م إلى ميناء كيلوا ومعه 19 سفينة حربية، واستولوا عليها وقيدوا حاكمها بالحديد ولم يفكوه إلا بعد أن فرضت عليه إتاوة مقدارها 1500 مثقال من الذهب سنويا وأن يعترف بسيادة ملك البرتغال (أبو عجل: 2002: 59). ومن ثم، بدأ البرتغاليون فرض الجبايات على مدن الساحل الإفريقي الشرقي ونهب ثرواتها والتحكم فيها مما فجر غضب أهالي هذه المدن فأذاقهم البرتغاليون ألوان العذاب. فتوجه وفد مؤلف من كافة أطراف المجتمع السواحيلي إلى عمان يطلبون النجدة من الإمام سلطان بن سيف اليعربي لإخراج البرتغاليين من بلادهم. وفي عام 1652م، لبي الإمام سلطان بن سيف دعوة السواحليين وأرسل أسطولاً لطردهم البرتغاليين وهاجمهم في زنجبار وباتي فهزمهم شر هزيمة (أبو عجل: 1996: 156-161).

ويُعد الشعر السواحيلي مصدراً غنياً في تصوير الوقائع التاريخية وتسجيلها تسجيلاً موثقاً، لذا نجد أن الشعراء السواحليين قد صوروا مدى الازدهار الذي عمّ أرجاء مدن الساحل الإفريقي الشرقي قبل وصول البرتغاليين



إليه، ثم صوّروا مدى شدة الدمار والخراب الذي خلفه البرتغاليون وخاصة في مدينة باتي Pate، ولامو Lamu، وممباسا Mombasa تصويراً شعرياً دقيقاً. وصوّروا كذلك مشاعر البغض والكراهية والعداء التي ملأت قلوب السواحيليين تجاه البرتغاليين. فضلاً عن تصويرهم لمشاعر الفرحة التي غمرت أهل الساحل واحتفائهم بقدم سلاطين عمان إليهم وبتحريرهم من الوجود البرتغالي.

ومن ثمّ، فقد ألقت هذه الدراسة الضوء على نماذج من الشعر السواحيلي التي صوّرت حال الساحل الإفريقي الشرقي قبل وصول البرتغاليين وبعده، موضحة الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من الوجود البرتغالي ونشر السلام هناك، بهدف الكشف عن مدى دقة تصوير الشعر للحقائق التاريخية من ناحية، والكشف عن القيم الفنية والجمالية التي عبّر من خلالها ذلك الشعر عن تلك الحقائق من ناحية أخرى. وذلك من خلال الاعتماد على المنهج الجمالي؛ الذي من شأنه استخلاص الملامح الفنية والجمالية من النص الشعري، والمنهج التاريخي الذي من شأنه استجلاء ما يتضمنه النص من حقائق تاريخية.

أولاً - الساحل الإفريقي الشرقي قبل وصول البرتغاليين:

في السنوات الأولى من القرن الثامن الهجري الموافق للربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، أي قبل وصول البرتغاليين بحوالي قرنين من الزمان، وفد الرحالة ابن بطوطة على الساحل الإفريقي الشرقي وتحدث عن مدى الازدهار الذي بلغه ذلك الساحل آنذاك، مشيراً إلى غلبة الطابع العربي عليه ويظهر ذلك بوضوح من خلال انتشار المنازل المبنية بالحجارة بدلاً من المنازل البدائية. ولم يكن ابن بطوطة وحده هو الذي نقل هذه الصورة المشرقة عن الساحل الإفريقي الشرقي آنذاك، بل إن هناك الكثير من المصنفين الذين أكدوا



على ما ذكره هذا الرحالة، وكذلك نجد اعتراف البرتغاليين أنفسهم بما وجدوه من حضارة زاهرة. ومن أهم من أشاد بهذه الحضارة وتحدث عنها الملاح البرتغالي فاسكو دي جاما والرحالة باربوسا Barbosa، اللذان سجلا ما وجدته البرتغاليون على الساحل الإفريقي الشرقي من مدن ومجتمعات متحضرة وتجارة مزدهرة مع الهند والشرق الأقصى (قاسم: 2000: 33-35).

ويؤكد المغيري على ذلك قائلاً: عندما وصل البرتغاليون إلى الساحل الإفريقي الشرقي أدهشهم ما وجدوه فيه من منازل ومساجد وقبور مبنية بالحجر بإحكام وهندسة، مما يدل على أن مؤسسيها كانوا من أصحاب الذوق السليم (المغيري: 1986: 83). وقد وجد البرتغاليون في جزيرة باتي Pate حكام آل نيهان، وفي ممباسا Mombasa حكاماً من أهلها، والمناذرة من العرب العمانيين، وفي جزيرة واسيني Wasini الأشراف من بني علوي، وفي زنجبار Zanzibar أجداد بني بكر العلوي (المغيري: 1986: 174). وهذا يؤكد على وجود العرب العمانيين وانتشارهم في سواحل شرق إفريقيا قبل وصول البرتغاليين إليها، وأن العرب هم الذين أسسوا هذه الحضارة آنذاك. وليس أدل على ذلك من وجود كلمة Ustaarabu الحضارة، في المعجم السواحيلي وهي مشتقة من الفعل Staarabika أي تحضّر، واسم الفاعل منها Mstaarabu متحضر، وكل هذه الكلمات اقترضتها اللغة لسواحيلية من اللغة العربية (Johnson: 1939: 436). وهذا دليل قاطع على أن العرب هم أصل الحضارة ومهدّها على الساحل الإفريقي الشرقي قبل وصول البرتغاليين. وقد صوّر الشعر السواحيلي جانباً من هذه الحضارة والرقي من خلال أبيات قصيدة الانكشاف التي تنتمي لنمط كيسارامبي Kisarambe، حيث تكوّن البيت فيها



من أربعة أسطر، وكل سطر به أحد عشر مقطوعاً. تنفرد الثلاثة أسطر الأولى بقافية موحدة على مستوى كل بيت، وينفرد السطر الرابع بقافية موحدة على مستوى القصيدة (ye) وقد وصف الشاعر في البيت التالي حال أهل هذا الساحل بقوله:

Uwene wangapi watu wakwasi كم رأيت من أناس أثرياء
walo wakiwaa kama shamsi الذين كانوا مثل الشمس
Wamuluku zana za adharusi يملكون أدوات القتال
dhahabu na fedha wakhiziniye. ويكنزون الذهب والفضة
(Stigand: 1915:75)

صوّر الشاعر السواحيلي عبد الله بن ناصر في هذا البيت المستوى الاقتصادي المرتفع الذي تمتع به أهل جزيرة باتي آنذاك، حيث كانوا تجاراً أثرياء عندهم المال الوفير والذهب والفضة، ولديهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم وأموالهم ضد أي معتد باستخدام أدوات القتال التي كانوا يملكونها. والشاعر يتعجب من كثرة عدد الأثرياء في هذه المنطقة معبراً عن هذا التعجب من خلال كلمة wangapi كم، ومشبهاً إياهم بالشمس التي لا تخطئها عين. أما عن منازلهم فقد قال الشاعر:

‘Nyumba zao mbake zikinawiri بيوتهم مصابيح إذا أنارت
kwa taa za kowa na za sufuri; بمصابيح بلورية ونحاسية
‘ Masiku yakele kama nahari فيصبح الليل كالنهار
haiba na jaha iwazingiye. تحيطهم الهيبة والجاه

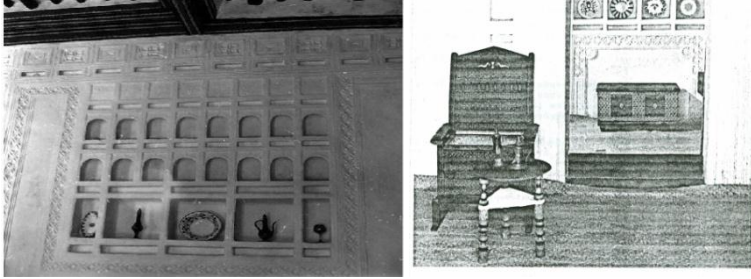


Wapambiye Sini ya kuteuwa وزينوها بالخزف الصيني المنتقى
Na kula kikombe kunakishiwa وكان كل فنجان منقوشاً
Kati watiziye kuzi za kowa وفي الوسط إبريق من البلور
Katika mapambe yanawiriye في زينة متألئة
(Stigand: 1915:76)

وصف الشاعر السواحيلي مدى الترف الذي عاش فيه أهل جزيرة باتي بأنهم كانوا يضيئون بيوتهم بمصابيح بلورية ونحاسية، وقد شبه الليل بالنهار تعبيراً عن شدة إضاءة هذه المصابيح، مما يشير إلى مدى التقدم والرقي الذي كانوا يعيشون فيه آنذاك. حيث أكد ماتفييف على ذلك بقوله: إن اكتشاف مسارج (أو قناديل) آنذاك يفترض وجود درجة عالية من الحضارة. وعلى ما يبدو، فإن هذه المسارج كانت تستخدم في إضاءة الأجزاء المظلمة من المنازل (ماتفييف: 1988: 472). وليس ذلك فحسب، بل كانوا يزينون منازلهم بالخزف الفاخر المستورد من الصين. ثم أوضح الشاعر الأماكن التي توضع فيها هذه الزينة على وجه التحديد فقال في بيت آخر من نفس القصيدة:

Madaka ya nyumba ya zisahani (المزينة) طاقات جدران المنزل
(Stigand: 1915:76) بالأطباق الصينية

بيّن الشاعر في السطر الشعري السابق أن أماكن الزينة في منازل أهل جزيرة باتي آنذاك تسمى Madaka، وهي طاقات كبيرة مجوفة في جدران المنازل يوضع بداخلها الأطباق الصينية كما هو واضح في الصورة رقم (1).



صورة رقم (1)

الأواني المصنوعة من الخزف الصيني المزين بها جدران المنازل
وجدير بالذكر أن الخزف الصيني كان من أهم السلع التي كانت تصل
إلى ساحل شرق إفريقيا، حيث كان أهل الساحل يزينون به جدران منازلهم،
ويتغنون به في أشعارهم السواحيلية وذلك لجودته العالية وأشكاله الرائعة.
ويؤكد إيفان هربك على هذا قائلاً: لقد عُثر على كميات ضخمة من أواني
الخزف الصيني في المدن الساحلية بشرق إفريقيا، وهذا يعني أن هذه الأواني
كانت تشكل حتماً جزءاً مهماً من الصادرات الصينية إلى إفريقيا (هربك،
1997: 44). وهذا كله يوضح مدى الرفاهية والحضارة التي تمتع بها أهل
الساحل الإفريقي الشرقي قبل مجيء البرتغاليين.

ثانياً - الساحل الإفريقي الشرقي بعد وصول البرتغاليين:

ومنذ أن وصل البرتغاليون إلى الساحل الشرقي الإفريقي وهم في حرب
مستمرة مع أهل هذه السواحل وقد أكد على ذلك كولين ريد Colin Reed، قائلاً:



Wareno hawakuja kwa amani. Tangu mwanzo walianza

kupigania vita na wenyeji wa miji hii ya pwani (Reed: 2007: 27)

لم يأت البرتغاليون بالسلام. فبمجرد وصولهم بدأوا في محاربة أهل هذه
المدن الساحلية.

ومعلوم تاريخياً أن من ضمن المدن التي حاولوا الاستيلاء عليها مملكة
باتي عام 1041هـ، وبعد وقوع حرب ضارية بينهم وبين أهل باتي صار
البرتغاليون يظلمون ويهتكون أعراض النساء، واستبدوا بالأوامر في باتي بعد ما
فتحوها (المغبري: 1986: 190). وقد صور الشاعر السواحيلي السيد/ عبد الله
بن ناصر مدى شدة الدمار الذي خلفه البرتغاليون في جزيرة باتي تصويراً شعرياً
دقيقاً ومعبراً، وذلك في الأبيات التالية من قصيدة الانكشاف:

Nyumba zao mbake ziwele tame

Makinda ya popo iyu wengeme

Husikii hisi wala ukeme

Zitanda matandu walitandiye.

أصبحت منازلهم المنيرة حطاماً

يحلق حولها صغار الخفافيش

فلا تسمع صوتاً خفياً ولا ظاهراً

وعلى الأسرة نسجت العناكيب

خيوطها

Madaka ya nyumba ya zisahani

Sasa walaliye wana wa nyuni

Bumu hukoroma kati nyumbani

Zisiji na koti waikaliye.

طاقات جدران المنزل (المزينة)

بالأطباق الصينية

الآن تنام فيها فراخ الدجاج المائي

والبوم يصيح في وسط هذه المنازل

وتعيش فيها أنواع الطيور المختلفة



- Wana wa zipungu wapende zango وفرخ النصور صارت تحط هناك
- 1 Na wana wa ndiwa humia shingo وصغار اليمام يثني رقبته
Na kupija mbawa mitungo tungo ويرفرف بأجنحته كثيراً وعشش
Zikwi na zitati waliwashiyе. الحمام وصغار الطيور هناك
- Nyumba kati zao huvuma mende وفي وسط منازلهم تخشخش
2 Kumbi za msana zalia ng'ende الصراصير وفي مخيمات الختان
Yalingie vumbi makumbi yande تصيح الضفادع ويخيم السكنون
Kuwa mazibala yalisiriye. على الصالات الخارجية
فصارت هي والمزابيل سيان
وأصبحت أفنية المنازل غابة
- Ziwanda za nyumba ziwele mwitu; بحشائشها الكثيفة ونباتاتها المتسلقة
3 Ungi wa matuka na matukutu والأبواب الخارجية ترعب الإنسان
Milango ya ndia yatisha mtu بما يخيم عليها من سكون وظلام
Kwa kete na kiza kilifundiye. وإذا كنت لا تصدق وتقول إنه كذب
فأذهب إلى منازلهم وأدر رقبته
- Kwamba usadiki hwamba فإذا ناديت فلا مجيب إلا الصدى
4 'Mbuwongo' إذ إن صوت البشر قد تلاشى
Enda nyumba zao uzinde shingo وانتهى.
Ukita hwitikwi ila ni mwango
Sauti ya waja itindishiye.
- (Stigand: 1915:77)

والقارئ لهذه الأبيات يجدها مليئة بالكنايات والصور المجازية التي
توضح حجم الدمار الذي ألحقه البرتغاليون بأهل مدينة باتي. ومن هذه الصور
المجازية، تصوير الشاعر لمنازل أهل هذه المدينة التي أصبحت مجرد أطلال بعد



الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من
الوجود البرتغالي كما صورته الشعر السواحلي

أن كانت قصوراً زاهية، وأضحت مسكناً للخفافيش والعناكيب والبوم والنسور،
وأمتت أعشاشاً لليام والحمام، وسارت جحوراً للصراصير والضفادع ومقالب
للنفايات، وبانت كالغابة التي تتسلقها النباتات، وكالأوكار المخيفة التي يخيم عليها
السكون والظلام بعد أن كانت قصوراً مزينة بالخزف الصيني. والشاعر يدعو
القارئ أن يذهب بنفسه إلى جزيرة باتي ليرى صدق ما يقول وحقيقته، ويحكم
بنفسه على ما يرى أمام عينيه (أبو عجل: 2002: 307).

وعندما اتجه البرتغاليون إلى جزيرة لامو للاستيلاء عليها استسلم حاكمها
وشيوخها رغماً عنهم وفرض عليهم إتاوة مقدارها 600 مثقال من الذهب سنوياً
على أن يتم الدفع الأول في التو واللحظة. وأن تقوم لامو بتزويد الأسطول
البرتغالي بالموء وخاصة الطعام. وقد كان لهم ما اشترطوا (أبو عجل:
1511996). ومن ثمَّ عبَّر أحد شعراء لامو عن استيائه مما ارتكبه البرتغاليون
من تخريب وتدمير قائلاً:

Kwa manuwari nijiyey njema dha أتيتُ إلى سفن البرتغاليين العملاقة
Por'tugesi لأسألهم بأي ذنب تدمرون الناس
Nivavudhe hatiayey ya kuharibu عجباً لمدافعها إنها تصدر أصواتاً قوية
unasi كالذرة المقلية (الفسار)
Ajabu nda midhingayey yavalika فالسفن لا تسافر اليوم، لوجود شخص
kama bisi محب للنزاع في المحيط
Eo dhombo hadhibisiy ntimbi u
baharini

كُتبت هذه الأسطر الشعرية السابقة في فترة الاستعمار البرتغالي بلهجة
Kitikuu، وهي إحدى لهجات اللغة السواحيلية، ويُتحدث بها في شمال جزيرة



لامو (Chiraghdin & Mnyampala: 1978: 49). وينتمي هذا البيت لنمط الأغنية Wimbo، حيث تكون من أربعة أسطر وكل سطر اشتمل على شطرين، في كل سطر ثمانية مقاطع. وقد التزم الشاعر بقافية الوسط (ye) والعجز (si) في الأسطر الثلاثة الأولى، أما السطر الرابع فقد التزم بقافية الوسط (si) والعجز (ni). والشاعر في هذه الأسطر يوجه سؤالاً استنكارياً للمستعمر البرتغالي قائلاً له: لماذا تدمرون أبناء الساحل الإفريقي الشرقي؟ وما الذنب الذي ارتكبه لكى تستبيحوا دماءهم وأعراضهم بهذه الطريقة؟ ثم يتعجب الشاعر من أصوات القذائف المتلاحقة التي تطلقها مدافعهم مصوبين إياها على صدور السواحيليين ومنازلهم، مشبهاً ذلك بصوت الذرة المقلية الذي لا يتوقف. وفي ذلك إشارة واضحة لحجم الدمار والتخريب المستمر والهائل الذي حل بالساحل الإفريقي الشرقي. كما ذكر الشاعر أن حركة الملاحة للسفن تكاد تكون متوقفة تماماً بسبب هذا الدمار الذي قضى على الأخضر واليابس، ولأن المستعمر البرتغالي الذي تسبب في ذلك لا تزال سفنه موجودة على الساحل.

وأما جزيرة ممباسة، فقد استولى البرتغاليون عليها وشددوا الخناق على أهلها، ولذلك عُرِفَت هذه الجزيرة آنذاك باسم Mvita، المأخوذ من كلمة Vita الحرب، إشارة إلى كثرة الحروب التي خاضها أهل هذه الجزيرة آنذاك (Chiraghdin & Mnyampala: 1978: 40). وكان للبرتغاليين حصن منيع في ممباسة يُعرف بحصن يسوع، فكانوا يحتمون به وينفذون سياستهم الجديدة القائمة على استغلال قوتهم والوضع الاقتصادي المتردي للمواطنين لتنتصير الناس، وقرروا الإغفاء من الضرائب لمدة 15 عام لمن ينتصر، هذا بالإضافة إلى منحه هدايا عينية. وحاربوا الثقافة الإسلامية في المنطقة وبنوا الكنائس لأول مرة



على الساحل (أبو عجل: 1996: 157). مما أوجع مشاعر الغضب والكرهية
والعداء في نفوس أبناء المجتمع السواحيلي فعبر شعراؤهم عن ذلك شعراً
منظوماً.

ثالثاً - مشاعر أهل الساحل الإفريقي الشرقي تجاه البرتغاليين:

امتلأت صدور أهل الساحل الإفريقي الشرقي وقلوبهم كراهية وبغضاً
وعداء للبرتغاليين بسبب ظلمهم واعتدائهم الوحشي على أبناء المجتمع السواحيلي
بغير وجه حق. وقد عبرت الشاعرة السواحيلية السيدة بنت خميس مويني مفيتا
Mwana Hamisi Mwinyi Mvita، عن ذلك في البيت التالي قائلة:

أيها الأوروبي ميجويل إنك كذاب
Mzungu Migeli u mwongo،
وإن عينيك بها عور
Mato yako yana tongo،
لماذا تركت الجنود
Kwani kuata mpango،
يذهبون إلى الكوخ في الفناء
Kwenda kibanga uani (Hichens:
1979: 88)

يُلاحظ أن هذا البيت ينتمي لنمط الأغنية، حيث تكوّن من سطرين، وكل
سطر به شطران، وكل شطر احتوى على ثمانية مقاطع، وانفردت الثلاثة أشطر
الأولى بقافية موحدة على مستوى البيت (go)، أما الشطر الرابع فقد انفرد بالقافية
(ni). وقد استخدمت الشاعرة في صدر الشطر الأول من البيت السابق اسم
Migeli/Miguel ميجويل، كرمز للبرتغاليين واصفة إياهم بصفات مشينة
تكشف عن حجم الكراهية التي تغلغت في نفسها وفي نفوس أبناء مجتمعها
تجاههم. وأولى هذه الصفات ممثلة فيما تشير إليه كلمة Mzungu، التي تعني
شخصاً أوروبياً الأصل. وفي هذا السياق قد تحمل هذه الكلمة معنى السخرية
والاستهزاء. ووردت الصفة الثانية في عجز الشطر الأول من البيت السابق في



قول الشاعرة: u mwongo أنت كذاب أو مخادع. كما وصفتهم في الشطر الثاني بالعمور قائلاً: Mato yako yana tongo، في عينيك عور. إشارة إلى أن ميغويل هذا قرصان يرتدي على إحدى عينيه ضمادة. أي أنها أرادت أن توضح حقيقة البرتغاليين وأنهم ليسوا إلا مجموعة من القراصنة اللصوص الذين جاءوا بحرا لنهب ثروات الساحل الشرقي الإفريقي. ثم أكدت على الوصف الأول (أنهم كاذبون أو مخادعون) في الشطر الثالث والرابع، حيث قالت ما معناه أنهم غير ملتزمين بما يقولون. وطبقاً لما قاله تيلور Taylor إن هذه الأسطر الشعرية القديمة يرجع تاريخها إلى وقت جلاء البرتغاليين عن حصن يسوع في ممباسة، بعد قيامهم بهتك أعراض الممبسات وإهانتهم، مما تسبب في حرب ضارية بينهم، وكان ميغويل هذا قسيساً برتغالياً يعيش في ممباسة آنذاك (Taylor: 95، 1891: 96). فمن خلال هذا البيت أرادت الشاعرة أن تعرب عما يجول في صدرها وفي صدور أهل ممباسة من كراهية وعداء لهذا المستعمر الغاشم.

وقد أكد شاعر سواحيلي آخر على هذه الكراهية التي تكنها الصدور قائلاً:

ارحل يا منويل إنك جعلتنا
نكرهك
Enda Manoeli ututukizie

ارحل والصليب احمله
معك
Enda na sulubu uyitutiziye (Knappert:
1979: 18)

تجدد الإشارة إلى أن هذا البيت ينتمي إلى نمط الأغنية، حيث تكون من سطرين، واحتوى كل سطر على شطرين، وكل شطر به ستة مقاطع، والتزمت الشاعرة بقافية العجز (e). وتظهر من خلال كلمات هذا البيت مشاعر المجتمع السواحيلي المتأججة بالكراهية والعداء للبرتغاليين. ويدعم هذا المعنى ويقويه ما



صرّح به الشاعر في عجز السطر الأول بشكل واضح ومباشر حيث قال: ututukizie جعلتنا نكرهك. هذا بالإضافة إلى تكرار فعل الأمر المباشر للمخاطب المفرد Enda اذهب، وذلك في بداية السطر الأول والثاني من البيت السابق. واستخدم الشاعر في منتصف السطر الأول اسم منويل، كرمز إلى البرتغاليين، وذلك في الغالب نسبة إلى ملك البرتغال منويل الذي اعتلى العرش في البرتغال عام 1495م، وكان أول من يرسل بالأسطول البرتغالي إلى المنطقة السواحيلية (أبو عجل: 1996: 169). وقد جاء على لسانه أن الغرض من إرسال الأسطول البرتغالي إلى سواحل شرق إفريقيا هو نشر الديانة المسيحية والاستيلاء على الثروات (المليباري: 1985: 246). ومن ثمّ، أدرك السواحيليون ذلك فكان الإسلام راسخاً في قلوبهم رسوخ الجبال الرواسي، لذلك يقول الشاعر السواحيلي في السطر الثاني من البيت السابق: Enda na sulubu، uyitutiziye، ارحل والصليب، احمله معك. أي أن وجودك في بلدنا غير مرغوب فيه، فارحل غير مأسوف عليك، ولا ترحل بمفردك، بل ارحل وخذ صليبك معك. وكلمة sulubu الصليب، استخدمها الشاعر إشارة إلى الديانة المسيحية التي أراد البرتغاليون نشرها في سواحل شرق إفريقيا لأنه رمز لها.

رابعاً - مشاعر أهل الساحل الإفريقي الشرقي تجاه العمانيين:

وعلى الرغم من أن البرتغاليين تمكنوا من تشديد قبضتهم على الساحل الإفريقي الشرقي، إلا أنهم لم يتمكنوا من أن يحتفظوا بهذه السيطرة طويلاً، إذ تمكن الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان اليعربي سلطان عمان وخلفاؤه من القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي وشرقي إفريقيا (قاسم: 2000: 40). حيث توجه وفد يمثل جميع قبائل الساحل إلى عمان طالبين النجدة من إمام



مسقط وعمان سلطان بن سيف اليعربي لإخراج البرتغاليين من بلادهم. وفي عام 1652م، لبي الإمام دعوة السواحليين وأرسل أسطولاً لطردهم البرتغاليين وهاجمهم في زنجبار وباتي فهزمهم شر هزيمة (أبو عجل: 1996: 161). ومن ثم، سجل الشعر السواحيلي في حينه مشاعر الفرحة التي غمرت أهل الساحل بتحريرهم من النفوذ البرتغالي قائلاً:

Huweza kucheza Katikati يمكنهم اللعب وسط البحار
baharini

Hawakuweza Karibu na ولكن لا يمكنهم الاقتراب من
Kilindini كلينديني

ينتمي هذا البيت إلى نمط الأغنية، حيث اشتمل السطر الأول على أربعة عشر مقطوعاً، والسطر الثاني على ثلاثة عشر مقطوعاً، والتزم الشاعر بقافية الوسط (za) وقافية العجز (ni). ومن الملاحظ أنه بعدما حرر العمانيون أهل الساحل الإفريقي الشرقي من برائن البرتغاليين تماماً علت هتافاتهم مدوية بهذا البيت الشعري السابق تعبيراً عن فرحتهم الشديدة وسعادتهم الغامرة بهذا النصر المبين الذي رزقهم الله به على أيدي العمانيين. لذلك يقول الشاعر بنبرة يعلوها الفخر والاعتزاز والسخرية والاستهزاء من المستعمر البرتغالي إنه من الآن فصاعداً يمكنه اللعب وسط المحيط والعودة إلى بلده، ولكنه لا يمكنه مجرد الاقتراب من ميناء كلينديني بمباشرة.

ومنذ ذلك الحين زادت العلاقات بين أهل الساحل الإفريقي الشرقي والعمانيين قوة وصلابة، فكان السواحليون يفرحون بزيارة سلاطين عمان لهم، ويحتفون بهم ويستقبلونهم استقبالاً حافلاً بالأغاني الشعرية. وإذا غادروا



الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من
الوجود البرتغالي كما صورته الشعر السواحيلي

يودعونهم ويدعون لهم ويريدون لهم العودة دائماً وأبداً. وقد ذكر المغيري أن
السلطان حمود بن محمد بن سعيد (انظر الصورة رقم 2) جاء إلى جزيرة زنجبار
في أيام دولة عمه برغش بن سعيد، فقبل بالاحتفاء والتبجيل، ثم سافر إلى لامو
وممباسة والجزيرة الخضراء (بمبا Pemba)، فقدمت له الخطب والأغاني،
وزيّنت المدن، واحتشد الناس لملاقة عظمته (المغيري: 1986: 401-402).



صورة رقم (2)

السلطان حمود بن محمد بن سعيد البوسعيدي (1896 - 1902م)

ومن هذه الأغاني ما نظمها الشاعر السواحيلي محمد كيجوما
Muhamadi Kijuma، وتغنى به أهل جزيرة لامو لاستقبال السلطان حمود
أنداك قائلين:

Tumetoka tutokako
Anasa upeo
Kukurubia ulipo

لقد جنناك
بفرح عظيم
لنرحب بك

Kwa letu pumbao
Bwana huno ni mwaliko
Maringo yayao (Abou Egl: 1983
60)

وتعترينا حالة من الارتباك
يا سيدي: إن هذه مجرد مقدمة
والمدح سيأتي.



يظهر من خلال هذه الأغنية مدى الحفاوة والترحاب والتبجيل الذي حظى به السلطان حمود من أهل لامو عندما استقبلوه، حيث أكدوا على فرحتهم العارمة وسعادتهم الغامرة وترحيبهم الكبير بقدوم هذا السلطان، الذي قيل عنه إنه أول السلاطين البوسعيديين، من أولاد الإمام الذين زاروا الجزيرة الخضراء (المغيري: 1986: 403). وقد صور الشاعر محمد كيجوما مدى فرحة أهل لامو بهذه الزيارة الكريمة قائلاً: Kwa letu pumbao تعترينا حالة من الارتباك، إشارة إلى أن حالة الارتباك هذه ناتجة عن شدة فرحتهم بقدوم السلطان. ومن الأغاني التي نظمها الشاعر محمد كيجوما أيضاً لهذه المناسبة قوله:

Ya Wahidu Subhana	يا الله يا واحد سبحانهك
Ya Suudu Sayyidana	يا سيدنا يا صاحب السؤدد
Sayyidi Hamudu maulana	أيها السيد حمود مولانا
Tumekuya kwako Bwana	جننا إليك أيها السيد
Kuamkia sute watumwa	لنحيبك فنحن جميعا رعاياك
Sayyidi Hamudu maulana (Abou Egl	أيها السيد حمود مولانا
1983: 61)	

تنتمي الأبيات السابقة إلى نمط الأغنية، حيث تألف كل بيت من ثلاثة أسطر، واحتوى كل سطر على ثمانية مقاطع. ومن الملاحظ أن هذه الأبيات السابقة قد عبّرت عن مشاعر أهل لامو الفياضة وأحاسيسهم الجياشة التي غمرتها الفرحة والتبجيل والاحترام لعظمة السلطان. وقد سجل الشعر السواحيلي كذلك توديع أهل لامو للسلطان حمود عند مغادرته وذلك على النحو التالي:



M Bwa pumbao	إنه المحتفى به
Wetu Sayyidi	هو سيدنا
Pia hao	وأولئك أيضا
Huyu mezidi	هذا الذي فاقهم
Enda kwao	إنه ذاهب حيث يقيم
Nshalla tarudi (Abou Egl: 1983: 62)	وإن شاء الله سيعود

ثم يكرر مجموعة من المنشدين قولهم:

Atarudi - Nshalla tarudi	سيعود إن شاء الله سيعود
Atarudi - Nshalla tarudi (Abou Egl 1983: 62)	سيعود إن شاء الله سيعود

إن أهل لامو قد استقبلوا السلطان بكل حفاوة وكذلك ودعوه بكل حب
وشوق إلى عودته إليهم سلاماً غانماً دائماً وأبداً، داعين الله له بقولهم:

Rabi takujaalia	رب يجعل
Dola yako itukuke	دولتك معظمة
Rabi takujaalia	رب يقدر لك
Kulla kheri akwegeshe	كل خير ويقربك منه
Kwa baraka za Nabia	وببركات نبينا
Mola wetu akuweke (Abou Egl 1983: 63)	ربنا يحفظك

وعقب الانتهاء من هذا الدعاء يأمن أهل لامو بقولهم آمين آمين. فمن
خلال هذا الدعاء الذي توسل به أهل لامو إلى الله تعالى للسلطان حمود يظهر



مدى حبهم له وتعظيمهم إياه. وفي الوقت نفسه نجد أن أهل زنجبار ينتظرون
عودة السلطان بفاغ الصبر ويعبّرون عن شغفهم هذا بقولهم:

Waunguja	أهل زنجبار
Kope huwapija	لا يغمض لهم جفن
Hawalali	ولا ينامون
Bwana humngoja	إنهم ينتظرون السيد
Ya Jalali	يا جليل
Tamwawika koja (Abou Egl: 1983 62)	سنقلده عقداً من الزهور

تنتمي الأبيات السابقة إلى نمط الأغنية، حيث تكوّن البيت من ثلاثة
أسطر، وتراوح عدد المقاطع في كل سطر من أربعة إلى ثمانية. ومن الملاحظ أن
الأغنية السابقة تُظهر مدى حب أهل زنجبار لسلطانهم السيد حمود، حيث عبّروا
عن حبهم له في البيت السابق موضحين أنهم لا ينامون ولا يغمض لهم جفن حال
غيابه عنهم، وهذا التعبير كناية عن مدى اشتياقهم إلى عودته حتى يستقبلونه
بالزهور والورود.

وكذلك سجل الشعر السواحيلي حب أهل الساحل الإفريقي الشرقي
للسلطان خليفة (الثاني) بن حارب بن ثويني بن سعيد بن سلطان بن الإمام (انظر
الصورة رقم 3). الذي كان أطول سلاطين زنجبار حكماً، وشابه في ذلك جده
السيد سعيد بن سلطان، حيث قضى في الحكم قرابة خمسين عاماً، وعلى وجه
التحديد من عام 1911م، حتى وفاته عام 1960م. وليس من شك أن حكمه
الطويل قد أكسبه خبرة كبيرة وتفهماً للأمور، فضلاً عما تميز به من شخصية



قوية ومحبة الرعاية له (قاسم: 2000: 356). وتُعتبر أيام حكمه العصر الذهبي
لزننبار (المغيري: 1968: 19).

ومن ثمّ، فقد سجل الشعر السواحيلي احتفال أهل الساحل الإفريقي
الشرقي واحتفائهم بمرور ثمانية وأربعين عاماً في حكم السلطان خليفة بن حارب،
حيث نظم الشاعر السواحيلي السيد حاج صالح حاج Hija Saleh Hija، من
جزيرة أونجوجا تسعة أبيات شعرية معبراً فيها عن حبه وحب أهل جزيرة
أونجوجا لهذا السلطان واحتفالهم بهذه المناسبة الطيبة. من هذه الأبيات ما يلي :

Mtukufu mahabubu mzuri wa kila المعظم المحبوب رفيع
shani الشان

Kumsifu ni wajibu raia wa مدحه واجب على أهل
visiwani الجزيرتين

Amewashinda mababu waliotawala فاق آباءه الذين حكموا
zamani. قديماً

Siku aliyotawala ni kama leo وفي مثل هذا اليوم كان قد
jamani، تولى الحكم

Furaha kila pahala zilikuwa الفرحة في كل مكان في
duniani، الدنيا

Hapakuwa na suala alipokaa kitini. فلم يكن هناك مشكلة منذ
أن جلس على العرش



الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من
الوجود البرتغالي كما صورته الشعر السواحيلي

Disemba tarehe tisa naintini في التاسع من ديسمبر عام
ileveni 1911
Ndiyo siku yako hasa aloshika كان يومه الذي تولى فيه
usukani الحكم
Kwa hivyo inatupasa siku لذلك يجب علينا أن نمجد
tuitukuzeni. هذا اليوم
(Hija: 1959: 382)



صورة رقم (3)

السلطان خليفة بن حارب بن ثويني (1911-1960م)

تنتمي الأبيات السابقة إلى نمط الأغنية، حيث تكون البيت فيها من ثلاثة أسطر، وكل سطر احتوى على شطرين، في كل سطر ثمانية مقاطع. وقد أرخت هذه الأبيات لليوم الذي تسلم فيه السلطان خليفة بن حارب العرش وهو يوم السابع عشر من ذي الحجة لعام 1329هـ، الموافق التاسع من ديسمبر لعام 1911م، وكان خلفاً للسلطان السيد علي بن حمود. وقد نُظمت هذه الأبيات ونُشرت في جريدة المعرفة الزنجبارية الأسبوعية بتاريخ 9 ديسمبر من عام 1959م، من أجل الاحتفال بمرور ثمانية وأربعين عاماً على وصول هذا السلطان المعظم لسدة



الحكم، مما يوضح مدى حب أهل جزيرة أونجوجا لهذا السلطان وتقديرهم لدوره في حكم زنجبار خلال هذه الفترة. وهكذا فقد سجل الشعر السواحيلي مشاعر الحب والفرح والاحترام التي غمرت قلوب أهل الساحل تجاه سلاطين عمان تعبيراً عن امتنانهم لهم وتقديراً لدورهم الكبير في تحريرهم وإنقاذهم من المستعمر البرتغالي.

خاتمة:

تناولت هذه الدراسة تصوير الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من الوجود البرتغالي تصويراً شعرياً دقيقاً من خلال إلقاء الضوء على نماذج من أبيات الشعر السواحيلي، مقسماً إياها إلى أربعة محاور؛ المحور الأول عبارة عن أبيات شعرية توضح مستوى الحضارة والرقي الذي عاش فيه أهل الساحل قبل وصول البرتغاليين إليهم. والمحور الثاني عبارة عن أبيات شعرية تبيّن كيف تمكن البرتغاليون منذ وصولهم إلى الساحل الإفريقي الشرقي من تقويض أركان صرح هذه الحضارة. والمحور الثالث عبارة عن أبيات شعرية تُظهر مشاعر البغض والكراهية والعداء التي ملأت صدور أهل الساحل تجاه المستعمر البرتغالي. أما المحور الرابع والأخير فقد أوردت الدراسة فيه أبيات شعرية توضح مشاعر الحب والود والتقدير والاحترام التي غمرت قلوب أهل الساحل نحو العمانيين تقديراً لدورهم في تحريرهم من النفوذ البرتغالي. وقد خرجت هذه الدراسة بالنتائج التالية:

1- عاش أهل الساحل الإفريقي الشرقي في رخاء اقتصادي، وحالة من الرقي والحضارة والتقدم قبل وصول البرتغاليين إليهم، وكان العرب هم أصل هذه الحضارة وسبب نشأتها.



- 2- أظهر الشعر السواحيلي مدى شدة تدمير البرتغاليين للحضارة التي كانت موجودة على الساحل الإفريقي الشرقي.
- 3- كشف الشعر السواحيلي عمّا أسرته صدور أهل الساحل من كراهية تجاه البرتغاليين من ناحية، وكذلك أوضح حبهم وتقديرهم واحترامهم للعرب العمانيين من ناحية أخرى.
- 4- سجّل الشعر السواحيلي الدور الذي قام به العمانيون في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من الوجود البرتغالي تسجيلاً موثقاً.
- 5- قد يُؤرخ لبداية عصر الاضمحلال في الأدب السواحيلي منذ دخول البرتغاليين إلى الساحل الإفريقي الشرقي، نظراً لقلّة الأبيات الشعرية الموجودة آنذاك، بينما يُؤرخ لبداية عصر النهضة الأدبية منذ عهد الحكم العماني لشرق إفريقيا.
- 6- قد يرجع سبب انتشار نمط الأغنية في هذه الفترة التي تعرّضت لها هذه الدراسة إلى سهولة نظمه ومناسبته لموضوعها لموضوع الأبيات الواردة في مادة البحث.



قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

- أبو عجل، محمد إبراهيم. *الأدب السواحلي الإسلامي*. المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود، (1422هـ / 2002م).
- أبو عجل، محمد إبراهيم. *البرتغاليون وشرق أفريقيا (تاريخاً ولغة وأدباً)*. مجلة كلية اللغات والترجمة، العدد السابع والعشرون (1417هـ / 1996م)، 144 - 195.
- الريامي، ناصر بن عبد الله. *زنجبار شخصيات وأحداث (1828-1972م)*. ط 2، القاهرة: مكتبة بيروت، 2009م.
- المغبري، سعيد بن علي. *جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار*. ط 2، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، 1406هـ - 1986م.
- المليباري، أحمد زين الدين المعبري. *تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين*. ط 1، بيروت: مؤسسة الوفاء، 1405هـ - 1985م.
- ستودارد، لوثر وب. *حاضر العالم الإسلامي*. تحقيق الأمير شكيب أرسلان. نقله إلى العربية عجاج نويهض. ج 3، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1973م، ج 4.
- قاسم، جمال زكريا. *الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية*. القاهرة: دار الفكر العربي، 1416هـ - 1996م.
- قاسم، جمال زكريا. *بولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عمان (1741-1970م)*. الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، 1420 - 2000م.
- ماتقييف، ف.ب. *تطور الحضارة السواحلية*، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، بيروت، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، 1988م، 453-477.
- هربك، إيفان. *إفريقيا في إطار تاريخ العالم*، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثالث، بيروت، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، 1997م، 21-52.



المراجع الأجنبية:

- Abou Egl, Mohammad Ibrahim Mohammad. *The Life and Works of Muhamadi Kijuma*. London: Unpublished Ph.D. Thesis, University of London, 1983.
- Bakhressa, Salim K. *Kamusi ya Maana na Matumizi*. Nairobi: Oxford University Press, 1993.
- Chiraghdin, Shihabuddin & Mnyapala, Mathias . *Historia ya Kiswahili*. Nairobi: Oxford University Press, 1978.
- Hichens, William: *The Swahili Prosody*. Swahili, Vol. 33/1, (1962-3), pp. 107-137.
- Hija, Saleh Hija. "Sherehe ya Sultani Siku aliyotawala". *Maarifa*, Vol. VIII, No. 50, 15 Disemba, 1959, p.382.
- Johnson, Frederick. *Standard English-Swahili Dictionary*, Nairobi: Oxford University Press, 1939.
- Karisa, Beja S. "Mchango wa Mohammed Kijumwa Katika Fasihi ya Kiswahili." *MULIKA* 27: (2006): pp. 15-35.
- Knappert, Jan. *Four Centuries of Swahili Verse*. London: Heinemann Educational Books, 1979.
- Momanyi, Clara. *Matumizi ya Taswira kama Kielelezo cha Uhalisi katika Utenzi wa Al-Inkishafi*. Kenya: Master of Arts katika Chuo Kikuu cha Kenyatta, 1991.



الدور العماني في تحرير الساحل الإفريقي الشرقي من
الوجود البرتغالي كما صورته الشعر السواحيلي

- Njoroge, Janet na wengine. Kamusi ya Karne ya 21, Chapa ya Kwanza, Nairobi: Longhorn Publishers, 2011.
- Reed, Colin. Historia ya Ukristo Afrika: mbegu iliyopandwa katika udongo mzuri. Dodoma: Central Tanganyika Press, 2007.
- Stigand, Captain C. H. A Grammar of Dialectic Changes in the Kiswahili Language. Cambridge: The University Press, 1915.
- Taylor, William Ernest. African Aphorisms: Saws from Swahili Land. London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1891.



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

د. إبراهيم برمّة احمد ■

أستاذ باحث، كلية الدراسات العليا، جامعة الملك فيصل تشاد

المخلص

من العلماء الذين ابلوا بلاء حسنا في نشر ثقافة وتطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين العالم الجليل والباحث المؤرخ في مجال البحث العلمي التاريخي عبد الرحمن عمر الماحي، وتجلت جهوده في العديد من مجالات البحث العلمي التاريخي وتطوره في بناء المعرفة ونشر ثقافة التطوير العلمي .
تكن أهمية البحث في تسليط الضوء علي التعرف بالعلماء المسلمين الذين أسهموا في تطوير البحث العلمي والتراث الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء مع التركيز على التعرف بإسهامات المؤرخ عبد الرحمن عمر الماحي، وتوضيح أهم انجازاته في مجال تطوير البحث التاريخي.
واتبع البحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الموضوع، تناولت الورقة مبحثين ومطالب وخاتمة فيها النتائج والتوصيات.

Summary

ABD AL-RAHMAN OMAR AL-MAHI was one of the scholars who did well in spreading the culture and development of scientific research in contemporary history in sub-Saharan Africa during the twentieth century. Scientific development.



The importance of the research lies in shedding light on the identification of Muslim scholars who contributed to the development of scientific research and Islamic heritage in building human civilization in contemporary history in sub-Saharan Africa, with a focus on identifying the contributions of the historian ABD AL-RAHMAN OMAR AL-MAHI and clarifying his most important achievements in the field of developing historical research.

The research followed the historical method and the descriptive analytical method to study the subject. The paper dealt with two sections, demands and a conclusion in which the results and recommendations.

المحور الأول : نبذة تعريفية عن الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي

ولد الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي البشير عام 1937م في قرية (النوار) مركز إداري (كرل) محافظة شاري باقر مي سابقا حجر لميس حاليا. أمه: رقية عثمان وتلقب برقته وأبوه عمر الماحي البشير، ينسب الماحي إلي قبائل الحساونة التي جاءت إلى منطقة بحيرة تشاد عن طريق شمال إفريقيا خلال القرن التاسع والعاشر الميلاديين، وهي تضم عدد كبير من القبائل العربية، نذكر منها الآتي : الاصالعة وبني وائل وبني عامر وعلوان ودقنا وولاد علي وولاد سرار وأولاد محارب، وهي تنتسب إلي جدها أولاد بن قالم بن حسونة، وبناء علي ذلك يطلق على أفرادها اسم القوالمة الذين ينشرون في الجزيرة العربية وشمال وشرق ووسط إفريقيا بمسميات قبيلة مختلفة.

نشأته:

نشأ عبد الرحمن عمر الماحي البشير منذ بداية حياته في البادية وقدرت نشأته في ثلاثة مراحل :



المرحلة الأولى: نشأ مع أبيه منذ ولادته حتى السابعة من عمره، وكان يمارس

في تلك الفترة حياة سكان البادية الرعي والزراعة.

المرحلة الثانية: بعد السابعة من عمره كفله خاله توم عثمان وتجول به إلى أن

وصلوا إلى قرية (أفرق) التابعة لمركز أنجمينا فارا حيث حفظ القرآن

الكريم خلال ثلاثة سنوات من عمره حتى العاشرة وكان متميزا عن غيره .

المرحلة الثالثة : بعد فترة من التجوال في القرى التشادية جاء إلي (فور لامي)

أنجمينا حاليا فالتحق بالمركز الإسلامي، وكان عمره ما بين (18-19) سنة

وذلك عام 1956م.

بدأ الأستاذ عمر الماحي، تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في

جمهورية تشاد، بعد أن حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره كما

أشرنا إلى ذلك درس في تشاد وبدأ تعليمه فيها بمدرسة القوني دري دمي

المرحلة الابتدائية ولم يوجد هناك مرحلة إعدادية والثانوية في تلك الفترة¹ .

وطلبت الحكومة التشادية وفود معلمين لبنانيين من لبنان إلى مدينة أبشة

وعندما وصل اللبنانيين إلى مدينة أبشة التحق بهم وواصل تعليمه هناك حتى

حصل على الشهادة الثانوية، وبعد ذلك بدأت دراسته في خارج تشاد بعد نهاية

عام 1963م جاء أمر من الوزارة للطلاب الدارسين في ليبيا داخل الجامعة

البيضاء فسافر إلي ليبيا للدراسة .

1- عمر ادم يونس، جهود الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عمر الماحي العلمية واهم إنجازاته العلمية والفكرية والإدارية، بحث الإجازة العالية، جامعة الملك فيصل، 2015م، ص



مؤهلاته العلمية

- شهادة الكفاءة التربوية من معهد المعلمين بفورت لامي 1968م .
- شهادة الدراسات الجامعية في الشريعة والقانون في كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة أم درمان بالسودان سنة 1974م .
- حصل علي الإجازة العالية في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة أم درمان جمهورية السودان 1977م.
- حصل علي شهادة الدراسات العليا في التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة بجمهورية مصر العربية عام 1979م.
- حصل علي شهادة الماجستير بجامعة عين شمس بالقاهرة عام 1981م.
- حصل علي درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر في كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة عام 1974م2.

مؤلفاته

- انتشار الإسلام بين الأمم
- الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل
- تأثير الإسلام في المجتمع الإفريقي
- علاقة التاريخ بالعلوم الشرعية وتطور البحث العلمي
- علاقة الوحدة الإسلامية بالسلطة والدولة
- تأثير الفكر التربوي والوضعي في المسلم المعاصر

2- عمر ادم يونس، جهود الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عمر الماحي العلمية واهم إنجازاته العلمية والفكرية والإدارية، مرجع سبق ذكره، ص 3 .



- التاريخ عند المسلمين ومنهج البحث التاريخي
- التاريخ والحضارة في المفهوم الإسلامي
- لمحات من تاريخ الحضارة الإسلامية
- أهم أحداث العالم في القرن العشرين .
- مفهوم الدعوة إلى الإسلام .
- الإسلام بين كيد اليهود والنصارى وإعراض المسلمين
- التاريخ الإسلامي في العصر العثماني.
- حاجة المسلمين اليوم إلى دراسة التاريخ الإسلامي.
- الحركات الإصلاحية في إفريقيا .
- مفاهيم سياسية
- الاتجاه الإسلامي في الأدب الأفريقي في القرنين التاسع عشر والعشرين .
- تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (1894 - 1960) .
- المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي (1894 - 1960م) .
- الطرق العلمية لكتابة الأبحاث الجامعية .

أبحاثه العلمية

1. العالم الإسلامي أحداث وقضايا
2. دعائم العلاقات الإنسانية في الإسلام .
3. الجامعات الإسلامية ومستقبل العالم الإسلامي في ظل التحولات الحديثة
4. صورة العالم العربي في إفريقيا، وصورة إفريقيا في العالم العربي .



5. مفهوم الشوري والديمقراطية في ضوء الفكر السياسي الحديث والمعاصر .
6. إمكانية قيام وحدة الأمة العربية والإسلامية رغم التحديات الغربية المعاصرة
7. العولمة واستلاب حقوق الإنسان المسلم .
8. النظام العالمي الجديد والاستلاب الحضاري (دراسة تاريخية تحليلية)
9. إسهام الوقف في بناء التضامن الاجتماعي في العالم الإسلامي عبر العصور .
10. تأثير الفكر الوضعي في التعليم العام بالعالم الإسلامي (دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية)
11. المسلمون والتحديات المعاصرة
12. آفاق تطوير اللغة العربية لدى الشعوب الإسلامية
13. التعليم وأهميته للأقليات المسلمة في الدول الإفريقية غير الإسلامية .
14. حافظ القرآن الكريم واستكمال بنائه العلمي والتربوي
15. كيف تتحقق وحدة الأمة الإسلامية في عصرنا .
16. الاتحاد الإفريقي بين الواقع والطموح والتحدي .
17. تقوم مناهج العلوم الإسلامية في إفريقيا .
18. العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم 3.

3 - عمر ادم يونس، سبق ذكره، ص 4 .



المحور الثاني : نماذج تعريفية من أبحاثه العلمية (كتاب تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال) (1894- 1960)

تعرض المؤلف في بداية هذا الكتاب إلى موقع جمهورية تشاد وتمتد منطقة تشاد بين درجتي خط العرض 23،8 شمالا ودرجتي خط الطول 14،24 شرقا، تحيط بها (السودان في الشرق، وليبيا في الشمال، والنيجر ونيجيريا والكاميرون في الغرب، وأوبانجي في الجنوب)، وتبلغ مساحتها 1،284،000 كم²، وتختلف فيها الفصول اختلافا كبيرا، وهي تتقلب بين رطوبة ممطرة إلى معتدلة، فحارة منعشة إلى حارة مفرطة في الصيف و توجد بها ثلاثة فصول فقط تتراوح حرارتها تبعا لدرجات البعد عن خط الاستواء، و يأتي ترتيبها علي النحو التالي الخريف، و يتميز بتساقط الأمطار التي يبلغ معدلها السنوي أكثر من 60 سم، و العواصف الرعدية الشديدة، و يبدأ من شهر يونيو، و يستمر حتى آخر شهر أكتوبر.

الشتاء: وهو فصل جاف بارد، يبدأ من نوفمبر و ينتهي في منتصف فبراير، و يتميز بتغيرات كبيرة في الحرارة نهارا حيث يصل إلى 32 درجة مئوية، ثم لا تلبث أن تنخفض ليلا إلى 10 درجة، وتكثر فيها الرياح الجافة.

الصيف:- وهو فصل جاف حار، تقترب فيه الحرارة إلى 40 درجة مئوية، و يبدأ في منتصف ابريل حتى ينتهي في آخر مايو و مناخ تشاد حار بوجه عام، و رياحه كلها شمالية شرقية جافة تحمل معها السحب صيفا و الأتربة أحيانا أخري .



قامت فيها عدة ممالك منها (مملكة كانم، و مملكة باقرمي، مملكة وادي
(وسيتم التعرض لكل مملكة بإيجاز لمعرفة الأوضاع التي كانت سائدة قبيل
الاحتلال الفرنسي⁴ .

مملكة كانم:

ينقسم تاريخ مملكة كانم إلى عصرين العصر الكانمي، و يمتد من قيام
المملكة شرقي بحيرة تشاد عام 800م إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي،
العصر البرناوي، و يبدأ من انتقال الأسر الكانمية إلى غربي بحيرة تشاد أثر
الاضطرابات والحروب الأهلية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي إلى
نهايتها في غمرة الاستعمار الأوروبي الحديث وقد بلغت ذروة مجدها في العهد
الكانمي خلال القرن الثالث عشر وفي العهد البرناوي في القرن السادس عشر .
وقد أصبحت الحياة الاقتصادية منتعشة نظرا لغنائها بالمنتجات
الزراعية و الثروات الطبيعية، و السواعد البشرية و الحيوانية النادرة .

غير أنها أصيبت بالتدهور و الانحطاط بسبب حروبها مع مملكة وادي
من جهة و مملكة كانم - برنو من جهة أخرى . وقد غزاها " رايح " في عام
1892م، فاضطرت إلى طلب الحماية من القوات الفرنسية التي كانت ترابط في
" أوبانجي شاري " حيث وقعت معاهدة الحماية بين عبد الرحمن جاورانج
الثاني سلطان باقرمي، وجانتي مفوض الحكومة الفرنسية في مدينة " ماسينا "
في أكتوبر 1897.

4 - مصطفى متولي، من رواد التعليم العربي بدولة تشاد، جامعة الملك فيصل، 2018،
ص 34.



مملكة وادي :

يبدأ تاريخ مملكة وادي الحديثة في عام 1915م حسبما ورد في بعض المصادر التاريخية، ولكنها أنشأت حوالي القرن العاشر الميلادي .
فقد استولي التجر علي بلاد الزغاوة، والمابا، وأسسوا مملكة واسعة الأرجاء كان عاصمتها " كتم " وبسطت هذه المملكة نفوذها علي دارفور .
وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهرت في منطقة تشاد قوتان كان من الصعب علي أحدهما أن تفرض نفسها علي الآخر ففي الشمال سادت الحركة السنوسية، وفي الغرب و الجنوب الغربي سيطر رابح " . أما فرنسا فقد احتلت "أوبانجي" اعتبارا من عام 1891م وأخذت تتربص بالقوتين معا⁵.

وقد شهد العالم في الفترة الواقعة بين عامي 1870 و 1919 مرحلة تاريخية هامة نمت فيها الاحتكارات الرأسمالية عالميا في كل من فرنسا و إنجلترا وألمانيا، نتيجة لنمو الصناعة، وتقدمها في تلك البلاد، وصاحب هذا النمو تطور الاستعمار للتسابق على تقسيم العالم بين هذه الدول إلى مناطق نفوذ، يمكن فيها تصريف منتجات الدول الصناعية، والحصول منها علي الموارد الخام، والأيدي العاملة بأجور زهيدة، تزيد من أرباح الأموال المستغلة في هذه المستعمرات، وكانت أفريقيا هي الأرض البكر التي يتطلع إليها الممولون في كافة دول أوروبا فبدأت شركات كثيرة برتغالية، وبلجيكية، وألمانية وفرنسية (تعمل في إفريقية، ويكاد يكون تاريخ جميع الشركات على اختلاف جنسياتها و تاريخ إنشائها متشابها، فهو يبدأ في العادة بحصول الشركة

5 - عبدالرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982م، ص 150.



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

علي حق الاتجار في منطقة من المناطق، ثم بتأسيس المراكز التجارية، ثم الأخذ في عقد الاتفاقات التجارية مع زعماء القبائل من أجل الحصول على مواد التجارة ثم البدء في العمل، فيحتاج هذا العمل إلى دعم الحكومة وتأييدها و إشراكها في تحمل المسؤولية ومن ثم يتحول النفوذ التجاري إلى نفوذ سياسي، يبدأ بإقامة حاكم عام وبجانبه قوة مساعدة لحفظ الأمن و النظام و ينتهي الأمر بالاستعمار السياسي .

وفي 12 ديسمبر 1876 عقد مؤتمر جغرافي دولي في بروكسل يهدف إلى القيام بعمل مشترك لمعرفة إفريقيا عن طريق الرحالة وإدخال الحضارة الأوروبية فيها فحضره ممثلو كل من " بريطانيا، وفرنسا و بلجيكا، و ألمانيا، و النمسا، و هولندا، وإيطاليا، وروسيا" وتناول المؤتمر بالبحث أفضل السبل التي يمكن انتهاجها لمعرفة إفريقية و فتحها للتجارة والصناعة .

وكانت فرنسا قد اتجه نشاطها الاستعماري إلى أفريقيا بعد هزيمتها في الحرب الألمانية الفرنسية عام 1870م فقد رأت فيها المجال المناسب لتعويض خسارتها في " الألزاس" و اللورين " ولذلك بعثت في عام 1879، الضابط البحري "سفورنيان وي برازا " للعمل باسمها في أفريقيا، فبدأ يعقد اتفاقات مع الزعماء المحليين في الضفة الشمالية الممتدة من نهر " الجابون " حتى بحيرة تشاد، وما وصل إليه قبل " ستانلي " أصبح نواة لما عرف فيما بعد باسم أفريقيا الاستوائية الفرنسية .

وفي نهاية عام 1889 اجتمع في باريس عدد من الشخصيات يمثلون رجال الصناعة والمال في فرنسا وذلك لتكوين شركة تتولي عمليات الاستطلاع في مناطق إفريقيا الاستوائية، وقد اتفقوا علي إنشاء ما عرف باسم " لجنة



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

أفريقيا الفرنسية " على أن تكون هذه الحملة مقدمة لحملات أخرى تقوم بتمويلها، ولذلك يمكننا خدمة النفوذ الفرنسي دون أن تتكبد أية مصاريف أو نعرضها لتحمل أية مسؤولية ونحن نعتبر مثل هذه الحملات ضرورية في وقتنا⁶.

وقرر رجال الأعمال تأسيس شركة تحمل اسم " لجنة أفريقية الفرنسية " يكون هدفها انتشار النفوذ الفرنسي والتجارة بكافة الوسائل في إفريقيا الغربية و الشمالية و الاستوائية، وقصد هذه الشركة تنفيذ فكرة وطنية حرة، لا دخل لها بالأحزاب السياسية وخارجه عن نطاق الأعمال الحكومية .

وقد لعبت هذه الشركة دورا كبيرا في تاريخ الاستعمار الفرنسي في إفريقيا، حيث دفعت "بول كرامبيل" إلى تلك المناطق كطليعة لعدد من البعثات الفرنسية التي قدرتها أن تأتي بعده، و منذ ذلك التاريخ أخذت فرنسا تركز جهودها لاحتلال تشاد .

حيث صرح السيد / ديلونكال في 28 فبراير 1895 في مجلس النواب الفرنسي قائلا " إن السياسة الفرنسية في التقدم نحو بحيرة وأعالي أوباجي، ووادي النيل مبنية علي زمن إنشاء مستعمرات دائمة في هذه المناطق فضلا عن الربط بينها وبين مستعمراتها في الشرق والغرب و الشمال، وقد مهدت لها ظروف داخلية و خارجية في أن تحتل تشاد و يمكن تحديد هذه الظروف في النقاط التالية .

6 - عبدالرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص 153.



1. كانت في مملكة تشاد توجد ثلاثة ممالك، وكان لكل مملكة سياستها الداخلية والخارجية الخاصة بها، و لم تكن هناك علاقات ودية بين هذه الممالك منذ نشأتها، و كانت مملكة باقرمي أكثر الممالك تشاد، تعرضا للغزو، وقد مهد هذا الصراع إلى غزو " رابح " للبلاد، ومن ثم التغلغل الفرنسي .
2. لم يكن في تشاد مجتمع متحضر راق في ذلك الوقت بسبب حياة التنقل والرعي وعدم الاستقرار، وإن كان هناك جزء كبير من الشعب يعيش في عدد من مدن الممالك الثلاث و يعمل في الزراعة والتجارة .
3. كانت مأساة الرق و مطامع الملوك الشخصية قد أضعفت كثيرا من معنويات وطاقت الشعب، كما أن غزو رابح للبلاد قد ترك أثرا سيئا في نفسه، الأمر الذي حال دون وقوفه صفا واحدا للدفاع عن وطنه عندما بدأ التغلغل الفرنسي، و لذلك فعلي الرغم من مقاومته التي دامت أكثر من عشرين عاما (1894-1918) فقد سقطت البلاد في يد الاستعمار و ظلت في قبضته حتي عام 1990م .

تميزت منطقة حوض بحيرة تشاد في العصور الوسطي والعصور الحديثة بالدور الهام الذي لعبته من الناحية التاريخية والاقتصادية في إقليم غرب ووسط إفريقيا، فقد ربطت المنطقة في مجموعها بين بلاد حوض وادي النيل و بلاد حوض البحر المتوسط، وبين أقاليم غرب و جنوب إفريقيا القريبة منها و إلى عهد قريب كانت ترتبط منطقة حوض بحيرة تشاد بشمال إفريقيا و مصر و الحجاز شرق أفريقيا بطرق تسير عليها القوافل التجارية .

وكانت تضم منطقة حوض بحيرة تشاد، والتي تعرف أحيانا بالسودان الأوسط، الأقاليم التالية :



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

1. مملكة كانم : - و تقع شمال، و شمال شرق و غرب بحيرة تشاد .
 2. مملكة باقرمي : - و تقع جنوب بحيرة تشاد .
 3. مملكة وادي : - و تقع غرب دارفور و شرق كانم .
 4. منطقة التوبو:وتقع شمال كانم
 5. منطقة البلالة: وتقع بين كانم ووداي
 6. منطقة السارا والكنغو وتقع جنوبي باقرمي، ووداي
 7. منطقة الزغاوة: وتقع شمال شرق وادي.
- وهذه الأقاليم تتداخل بعضها في بعض أحيانا، ويستولي البعض على البعض الآخر أحيانا أخرى.
- وكانت السلع المحلية المتبادلة في الأسواق هي المنتجات الزراعية (الغلال والفاكهة، والبقول، والخضراوات) والمواشي (البقر، والضان والماعز، والحمير، والإبل) ومنتجات الألبان، والتمر وعسل النحل، والصمغ، والملح نخيل الدوم، النطرون، واليوتاسي اللذان يستخرجان من بحيرة تشاد. وسن الفيل، وريش النعام والدجاج والجلود وكانت السلع والبضائع التي ترد إلى تشاد من الخارج و التي لها رواج كبير في الأسواق المحلية هي :
- الخرز بأنواعه وألوانه المختلفة، والياقوت، والمرجان، والصدف، والودع، والأساور الفضية، والنحاسية والأقمشة القطنية والحريرية والكتان، والصوف والطرابيش العمم والخيوط والإبر والأمواس والملح الأبيض الناعم. وعلى الرغم من عدم وجود عمله سائدة في البلاد في ذلك الوقت فقد كان السكان يتعاملون بالذهب والفضة والنحاس والحديد، والمقايضة مثلهم في ذلك مثل بقية شعوب العالم و ظل النشاط التجاري منتعشا في منطقة بحيرة تشاد



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

حتى بداية التغلغل الاستعماري الأوروبي، في أفريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، الأمر الذي جعلها مثار اهتمام و تطلعات الدول الأوروبية .

حتى عام 1890 ظل طريق وادي - كفرة - بنغازي وطريق كانم - فزان - طرابلس، مفتوحا أمام التجار في حين توقف نشاط الطرق الأخرى التي كانت تعبر الصحراء .

ومنذ احتلال فرنسا لتشاد، كانت المناطق الجنوبية أكثر استجابة لأنها كانت تشتهر بزراعة القطن، لذلك تمركزت فيها بعض شركات الامتياز الفرنسية و أسست حوالي (25) محلجا لحلج القطن وتصديره خاما في " بالات " إلى فرنسا و بعض دول أوروبا وسكان جنوب تشاد و ثيون و قد اعتنق كثير منهم المسيحية، ولذا أصبح بينهم و بين القوي الغربية رباط إلى جانب الروابط الاقتصادية.

أما المناطق الشمالية التي يسكنها المسلمون، فقد ارتبطت بالتجارة مع البلدان الإسلامية لمدة طويلة، و من ثم لم تألف مع القوي الاقتصادية الغربية بسهولة⁷.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الدورة الزراعية في تشاد مرة واحدة في السنة وترتبط بموسم المطر، ومن هنا نجد أننا لسنا بصدد دورة زراعية بالمفهوم الذي يوجد في بعض بلدان العالم التي تستمر فيها الزراعة طوال السنة.

7 - مصطفى متولي، من رواد التعليم العربي بدولة تشاد، جامعة الملك فيصل، 2018، ص 50.



وهذه الصورة سوف تتغير مع تطوير نظام الزراعة خاصة وإن تشاد فيها عدد كبير من الأنهار والبحيرات العذبة .

وتحتل المرأة التشادية مكانة مرموقة في المجتمع التشادي الزراعي والرعوي و يرجع ذلك إلى إنها عنصر إنتاج و عمل دائم لا يفتر، فنشاط الأسواق كله يكاد يقع على عاتقها فهي تبيع الأطعمة المطهية والحصر والمنتجات الزراعية، هذا بالإضافة إلى واجباتها المنزلية العادية كالطهي وإحضار الماء، والخشب، وتربية الأبناء .

ويتكون دخل الفرد المزارع من بيع المحاصيل الزراعية و بيع إنتاج الأحرار، وبيع الماشية، و بيع إنتاج بعض الحرف الإضافية أما الدخل في قطاع التجارة فيوجد تخصص سواء في سوق القرية أو سوق المدينة كالتخصص في بيع الأقمشة، أو الأدوات المنزلية أو الخضروات أو الفواكه، الشاي و السكر،

ويتفاوت الدخل بوجه عام بطبيعة الحال، فتوجد فروق اقتصادية كبيرة بين المزارعين و التجار بعضهم بعض .

ويمكن القول بأن تشاد بلد زراعي و رعوي في المقام الأول و يشكل القطاع الزراعي و الحيواني فيها حوالي 90 % من الدخل القومي وهذه النسبة تعتبر عالية، ويرجع ذلك إلى السياسة الاستعمارية التي حرصت على أن تظل البلاد مصدرا للمواد الخام وسوقا لمنتجاتها .

وتعاني تشاد كثيرا من مشكلة رأس المال الأجنبي لارتباطه بالسيطرة السياسية، و يفضل التشاديين للتجارة علي الصناعة، حيث أن التجارة تحتاج إلى رأس مال أقل و تعطي عائدا أسرع .



ويمكن أن تتحسن الحالة الاقتصادية و تزدهر بسرعة إذا رصدت رؤوس الأموال للزراعة و الصناعة، ومدت طرق المواصلات، درست أرض البلاد جيولوجيا لاستخراج ما تحتويه من خيرات معدنية، فإذا تواجدت الصناعة فإن هناك سوقا محلية تستطيع أن تستوعب نسبا كبيرة من السلع و يمكن اعتبار الدول المجاورة أيضا سوقا رائعا لهذه المنتجات و تستعيد بذلك البلاد مكانتها التاريخية في التجارة الخارجية⁸.

التركيب الاجتماعي لتشاد

عرف سكان تشاد الاستقرار منذ فترة طويلة، خاصة بعد قيام مملكة كانم، مملكة باقرمي، ومملكة وادي .

ولا يزال الكثير من المدن التي أنشأت في تلك الفترة مأهولة بالسكان، وكان يتبع كل مدينة عددا من القرى، و يتبع هذه القرى عدد من الأحياء، و يتكون كل حي من عدد من البيوت، و تشكل هذه المدن و - وما يتبعها من قري و أحياء و بيوت المجتمع التشادي المحلي .

والعقيد هو الحاكم المطلق في القرى التابعة له، و يخضع لأوامره كل من بها، و يديرها عن طريق مشايخ القبائل، و رؤساء الأحياء، و هو المسئول أمام السلطان .

منطقة تشاد تضم مجموعة كبيرة من الشعوب و القبائل و هذه الشعوب و القبائل تختلف و تتباين أشد ما يكون الاختلاف و التباين لغة و دينا و عادات و تقاليد و يقدر عددها بحوالي 150 قبيلة تتحدث (100) اللهجة كلية و كل لهجة من هذه اللهجات فإنها ذات قيمة جوهرية للمتكلمين بها، إن رؤية المجتمع

8 - مصطفى متولي، 2018، ص 60.



التشادي وعاداته وتقاليده تعطي البداية انطبعا لفردية ضاربة تقترب من الفوضى، والأعراق تتحكم فيها ما بقدر ما يتحكم المناخ في التقدم الحضاري .
ففي شمال البلاد لم يعد الأفراد المستقرون يتصفون بالاستقرار إلا
ركون بيوتهم المصنوعة من القش خالية في فصل الشتاء؛ والصيف بحثا عن
أكل لمواشيهم، والنظام يفترض امتلاك منطقة ارتكاز لموسم الجفاف، ولكن
ليس ذلك بالأمر السهل بسبب التنافس المستمر على الوديان والمستنقعات
والمراعي التي تحتفظ بمياه الأمطار لفترة طويلة الأمر الذي يسبب المنازعات
والاصطدامات القبلية عادة .

واللغة المشتركة بالنسبة لجميع السكان هي الرغم من وجود عدد كبير
من الجماعات الغير عربية التي تحتفظ بلهجاتها اللغة العربية، على الخاصة
بها.

وكان الإسلام منتشرا في شمال تشاد ووسطها منذ القرن الحادي عشر
الميلادي، فان له حدودا كلما اتجهنا جنوبا حيث توجد بلاد السار ظلت بعيدة من
تأثيره حتى وقت متأخر .

وحتى بداية القرن العشرين لم يكن سكان الجنوب يعرفون التنظيم
الاجتماعي والسياسي بشكل يتجاوز مفهوم الأسرة والقبيلة ورئيسها . فضلا عن
جماعة " ونكولو " الذين تفوضهم القبلية للقيام بتنفيذ العادات والتقاليد البيئية
وإجراء الطقوس الوثنية وهندسة المياه والأراضي الزراعية، مقابل ضريبة
سنوية معينة يقدمها لهم أصحاب الحرف اليدوية والمزارعين والصيادين .
وكانوا يتعرضون من وقت لآخر لهجمات "الباقرمي" من بينهم
سماسرة ووكلاء لشراء العبيد .



وقد احتلت فرنسا هذه المناطق في عام 1899 وأخذت تبذل المزيد من الجهد لإقامة تنظيم اجتماعي وسياسي فيها، لكنها لم تصل في البداية الى نتائج مرضية بسبب المقاومة الوطنية التي واجهتها -

ثالثا القانون الفرنسي :

على الرغم من استكمال الفرنسيين لاحتلال أراضي تشاد عام 1918 ظل الزعماء التقليديون يمارسون القضاء العرفي، والشريعة الاسلامية في مناطقهم المختلفة .

وفي عام 1946 الغي القضاء الأهلي في المجال الجزائري، وتولت السلطة القضائية الفرنسية وحدها النظر في كافة المخالفات والجرائم التي ترتكب في أراضي تشاد .

وفي عام 1960 عند استقلال تشاد، وبعد مرور أربعة عشر عاما من تطبيق القانون الفرنسي، فان النقد ينصب على عدم توافقه مع السكان وظروف الحياة في تشاد، القانون عاجز عن تنفيذ الأحكام التي يصدرها، ولذلك شرع الحكام الفرنسيون في إصلاح التقاليد المحلية بالقوة دون أي اعتبار للمشاعر الإنسانية، وتولد من جراء ذلك شعور بالعداء والكرهية تجاه فرنسا كلها . ويقوم البناء الاجتماعي التشادي على ثلاثة أسس رئيسية هي وحدة الدم، ووحدة الجماعة، والتدرج الطبقي ومع حصول تشاد على استقلالها عام 1960 ونشأة الدولة الحديثة كان من أهم التغيرات التي حدثت، ومن أهم العوامل التي ساعدت على تكوين المجتمع التشادي المتكامل اهتمام المستعمر الفرنسي بالثروات المختلفة للبلاد، وإقامة المدن لتجميعها، الأمر الذي أدى إلى معرفة نظام العمل بالأجر وحياة التحضر والاختلاط بالأجناس المختلفة، والثقافة



الغربية بعناصرها المادية والفكرية والاجتماعية وترتب على ذلك ضعف الالتزامات والتنظيمات القبالية وظهرت ابنه جديدة لم تكون موجودة من قبل .
ويعد نظام تعدد الزوجات أهم الملامح البارزة في المجتمع التشادي، ويمارسه كل من المسلمين والمسيحيين والوثنيين، ويتبع المسلمون الشريعة الإسلامية، فلا يتجاوزون " أربع زوجات " مجتمعه، وبالنسبة للوثنيين فلا يوجد تحديد واضح لتعدد الزوجات، ويستطع رؤسائهم ان يتزوجوا ما شاء لهم هواهم، وفيما يتعلق بالمسيحيين التشاديين فعلى الرغم من أن الدين المسيحي لا يبيح تعدد الزوجات إلا أن المحكمة المدنية قد تمنحهم حق التعدد من 2 الى 4 زوجات ويشيع الطلاق في المجتمع التشادي بدرجة كبيرة، ويتم بالتراضي بين الزوجين حسب العرف، وإذا كان الزوج هو الذي يرغب في الطلاق يجب تعويض الزوجة بإعطائها صداقها وحقوقها الشرعية، أما اذا كانت المرأة هي التي تريد الطلاق يجب تعويض الزوج يرد المهر الذي دفعه، وجزء من الهدايا.
ومن العادات والتقاليد المنتشرة في المجتمع التشادي، الاعتقاد بالسحر والحسد، والعين، والجن اعتقادا شديدا، حتى يعزو إليها البعض الكثير من الظواهر الطبيعية كالعقم والمرض، والموت الفجائي وعدم إضرار البقر للبن وغيرها، فيحاولون اتقاء وقوعها بالتمايم والأحجبة والتعاويذ وبعض عروق الشجر .

وينتشر كل من الإسلام والوثنية في تشاد، ويوجد 80 % من مجموع السكان يدينون بالإسلام و 5 % يدينون بالمسيحية، و 10 % وثنيون.
ويعتبر الدين الإسلامي في تشاد حجر الزاوية في كل أنواع النشاط السياسي والاقتصادي. وفي كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية كالزواج،



والطلاق، والميراث، والولادة، والتربية والأخلاق، ويتكامل مع الاجتماعية الأخرى ليشكل مجتمعا تشاديا فريدا .

أما بالنسبة للغة في تشاد فقد انتشرت اللغة العربية في تشاد منذ دخول الإسلام وقيام الممالك الإسلامية في العصور الوسطى حيث أصبحت لغة التعليم الديني وأداة التخاطب والمراسلة والثقافة بين المسلمين، فضلا عن كونها لغة المعاملات التجارية والمكاتب الحكومية والمراسلات الدولية ليس فقط عند المملكة التشادية ولكن عند جميع الممالك الإسلامية التي قامت في السودان الأوسط والغربي وظل هذا الأمر قائما حتى عصر الاستعمار الأوروبي الذي قضا عليها وفرض لغته على البلدان.

وتجدر الإشارة إلى إن إذاعة تشاد تبث إرسالها باللغة الفرنسية والعربية والساروية لأول مرة في عام 1955 .

وتتعرض اللغة العربية في تشاد لعائقين الأولى هي محاولة الاستعمار الفرنسي لفرنسة التشادين عن طريق فرنسية التعليم في المدارس العامة التي أنشأها وكذلك عن طريق فرنسية الإدارة والحكومة والثاني وجود لغة شعبية غير مكتوبة تتكلم بها قبائل تشادية كثيرة.

بالنسبة للناحية الدينية فقد كان الطرق الصوفية دورا كبيرا في نشر الدين الإسلامي ليس في تشاد وحدها ولكن في الغرب الإفريقي وخاصة الطريقة التيجانية والطريقة القادرية. وكان الأزهر الشريف دورة الكبير عن طريق التلاميذ التي كانت ترسل الى القاهرة لتعليم الدين الإسلامي وكان شيخ محمد عليش عووضة دور هام ومؤثر في نشر الدين الإسلام حتى تم نفيه الى السودان .



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

وأما بالنسبة للبعثات الكاثوليكية، والبروتستانتية فكانت تعمل في تشاد جنبا الى جنب، وقد حققوا نجحا بالنسبة لهم، حيث بلغ المعدل السنوي للأفراد الذين اعتنقوا المسيحية ما يقرب من (5000) نسمة في الفترة من 1939-1949م.

وبالنسبة للتعليم بلغ عدد الطلاب المقيدين في العام الدراسي 1959/58 (753) طالب وطالبة منهم في المرحلة الثانوية (73) فقط، ما المدرسة الابتدائية فقد بلغ عدد المقيدين فيها في العام الدراسي 1959 م / 1960 م حوالي 69 ألف طالب وطالبة⁹.

ومما سبق يتضح أن النظام القبلي هو المحور الذي تدور حوله الحياة الاجتماعية في تشاد، وأن لهذا النظام آثار اقتصادية وسياسية بعيدة المدى، ونظرا لإهمال الإدارة الفرنسية للتعليم في البلاد فان الانتماء للقبيلة والمحافظة عليه ظل القوه الرئيسية التي حكمت العلاقات الاجتماعية.

الإدارة الفرنسية

منذ 28 ديسمبر 1936 تحددت حدود تشاد بصورة نهائية وأصبح يديرها حاكم تحت إشراف الإدارة العليا للحاكم العام في برازفيل " مرسوم 27 سبتمبر 1937، وبذلك أصبحت على قدم المساواة مع بقية مناطق أفريقيا الإستوائية الأخرى يحيط بها السودان الانجليزي المصري (جمهوريه السودان الديموقراطية في الشرق وليبيا في الشمال، وإفريقيا الغربية (النيجر) في الغرب، والكميرون ونيجيريا في الجنوب، مساحتها 1 , 284000 كم² .

9 - عبدالرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982م، ص 200.



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

ومنذ عام 1895 رأت فرنسا أن تفتح نظام الحكم الأراضي التي احتلتها في إفريقيا، ويعين وزيراً للمستعمرات يحكمها من باريس .

ومنذ البداية لاحظت أن هذا النظام لم يكن عملياً يسمح بتوسيع رقعة هذه الأراضي واستحالة المركزية في إدارتها فقسمتها إلى إقليمين : إقليم إفريقيا الغربية الفرنسية ويضم ثمان مقاطعات هي (السنغال، داهومي، وساحل العاج، وفولتا العليا، وموريتانيا، وغينيا، والسودان الغربي (مالي)، و النيجر) وأقاليم إفريقيا الاستوائية الفرنسية ويضم أربع دول (تشاد، وجابون، واوبانجي، والكنو الأوسط) وعين لكل إقليم حاكم خاضع لسلطة وزارة المستعمرات والإدارة المركزية في باريس ولكل مقاطعه إدارة منفصلة تابعة السلطة الحاكم العام مباشرة .

وظلت الإدارة تسير على هذا النظام في ظل الإمبراطورية الفرنسية إلى أن صدر دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة في عام 26 أكتوبر 1946 أصبحت تشاد إقليماً من أقاليم فرنسا ماوراء البحار، وبات من حقها إرسال نائب واحد عنها إلى الجمعية الوطنية الفرنسية، وانتخب " رنيه مالبرنت " للقيام بهذه المهمة .

لقد حكمت فرنسا إقليم تشاد عن طريق وزارة المستعمرات وكان البرلمان الفرنسي هو الذي يصدر جميع التشريعات الخاص بها، وإن كانت تفاصيل تطبيقها تترك إلى حاكم الأقاليم فيصدرها بأوامره المحلية، وكان البرلمان الفرنسي الحق في تشريع الضرائب في المستعمرات وقد أسند هذا إلى نص مساواة جميع الفرنسيين في الشؤون المالية والضرائب سواء كانوا مقيمين



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

في الداخل أم في الخارج، كما أن الحكومة الفرنسية مسئولة عن الدفع عن هذه المستعمرات التي تعتبرها جزءا لا يتجزأ من أراضي "فرنسا الأم" .

وجدير بالذكر أن القوات الفرنسية التي تغلغت في تشاد منذ عام 1894 لم تبسط نفوذها على البلاد كاملة الا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) ومع ذلك كانت هناك عدة ثورات محلية لم توفر لها الأمن والاستقرار وكانت تضطرها الى التدخل لمساندة قوات الشرطة .

وكانت أهمها اضطرابات مقاطعة لوجون في عام 1929 ضد العمل الإجباري في خط سكة حديد الكونغو الأوسط الذي تمارسه السلطات الفرنسية واضطرابات عام 1947 الذي فاز بها المزارعون ضد الاستغلال والتسلط على إنتاجهم القطن .

وحتى عام 1946 لم يكن في تشاد مجلس نواب يدافع عن حقوق مواطنيها، بل كان هناك فقط مجلس خاص مكون من الأعيان والنبلاء يعاونون الحاكم في بعض الأعمال التي تتعلق بالمسائل المالية والقضائية وكان عدد أعضائه حوالي 12 عضوا من بينهم (سلطان المدينة، وقاضي قضاتها، وأمامها، ورؤساء التجار وبعض الأوربيين)

وليس لأعضاء المجلس اية صلاحيات سوى الاستشارة فقد كان رئيس الإقليم هو وحده صاحب السلطة التنفيذية.

ولم يكن للمواطن التشادي نصيب كاف في التعليم والخبرة الإدارية إلا بعد أن صدرت الحكومة الفرنسية التي كان يرأسها الاشتراكيون قانون الملاك في عام 1956 الذي قام بالإصلاح الإداري الشامل في المستعمرات الفرنسية، ومهد للأفراد يقين السير نحو الاستقلال وإدارة شؤون بلادهم.



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

وبالنسبة للخدمات الصحية في تشاد في الفترة ما بين 1929-1954 قد كانت ناقصة إذ لا يوجد في أقاليم إفريقيا الاستوائية الأربعة كلها سوى مستشفى مركزي واحد مقره في " برازفيل " تتبعه وحدات أقل منه ووحدات متنقلة في المقاطعات، كما لا يزيد عدد الأطباء جميعا على 119 طبيب والى جانبهم 189 ممرضه، و208 مفتشين صحيين.

وهذه المناطق منتشر فيها مرض النوم، والجديري، والكوليرا، والبرص، والحمى الصفراء، والملاريا، والتيفوس، والجذام، وكلهما أمراض متوطنة.

ولم يكن حظ التعليم في هذه البلاد بأكثر من الخدمة الصحية فحتى عام 1937 لم يكن للتعليم إدارة مستقلة للإشراف عليه، ولم توجه الإدارة الفرنسية اي عناية بالتعليم، فقد كانت مدارس المرحلة الابتدائية لم تتسع إلا أقل من 1, 5 % من الذين كانوا في سن الدراسة سنة 1945، ولم تبدأ المرحلة الإعدادية الا بعد الحرب العالمية الثانية ولم يبدأ التعليم الثانوي الا في عام 1954 وكان شعاع المعرفة ينبعث من المعاهد الإسلامية التي أقامها المسلمون في شمال البلاد منذ زمن بعيد . والأساليب التي أقامها المبشرون الفرنسيون والكنديون والأمريكيون في جنوب البلاد في الفترة من 1930-1960 حيث بلغت 137 إرسالية في المرحلة الابتدائية والإعدادية.

ويعتبر النقل أساس كل نشاط اقتصادي في البلاد، فهو عامل و علامة الحضارة والتقدم ونظرا لعدم اهتمام الإدارة الفرنسية بقيمة البلاد الاقتصادية ظلت تشاد تعاني كثيرا من مشكلة النقل. ولم تتصل أراضي تشاد اتصالا مباشرا مع أي بحر. بل تبتعد عن الموانئ البحرية بمسافات طويلة. وفي الفترة التي



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

كانت تعتبر تشاد منطقة من مناطق إقليم أفريقيا الاستوائية الفرنسية الأربعة ظلت تعيش في عزله عن تلك المناطق، وتعاني من مشاكل خاصة بها. ذلك مثل بقية المناطق الإفريقي التي خضعت لفرنسا، واعتمد هؤلاء العسكريون في إدارتها علي الزعماء التقليديين الذين تعاونوا منذ البداية مع الغزو¹⁰.

ولم تهتم هذه الإدارات بالإصلاح الزراعي او بنشر الثقافة والنظم الاجتماعية الحديثة كما أنها لم تترك المجال لنمو التراث المتأصل في نفوس المواطنين وإنما اكتفت بالتسلط والاستغلال.

ولذلك ظلت اللغة العربية والثقافة الإسلامية منتشرة حيث كانت قابلة للتطوير والتحديث، ولكن عندما شعر الفرنسيون بأنها عقبة في طريق انتشار الثقافة الفرنسية في البلاد قاموا بمحاربتها ومحاولة القضاء عليها الا انه رغم كل المحاولات ظلت ثابتة، حتى هيا لها بعض الزعماء الوطنيين الدخول في مجال التعليم العام في عام 1957، ومما سبق يتضح مدى قصور الإدارة الفرنسية في العمل السياسي والاقتصادي والثقافي نحو المجتمع التشادي.

تطوير الهياكل السياسية في أفريقيا الفرنسية:

يرجع اتصال الفرنسيين بإفريقيا إلى منتصف القرن السابع عشر حيث شاركت فرنسا في إنشاء الشركات الاستعمارية بقصد احتكار التجارة مع الهند والشرق الأقصى وقد اتخذ الفرنسيون من السنغال قاعدة للتوغل في غرب إفريقيا ومن "الجابون" قاعدة للتوغل في إفريقيا الاستوائية.

وقد قسمت فرنسا بعد ذلك مستعمراتها إداريا إلى مجموعتين.

المجموعة الأولى: تتكون من (8) أقاليم سميت بإفريقيا الغربية الفرنسية

10 - عبدالرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، ص 220.



المجموعة الثانية: وتتكون من (4) أقاليم سميت بإفريقيا الاستوائية

الفرنسية وكان هدف السياسة الفرنسية من هذا التقسيم هو إتاحة الفرصة للتطبيق النظام اللامركزي، حيث يستطيع حاكم كل وحدة إدارية أن يتصرف في التشريعات والإدارة المحلية بما يتلاءم وظروف إقليمية، ولذلك ألحقت بهذه الوحدات مجالس استشارية تتألف من النبلاء ورؤساء القبائل التقليدية وبعض الأوروبيين . ولكن من الناحية العملية كان حاكم الإقليم مطلق السلطات حتى لقب بال "بردكونسيل" فقد كان يحيط نفسه بمجلس استشاري، ويضع التشريعات التي تروق له. ويقدمها لرئيس الجمهورية الفرنسية للتصديق عليها.

ولم تتعنت الإدارة الفرنسية في الفترة الأولى من استعمارها لإفريقيا الغربية والاستوائية إلا باستغلال الموارد الطبيعية لصالح شركات الاحتكار. ولم تتدخل في شؤون التعليم او الصحة او الشؤون القضائية الخاصة بالقبائل ولذلك استمرت المحاكم الشرعية تمارس بسلطاتها القضائية في كل المجتمعات الإسلامية في إفريقيا لفترة من الوقت وكانت القبائل الوثنية تطبق العرف .

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ألغت فرنسا نظام التجنيد والعمل الإجباريين وبدأت الإدارة الفرنسية تهتم بالشؤون الاجتماعية، وأصبحت تتحمل أعباء مالية لسد العجز في ميزانية المستعمرات، واقتصرت منافعها على أصحاب رؤوس الأموال ملاك الأسهم في شركات الاحتكار.

وفي الحرب العالمية الثانية (1939-1945) سقطت فرنسا في يد ألمانيا ونعى الفرنسيون حريتهم التي سحقت وسعوا الى استردادها .



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

وعندما راح الفرنسيون يخوضون معركة التحرير وقف الأفريقيون في المستعمرات الفرنسية الى جانب نصره فرنسا في قوة و ثقة وتطلع الى مستقبل تتدعم فيه مبادئ الحرية والمساواة.

وقاتل الأفريقيون في صفوف الحلفاء وبذلوا جهدهم في سبيل تحقيق النصر وكان التشاديون ينظرون الى فرنسا في حربها ضد ألمانيا على أنها دفاع عن الوطن وكان يؤمنون وهذه الحقيقة ملموسة لدى المحاربين القدماء بأن الدفاع عن فرنسا هو دفاع عن تشاد لذلك قاتلو بكل بسالة و إخلاص في صفوف الجيش الفرنسي وهذا الشعور جعلهم يعتقدون حتى الان أن بلادهم هي مهد المقاومة ولها الفضل الأكبر في تحرير فرنسا من الألمان. وبعد أن تحررت فرنسا من الاحتلال الألماني في عام 1943 وعرفانا بالفضل الذي قدمه الشعب الإفريقي لفرنسا في الحرب، أرادت حكومة فرنسا الحرة أن تقابل الوقوف في مستعمراتها الإفريقية بالمثل، فدعا الجنرال ديغول في عام 1944 إلى عقد مؤتمر في برازفيل، وصرح بأنه سيكافئ سكان المستعمرات بإعلان المساواة في الحقوق السياسية وإلغاء الاحتكارات الاقتصادية.

مؤتمر برازفيل وتوصياته:

بدأ المؤتمر في الفترة من 30 يناير الى 8 فبراير 1944 الى بمدينة برازفيل وقد تم اتخاذ عدة توصيات فيها.

تشاد ومناطق إفريقيا الاستوائية والغربية الفرنسية الأخرى النظم الحزبية قبل عام 1946 .

وكان لإخفاق فرنسا في حرب الهند الصينية وانعقاد مؤتمر باندونج (ابريل 1946م) الذي عبرت فيه الشعوب (الأفرو- اسوييه) عن رفضها



الخضوع للاستعمار وفشل العدوان الثلاثي (إسرائيل - إنجلترا - فرنسا) في أكتوبر (1956م) على مصر . برهن كل ذلك على أن هناك حقبة من الزمن قد انقضت، ولم تعد إفريقيا قادرة على البقاء كما كانت وأصبح من الضروري حدوث إصلاحات عميقة في الإدارة الاستعمارية، حينئذ أعطى قانون الملاك دفعه لحركة إزالة الاستعمار في إفريقيا .

وقد صدر قانون الملاك في 23 يونيو 1956م ونص على أنه سيتم اتخاذ تدابير تتصل باللامركزية وتوزيع السلطة الإدارية في نطاق المستعمرات، والخدمات المركزية التابعة لوزارة فرنسا ما وراء البحار. وذلك من أجل اشتراك المستعمرات في إدارة مصالحها الخاص بالوزارة بصوره أوثق.

ولاشك أن فرنسا تحتفظ بجزء كبير من امتيازاتها لأن ممثلها حاكم الإقليم يرأس مجلس الحكومة ويدير خدمات الدولة. وقد أنشأ قانون الملاك الانتخاب العام، وهيئة الناخبين الوحيدة والغي التدابير المقيدة التي كانت تؤثر في الهيئة الانتخابية.

وأن الخدمات والمؤسسات التي تعتبر مصالح عامه تشرف عليها

الحكومة الفرنسية هي:

1. السلطة المركزية .
2. العلاقات الخارجية .
3. الأمن العام والعسكري والاقتصادي.
4. حرية المواطنين.



تطوير البحث العلمي في التاريخ المعاصر بإفريقيا
جنوب الصحراء خلال القرن العشرين

و المؤسسات والخدمات التي تكفل تماسك العناصر المكونة للجمهور
وازدهارها الاقتصادي والثقافي ونظامها النقدي والمالي.

وما عدا ذلك يدخل تحت توجيه وإدارة الخدمات الإقليمية. ومما سبق
ذكره أن قانون الملاك ومراسيمه التطبيقية قد جعلت من الجمعية الإقليمية
مؤسسة أساسية، فبالإضافة إلى توسيع اختصاصاتها فهي تتولى انتخاب مجلس
الحكومة لذلك اتسمت انتخابات مارس 1957 بأهمية قصوى.

وفي 24 أغسطس 1958 م صرح الجنرال ديغول قائلاً من يريد
الاستقلال سيحصل عليه في الحال ولن تعترض فرنسا على ذلك، ويستطيع أن
يتابع مسيرته بمفرده وعلى مسؤوليته، وبالفعل اتفقت كل الأحزاب السياسية
المختلفة في تشاد على التصويت بـ " نعم " أي نعم للانفصال عن فرنسا
وإعلان الاستقلال وصوت 98 , 3 % من مجموع الأصوات . فقد تحدث حاكم
الإقليم التشادي السيد ارنيه تراودك إلى النواب التشاديين قائلاً " لقد أعددت
القرار الرسمي الذي يعطي القرار الذي اتخذتموه قوه التنفيذ لكي أوقعه في
حضوركم من الآن.

وفي 28 نوفمبر 1958 أي بعد مرور شهرين من الاستفتاء أعلن قيام
جمهورية تشاد وأصبحت دولة عضوا في الرابطة.



قائمة المصادر

1. عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982م
2. يونس، جهود الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عمر الماحي العلمية واهم إنجازاته العلمية والفكرية والإدارية، بحث الاجازة العالية، جامعة الملك فيصل، 2015م .
3. مصطفى متولي، من رواد التعليم العربي بدولة تشاد، جامعة الملك فيصل، 2018 .



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

د. اسماعيل حامد اسماعيل علي

رئيس قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا الأمريكية

المقدمة:

تُعد إحصائيات أعداد المسلمين لاسيما في الدول التي تقع في منطقة غرب أفريقيا سواءً من خلال البيانات الحكومية الرسمية أم غير الرسمية من أكثر الإشكاليات المؤثرة، بل والمسكوت عنها في ذات الآن، والتي تواجه أكثر المسلمين في هذه البلاد، حيث تبدو حالةً من التعتيم ربما المقصود، أو ربما غير مقصود من قبل العديد من الحكومات الأفريقية حول هذا الأمر الشائك. ويبدو أن المأرب الرئيس وراء تلك الحالة من الغموض حتى لا يتعرف المسلمون على حجمهم الديموجرافي الحقيقي في بعض تلك الدول، ومن ثمة تبدو لهم معالم قوتهم، ومدى تأثيرهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، وربما يأتي ذلك الأمر في ضوء محاولات بعض الحكومات الأفريقية تهدف لتهميش مسلم بلادهم، ويبدو ذلك- في الغالب- بوازع تأثيرات من بعض القوى الغربية التي ترى أن الإسلام، أو المسلمين على وجه الدقة، يُعتبر- بشكلٍ أو بآخر- خطرًا على مصالح تلك القوى الإمبريالية في أفريقيا، وعائقًا كؤودًا في استغلال ثرواتها.



أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة التي نحن بصددنا إلى رصد تلك الإشكالية بشكل موضوعي، وما يرتبط بها من معطيات، ومحاولة الإجابة على بعض التساؤلات المهمة التي تظهر في هذا الشأن. كما تهدف الدراسة إلى التعرف على أي مدى يمكن أن تكون الإحصائيات الحكومية والرسمية دقيقة، وموضوعية في ذات الآن، في تناولها لأعداد المسلمين من مواطني الدول الواقعة جنوب الصحراء الكبرى لاسيما في بلاد غرب أفريقيا، وهي البلاد التي اشتهرت باسم "بلاد السودان" (الغربي) Land of Sudan بحسب المصادر العربية الكلاسيكية، وذلك مقارنة بما يرد في بعض الدراسات العلمية الحديثة، والتي قد تُعطي لهؤلاء المسلمين الأفارقة أرقامًا تختلف بشكل لافت في بعض تلك الدول عن تلك الأرقام المُعلنة رسميًا من قبل الحكومات.

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة بشكل كبير لقلّة الدراسات العلمية التي اهتمت بتناول هذا الموضوع، وما يمثله من أهمية، بشكل أكثر عمقًا، وبما يعطي تصورًا واضحًا حول تلك الإشكالية المسكوت عنها بشكلٍ مريب. ولاريب أنه من بين الرؤى المهمة لهذه الدراسة التي بين أيدينا نظرًا لأهمية التعرف على الإحصائيات الحقيقية والموضوعية حول أعداد المسلمين في العديد من البلاد الأفريقية جنوب الصحراء لاسيما تلك الواقعة في منطقة غرب أفريقيا. ومن المؤكد أن هذا الأمر يُشكل بدوره تحدٍ كبير أمام مسلمي القارة، وما يكابدونه من التهميش المتعمد في كثير من الأحيان. ولعل ذلك الأمر يرجع بسبب إهمال الكثير من الحكومات الأفريقية جنوب الصحراء لاسيما تلك التي يُشكل فيها



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

المسلمون أقلية بحسب الإحصائيات الرسمية، خاصة وأن الدراسات الحديثة لم تنتبه لهذا الموضوع الشائك بشكلٍ موضوعي يتفق مع أهميته.
إشكالية الدراسة:

تبدو إشكالية هذه الدراسة جليةً أمام ناظري أي باحث مُدقق في الشأن الأفريقي، وممن يلفت انتباهه تباين الأرقام والأعداد حول المسلمين في العديد من دول القارة الأفريقية. وربما يظهر ذلك الطرخُ بشكل لا يمكن أن تُخطئه العين من خلال التفاوت في إحصائيات أعداد المسلمين بشكلٍ لافت أحيانًا في بعض الدول مثل غانا والكاميرون، وغيرهما. الخ¹. وجديرٌ بالذكر أن تفاوت أعداد المسلمين في بعض الدراسات الحديثة مقارنةً بالأعداد الرسمية يبدو أحيانًا صادمًا لمن يُدقق فيه، إذ ربما تصل الأعداد في بعض الدراسات لضعف الرقم الذي تعلن عنه الحكومات رسميًا، وهو ما يُعد إشكالية حقيقية حول مسلمي أفريقيا، وقوتهم الديموجرافية الفعلية في غرب أفريقيا، وهو ما يُحاول الباحث أن يُميط اللثام عنه. ومن ثمة، تُحاول الدراسة أن تقدم إجاباتٍ على بعض التساؤلات المهمة: هل يُشكل مُسلمو غرب أفريقيا أغلبية حقيقية؟ أم أنهم مجرد أقلية؟ وإلى أي مدى تتعمد بعض الحكومات تهميش دورهم في المجتمع؟

الكلمات الدالة: "الأقليات المسلمة، غرب أفريقيا، الاستعمار،

الإرساليات التبشيرية".

1 كما يبدو ذلك الأمر في دولة أثيوبيا التي يكون المسلمون فيها أعدادًا كبيرة، ومؤثرة ربما تصل لغالبية السكان في هذه الدولة الأفريقية، ورغم ذلك لا يبدو ذلك العدد في الإحصائيات الرسمية التي تعلن عنها الحكومات الإثيوبية المتعاقبة، ومن ثم يعاني المسلمون من التهميش، وبما لا يتوافق مطلقًا مع عدد مسلمي أثيوبيا الحقيقي.. الخ، وغير ذلك من النماذج الأخرى في قارة أفريقيا والتي تلفت الانتباه.



1- إشكاليات حول الأقليات المسلمة في غرب أفريقيا:

تتميزُ غرب أفريقيا بأنها منطقة ذات تنوعٍ إثنيّ، ودينيّ، وهو تنوعٌ مُعقد في ذاتِ الآن، وهو ما يُمثل أحد التحديات التي تواجه العديد من دول أفريقيا حتى يومنا هذا². ويعبر مصطلح "الأقلية" بمفهومٍ عام عن جماعةٍ تعيش في دولةٍ ما، وينتمي أفرادها لذات العرق، أو الدين، أو اللغة، وهو غير ما تنتمي إليه الأغلبية³. ويرى البعض أن الأقليات تُشكل جماعاتٍ محدودة تحكمها قوانين الدولة، وتخضع في علاقاتها مع الأغلبية لسلطة قوانين الدولة⁴. ولاريب أن الدراسة المُجردة للأقلية المسلمة في بعض مناطق الغرب الأفريقي عامة تُعدُّ من الإشكاليات المُعقدة.

ومن ثمة، فإن هذا الأمر يُعد بمثابة نقطةٍ شائكة لدى العديد من الدول الأفريقية، نظرًا لتعدد إحصائيات المسلمين هناك، ولاسيما وأن المسلمين

2 Arnim Langer and Ukoha Ukiwo: Ethnicity, Religion and the State in Ghana & Nigeria, Perceptions from the Street, Center for Research on Enequality, Human Security & Ethnicity (CRISE), no. 34, University of Oxford, 2007, P. 4.

3 حسوني أبوبكر: فقه الأقليات المسلمة بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران (الجزائر)، 2012م، ص24. وللمزيد من تعريف مصطلح الأقلية، انظر فاروق مصطفى: الجماعات العرقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص41.

4 حسوني أبوبكر: فقه الأقليات المسلمة، ص25. كما يبدو لنا مصطلحٌ آخر مهم يرتبط بمفهوم الأقلية بشكل أو بآخر، وهو مصطلح "الجالية"، ويشير البعض إلى أن لفظ "الجالية" مأخوذٌ من لفظ (يجلو)، ويعنى من جلوا عن منازلهم، وهو ما يشير إلى أنهم- أي "مجتمع الجالية"- في الأصل ليسوا من البلاد التي يعيشون فيها (انظر أحمد الخاني: الأقليات المسلمة في العالم، ص6). كما يُقصد بـ"الأقلية"، بحسب آخرين، جماعةٌ من السكان من شعبٍ مُعين، عددهم أقل من بقية السكان، ولهم ثقافتهم، ولغتهم، وكذلك لهم عقيدتهم، وهم يُطالبون بالحفاظ على هويتهم، وثقافتهم على أساس نظامٍ مُحدد (حسوني أبوبكر: فقه الأقليات، ص26).



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

يُشكلون في أكثر دول جنوب الصحراء أغلبيةً واضحة، بينما في دول أخرى قليلة وإن يُشكلون أقليةً مؤثرةً بحسب البيانات الرسمية، ومن ثم فلهم دورٌ فاعلٌ في بنية المجتمع، وربما نجد في الغالب أعدادًا مختلفة لهم، حيث تتحدث العديد من الدراسات عن أرقام تختلف بشكلٍ لافت عن التي تعلن عنها الحكومات في هذه الدول⁵. ورغم ذلك، يمكن الإشارة بشكلٍ موضوعي إلى أن المسلمين في عدد من تلك الدول الذين يُعتبرون فيها أقلية (ومنها دولة غانا على سبيل المثال) يتمتعون بحالة من التعايش والتسامح مقارنةً بأوضاع غيرهم في بعض الدول الأفريقية⁶.

ولا غرو أن مفهوم "القلة" أو "الكثرة" يُؤخذ دومًا في إطار نسبي بعيدًا عن أي تصورٍ مطلق، ومما أتفق عليه- من ناحية المفهوم- أن ما زاد عن نصف السكان في أي من البلاد يعني الكثرة، وما قل عن ذلك يُشير بالتالي إلى الأقلية، وذلك هو المبدأ العام لفهم إشكالية العلاقة بين دلالة مصطلح "الأقلية" من جانب، و"الأكثرية" أو "الأغلبية"، من جانب آخر⁷. ومن ثم فإنه من المهم أن نُفرّق بين مصطلح "الأقلية الدينية"، و"الجماعة الإثنية"، فالأخيرة، يُقصد

5 حسن عبدالله الزرقي: المشكلات التعليمية لدى الأقليات المسلمة في كينيا الأسباب وسبل العلاج، دراسات تربوية ونفسية، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، يوليو 2012م، ص352. وللمزيد، انظر عباس شمس الدين إبراهيم: تعليم اللغة العربية في غانا، ص5. حيث تبدأ هذه النسب الواردة من زهاء 16% من إجمالي السكان في غانا على أقل تقدير، بينما تصل النسبة- بحسب دراسات أخرى- حتى 35%، وربما تصل لحوالي 50% من نسبة السكان في غانا، وهو الأمر الذي يُشكل لغزًا غامضًا أمام أي باحث مدقق، ويحتاج لتفسيرٍ منطقي حول هذا التباين العريض في أعداد المسلمين في غانا.

6 Cosmas Justice Ebo: A Critical Study of Chrsitian-Moslim Relations in the Central region of Ghana، Thesis of P.h.d، University of Birmingham، 2010، P. 10.

7 أحمد الخاني: الأقليات المسلمة في العالم، ص6، انظر موقع

www.alukah.net



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

بها أنهم فئة أو جماعة ديموجرافية متميزة تعيش في مجتمع أكبر، وتتميز بأن لها ثقافتها، وعاداتها، ويرتبط أفرادها بروابط السلالة، أو الثقافة⁸.



شكل رقم 1: يوضح خريطة بلاد غرب أفريقيا- نقلا عن Encyclopædia Britannica
بينما يُحاول البعض في ذات الآن الربط بين مصطلح "الجماعة الإثنية"، أو "الجماعة القومية"، وأن كليهما مرادفاً للآخر، وهم يعتقدون أن استخدام مصطلح "الجماعة الإثنية" ينطوي بالضرورة على وجود جماعات إثنية أخرى تعيش معها⁹. ولا يقتصر الاختلاف بين تلك الجماعات على أحد المتغيرات كالدين، أو اللغة، أو الأصل القومي، كما يرتبط ذلك المفهوم بالحجم العددي، ومظاهر الغلبة، والقوة الاجتماعية في أشكالها السياسية، والاقتصادية،

8 فاروق مصطفى إسماعيل: الجماعات العرقية، ص41.

9 سعد الدين ابراهيم: تأملات في مسألة الأقليات، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1992م، ص27.



والثقافية¹⁰. ويرى البعض أن مصطلح الدولة "ذات الأقلية المسلمة" من "المنظور السياسي"، وفي مجال خدمة الإسلام، حيث تبدو عدة مقاييس ومحددات يُبنى عليها التصور الخاص بتحديد مفهوم الدولة ذات "الأقلية المسلمة"، ويبدو من أبرزها ذلك المعروف بـ"المقياس العددي"، ومن المُنفق عليه أن الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها على 50% من السكان تُعتبر دولة مسلمة، وإذا نقص العدد عن ذلك، أُعتبروا دولة "ذات أقلية مسلمة"¹¹. ونظرًا للظروف التاريخية التي مرت بها قارة أفريقيا، وكابتت خلالها العديد من الصعوبات، وهو ما انعكس على أحوال شعوبها بسبب الاستعمار، حيث تسبب المستعمرون في بث بذور الفتن بينها، ومن ثم نشوب صراعات دموية أنتجت أعدادًا هائلة من اللاجئين بشكل مأساوي في بعض دول غرب أفريقيا¹². وبمرور الزمن بدأ الاقتناع بأن قيمة التصور الخاص بـ"الحجم العددي" باعتباره معيارًا لتحديد مفهوم "الأقلية" يفقد جزءًا من أهميته¹³.

ويرى الباحث أن اليهود على سبيل المثال يُشكلون أقلية واضحة في العالم حاليًا، ورغم ذلك فإنهم يُسيطرون لحدٍ كبير على العديد من مفاصل الاقتصاد، ويتحكمون في أكثر وسائل الإعلام ذات التأثير في الرأي العام العالمي، ومن ثم فهم على قلتهم يتحكمون في توجيه الرأي العام الغربي، وهو أمرٌ غير خفي. وعلى هذا، يعتقد بأن المعيار الحقيقي هو مقدارُ القوة والتأثير

10 سعد الدين ابراهيم: مسألة الأقليات، ص27.

11 أحمد الخاني: الأقليات المسلمة، ص6-7.

12 ربما يتجاوز عدد اللاجئين أكثر من 6 ملايين، وهو أكبر عدد من اللاجئين في العالم، وتبلغ نسبة عدد لاجئي أفريقيا نسبة للسكان حوالي لاجئ لكل 75 شخص (أحمد الخاني: الأقليات المسلمة في العالم، ص16).

13 سعد الدين ابراهيم: مسألة الأقليات، ص28.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

الذي تتمتع بها الأقلية في أي مجتمع، ومن ثمة فليس معيار العدد، ونسبته هو الوحيد على الدوام، ويجب التأكيد في ذات الآن أن لكل أقلية حالتها التي تميزها، ولها خصوصيتها التي تختلف من بلد لآخر.

ويشير العلماء لأهمية العوامل السياسية، والاقتصادية، والثقافية التي تقوم بها الأقلية، ومدى إسهامها في إحداث أنماط من التطور في المجتمع¹⁴. كما يكون لتلك العوامل تأثيرها في المكانة الاجتماعية التي تترتب بالضرورة على الوضع السياسي والاقتصادي الخاص بأي من الأقليات¹⁵. ورغم ذلك، يبقى نمط "الأقلية" مرتبطاً بشكلٍ أو بآخر في "التصور الجمعي" بالجماعة الإثنية أو الدينية، المغلوبة على أمرها من جانب الأغلبية¹⁶. ولاشك أن الأمور الإحصائية في غانا- مثلاً- تبدو أكثر تعقيداً، وغموضاً مقارنةً بغيرها دول الغرب

14 محمد صالح محمد أيوب: جماعات التحديث الاجتماعي في وسط أفريقيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث كتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 1991م، ص34.

15 محمد صالح محمد أيوب: المرجع السابق، ص34.

16 وللمزيد عن مصطلح الأقلية، ودلالاتها مع النموذج الغاني على وجه التحديد، انظر تقرير وزارة الخارجية الأمريكية (لسنة 2019م) حول الحرية الدينية في غانا:

United States Department of State • Office of International Religious P.1. 'Freedom: International Religious Freedom Report for 2019

وعلى هذا فلا يزال مُصطلح "الأقليات" يُشكل نقطةً شائكة، ومحل دراسة وتحقيق من طرف المفكرين والباحثين المُحدثين سواءً من ناحية "المصطلح السياسي"، أم من ناحية "المصطلح الفقهي، وكذا الاجتماعي على اعتبار الأهمية التي تمثلها قضية "الأقليات المسلمة" في أيامنا، وخاصة مع ارتباطها بالمسلمين في عدد ليس بالقليل من دول العالم. وتبدو أمامنا إشكاليةٌ أخرى ترتبط بالتعرف على العدد الحقيقي، أو مدى دقة الإحصاء الخاص بالمسلمين لاسيما في الدول الأفريقية التي تقع جنوب الصحراء اعلى غرار غانا. وللمزيد عن إشكالية الإثنيات غانا:

Arnim Langer: Ethnicity, Religion & the State in Ghana & Nigeria
P. 4.



الأفريقي. ولعل من أسباب ذلك عدم اهتمام العديد من الدول الأفريقية بإحصاء أعداد الأقليات الدينية في بلادهم لاسيما فيما يرتبط بالمسلمين. ويبدو الداعي وراء ذلك عند أغلب الحكومات الأفريقية أن هذه "التعدادات" في حالة إظهارها للعدد الحقيقي للمسلمين قد يؤدي لوقوع مشكلات أو أزمات طائفية من وجهة النظر الحكومية. كما يبدو- في ذات الشأن- أن الحكومات الأفريقية في تلك البلاد تخشى أن يدرك المسلمون أعدادهم وقوتهم الحقيقية، ومن ثم يزداد تأثيرهم ونفوذهم في المجتمع¹⁷. كما أن أكثر "الأقليات المسلمة" التي تعيش في المجتمعات الأفريقية لا يعلن فيها عن الإحصائيات الحقيقية الخاصة بالمواليد، أو الوفيات، ولا حتى تهتم أكثر الحكومات بعمل أي إحصاءات خاصة بالزواج، أو الطلاق¹⁸. ويجدر بالذكر أن كثيرا من مسلمي أفريقيا لاسيما في البلاد ذات "أقلية مسلمة" ربما يضطرون لإخفاء مظاهر عقيدتهم، وكذلك ربما يحاولون عدم ممارسة شعائرهم الدينية، بل مما يلفت الانتباه أن بعضهم ربما يتظاهر باعتناق معتقدات أو ديانات أخرى غير الإسلام مما يساير اتجاه الدولة، أو نظام الحكم، وذلك إما خشية الاضطهاد، أو خوفاً من أن يُحرم الشخص من أن يتقلد الوظائف الإدارية العليا في الدولة¹⁹، وهو ما يزيد الأمر تعقيدا فيما يخص إشكالية الأقليات المسلمة، وما يرتبط بها من إحصاءات في العديد من الدول الأفريقية، وللحق فهذا لا يحدث في كل الدول، بل في البعض منها.

2- إحصائيات أعداد مسلمي غرب أفريقيا في العصر الحديث:

17 حسن عبدالله الزرقى: المشكلات التعليمية لدى الأقليات المسلمة في كينيا، ص352.

18 المرجع السابق، ص352.

19 المرجع السابق، ص352.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

يُشكل المسلمون "أغلبية" في أكثر دول غرب أفريقيا بحسب الإحصاءات الحكومية من ناحية، وكذلك من خلال ما ورد في البيانات غير الرسمية من ناحية أخرى، مع وجود تفاوت ضئيل في بعض البيانات، لكن ذلك لا يتعارض مع التأكيد على أن المسلمين يشكلون الأغلبية في أكثر بلاد غرب أفريقيا. كما أن المسلمين- من جانب آخر- يمثلون في بعض دول غرب أفريقيا أقلية بحسب البيانات الرسمية، وهي أرقامٌ يبدو فيها نظراً كبيراً سوف نوضحه لاحقاً، إلا أنهم يُعتبرون في ذات الآن أقلية مهمة، ومؤثرة لا يمكن إنكارها، مثل غانا على سبيل المثال²⁰.

الفرع الثاني: الدول المسلمة في قارة إفريقيا:

اسم الدولة	نسبة المسلمين	اسم الدولة	نسبة المسلمين	اسم الدولة	نسبة المسلمين
الجزائر	100%	السنغال	95%	النيجر	99%
المغرب	99%	غامبيا	90%	تشاد	85%
تونس	97%	غينيا	95%	الصحراء الغربية	100%
ليبيا	100%	بوركينافاسو	90%	إريتريا	80%
موريتانيا	100%	ساحل العاج	65%	تنزانيا	63%
السودان	79%	مالي	95%	جزر القمر	99.5%
مصر	94%	بينين	60%	غانا	50%
الصومال	100%	نيجيريا	65%	سيراليون	65%
جيبوتي	100%	الكامبيون	60%	إثيوبيا	55%
توغو	55%	موزمبيق	55%	غينيا بيساو	70%

20 United States Department of State: International Religious Freedom 2019, PP. 1-2.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

شكل رقم 2: جدول يذكر أن نسبة مسلمي غانا تبلغ 50% من السكان

نقلاً عن: صالح زندفي: حاضر العالم الإسلامي، ص38.

ويؤيد تلك الرؤية أن الدول المجاورة لدولة غانا في غرب أفريقيا يبلغ أعداد المسلمين بها نسب مرتفعة حيث تصل فيما بين 60% إلى 90% من السكان، أي أن المسلمين يُشكلون الغالبية المطلقة في تلك البلاد. ولفهم واقع المسلمين في هذه المنطقة، ولندرك خطورة إشكالية إحصاء مسلمي غرب أفريقيا يمكن أن نُشير لإحصائيات المسلمين في بعض تلك الدول، حيث تبلغ نسبة المسلمين في "نيجيريا"-على سبيل المثال- بحسب أحد الإحصائيات أكثر من 75% من سكان البلاد²¹، وإن كان مسلمو نيجيريا بحسب إحصاء آخر يبلغ عددهم حوالي 65% من سكان هذه البلاد (انظر شكل رقم²)، ورغم اختلاف النسبتين، إلا أن مسلمي نيجيريا يشكلون غالبية السكان في تلك الدولة. بينما يبلغ عدد السكان في دولة "ساحل العاج" (كوت ديفوار) حوالي 16 مليون نسمة، ويُشكل المسلمون هناك حوالي 60% من إجمالي السكان²². بينما في دولة السنغال، يبلغ عدد السكان 3،5 مليون نسمة، ويُشكل المسلمون حوالي 95% من هذا العدد، في الوقت الذي تشكل فيه المسيحيون والوثنيون حوالي 5% فقط²³.

أما المسلمون في دولة النيجر: فيبلغ عددهم 99% من عدد السكان، وهي من أعلى النسب في كل القارة الأفريقية، بينما تبلغ نسبتهم في تشاد

21 إبراهيم محمد آدم: الأوضاع المعاصرة للمسلمين في غرب أفريقيا، ص185.

22 المرجع السابق، ص185-186.

23 يبلغ عدد سكان "ليبيريا" ثلاثة ونصف مليون نسمة، ويشكل المسلمون بها 20% من عدد السكان (إبراهيم محمد آدم: المرجع السابق، ص186).



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

85%، وفي دولة سيراليون قرابة 65% (شكل رقم²). ومن أبرز النماذج في غرب أفريقيا حيث تتفاوت النسب من دراسة لأخرى بشكل لافت غانا، فرغم أن بيانات الحكومة تؤكد أن المسيحيين يشكلون الأغلبية المطلقة، وفي ظل وجود أقلية مسلمة قوية، ومؤثرة. ومن المعروف أن "دستور غانا" يؤكد- دوماً- على مفهوم "العلمانية" السائدة في الدولة، ولا يشير الدستور في أي مادة من موادها بأنها دولة مسيحية، أو حتى ملحدة²⁴. وكان آخر إحصاء رسمي قامت به الحكومة في غانا يُشير إلى أن المسلمين يُشكلون زهاء 18% فقط من عدد السكان، فيما تبلغ نسبة المسيحيين حوالي 71% من السكان، بينما 11% ممن يدينون بالعقائد الوثنية، والأرواحية، أو ممن اللادينيين²⁵.

وتضم الأغلبية المسيحية في غانا العديد من الطوائف، ومن أبرزها: الكاثوليك، والأرثوذكس، والإنجليون، والميثوديست، واللوثريين، وتوجد طوائف أخرى ذات أفكار ونزعات صهيونية تربط نفسها بـ"أرض صهيون" المزعومة مثل "إبيسكوبال صهيون" Episcopal Zion²⁶. وبحسب تقرير

24 Kofi Kuashigah: Religion and the Secular State in Ghana. P. 332.

25 United States Department of State: Office: Report for 2019, P. 2.

26 Ibid. P. 2.

ومن أبرز تلك المجموعات والطوائف المسيحية في جمهورية غانا حالياً بحسب ما ورد في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول الحرية الدينية في دولة غانا، وهو التقرير الذي نشر في سنة 2019م، حيث يذكر:

Anglican، Methodist، Christian denominations includ Roman Catholic African ، Evangelical Presbyterian Church، Presbyterian، Mennonite Methodist ، Evangelical Lutheran، Christian Methodist Episcopal، Episcopal Zion Eden The Church of Jesus Christ of Latter-، Revival Church International ،day Saints



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا
دراسة نقدية تحليلية

"وزارة الخارجية" الأمريكية حول "الحرية الدينية" في غانا (سنة 2019م)، يبلغ عدد السكان حوالي 28.1 مليون بحسب الإحصاء الحكومي (سنة 2018م)²⁷. بينما تذكر إحصائية منشورة سنة 2012م أن الجالية المسلمة في غانا تبلغ حوالي 16% من السكان²⁸، ويبلغ عدد المسلمين بحسب هذا الإحصاء 3 ملايين و790 ألف نسمة، بينما يبلغ عدد السكان آنذاك أكثر من 23 مليون و800 ألف نسمة²⁹.

وكان سكان غانا إبان العقد الأخير من القرن الماضي يبلغون حوالي 14 مليون، أي ما يعني زيادة ضعف السكان خلال أقل من ثلاثة عقود، وكان المسيحيون يُشكلون الغالبية، مع وجود أقلية مسلمة كبيرة، إضافة لأقليات من الوثنيين، واتباع الديانات التقليدية³⁰. وبحسب إحصائيات أخرى، يُشكل مسلمو

، Eastern Orthodox، Baptist، Pentecostal، Seventh-day Adventist African and numerous ، the Society of Friends، independent churches nondenominational Christian groups

ومن المعروف أنه في سنة 2000م، بلغ نسبة النمو السكاني في جمهورية غانا حوالي 2.7 في المائة، وللمزيد عن إحصاءات السكان في دولة غانا، انظر:

Line kuppens :The Role of Religion as Compared to Ethnicity، Settlement Patterns in Nima، Centre for Research on Peace & Development (BELGIUM)، No.18، 2013، P. 2.

27 United States Department of State: Office: Report for 201 9، PP. 1-2.

وللمزيد عن تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول الحرية الدينية في غانا، انظر شكل رقم 3.

28 رابطة العالم الإسلامي: المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات، 2012م، ص 10.

29 المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات، 2012م، ص 10.

30 Geoff Crowther: Africa، P. 323.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

غانا في أحدها قرابة 50% من السكان³¹، ولعل هذا الرقم اللافت يُعتبر أعلى إحصاء تم رصده (بواسطة الباحث)، وهو إحصاء له دلالاته يؤكد على فكرة التباين الواضح في إحصاءات مسلمي غانا (شكل: رقم²). بينما تُظهر لنا أرقام أخرى فيما يخص مسلمي غانا تختلف عما سبق، فبحسب دراسة علمية حديثة (فبراير- 2017م) لباحثي مركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية "إنسامير"³²، وهي تذكر أن نسبة المسلمين في غانا تبلغ حوالي 25%، بينما تبلغ نسبة المسيحيين حوالي 60%³³.

وبحسب دراسة أخرى لأحد الأكاديميين من غانا، والتي تذكر أن نسبة المسلمين في بلادهم تبلغ حوالي 35% من عدد السكان³⁴. بينما تُشير إحصاءات أخرى إلى أن نسبة المسيحيين تبلغ حوالي 68.8%، أما نسبة المسلمين فتبلغ حوالي 15.9%، وهو رقم متواضع جدًا، ولا يُعبر عن النسبة الحقيقية للمسلمين، بينما يُشكل أتباع الديانات التقليدية- بحسب ذات الدراسة- حوالي 8.5%³⁵. وتوجد في غانا طوائف دينية أخرى أصغر، بما في ذلك مجموعات مثل "الإكا- نكار" Eckankar والبوذيين التي تُشكل باقي السكان³⁶. وبحسب إحصاءات أخرى، يُشكل مسيحيو غانا حوالي 71.2%، مع

31 صالح زندافي: حاضر العالم الإسلامي، ص38.

32 Insamer: Ghanaian Muslims، February 18، 2017، وللاطلاع على هذه الدراسة، انظر موقع المركز على هذا الرابط

https://insamer.com/en/ghanaian-muslims_1118.html

33 Insamer: Ghanaian Muslims، February 18، 2017

34 وللمزيد عن هذه الدراسة، انظر عباس شمس الدين: تعليم اللغة العربية في غانا، ص5.

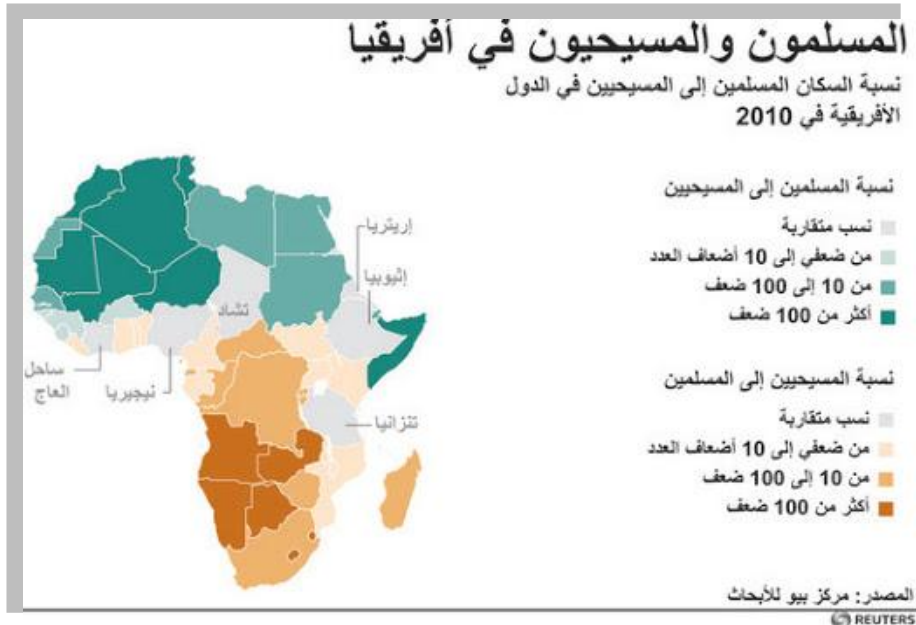
35 Kofi Kuashigah: Religion and the Secular State in Ghana. P. 331.

36 Ibid. P. 331.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

وجود أقلية من المسلمين تُشكل حوالي 18% من نسبة السكان³⁷. وفي ذات الشأن، تذكر دراسةٍ أخرى أن مسلمي غانا يمثلون حوالي 20% من عدد السكان، بينما تبلغ نسبة المسيحيين حوالي 70%³⁸. ولعل كل ذلك يؤكد فكرة التفاوت فيما ورد بين الدراسات الحديثة من جانب، وما ورد في البيانات الرسمية من جانب آخر.



شكل رقم 3- يوضح نسبة السكان المسلمين إلى المسيحيين في أفريقيا (سنة 2010م) -
جريدة الوسط البحرينية (25 نوفمبر، 2015م)

وفي ذات الصدد، يُشكل السُنة غالبية المسلمين في غانا، إضافة لوجود الطرق الصوفية لاسيما الطريقة القادرية، وكذلك الطريقة التيجانية³⁹، هذا

37 Kamil Fuseini: Women's Autonomy in Ghana, P.1833.

38 إبراهيم آدم: الأوضاع المعاصرة للمسلمين في غرب أفريقيا، ص185.

39 United States Department of State: Report for 2019, P. 2.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا
دراسة نقدية تحليلية

إضافة لقلّة محدودة من طائفة الشيعية، وفرقة "الأحمدية"⁴⁰. ويجدر بالذكر أن بعض الطوائف من متديني غانا يطلق عليهم الـ"زيتاهيل" Zetahil، وهم طائفة تؤمن بعقائد غير واضحة، وهي تُشكل مزيجًا من الطقوس والأفكار المأخوذة من كل من الإسلام والمسيحية⁴¹. ونلاحظ أيضًا أنه في مناطق شمال غانا يُشكل المسيحيون حوالي 33%، بينما يُشكل المسلمون هناك حوالي 48.2%⁴². بينما تبلغ نسبة مسيحيي الجنوب الأغلبية المطلقة، إذ تبلغ أعدادهم حوالي 79.7%، فيما يُشكل المسلمون 11.3% بحسب "هيئة الإحصاء" Ghana Statistical Service (سنة 2012م)⁴³. ومن جانب آخر، فقد ورد في تقرير لـ"جريدة الوسط" البحرينية عن نسبة السكان المسلمين إلى المسيحيين في دول أفريقيا (العدد منشور في نوفمبر سنة 2015م)، ومنها بلاد في غرب أفريقيا من الضعف إلى قرابة 10 أضعاف عدد السكان المسيحيين، وفي بعضها تصل النسبة من 10 إلى 100 ضعف، وفي بعضها إلى 100 ضعف⁴⁴، (انظر شكل رقم 3).

40 United States Department of State: Report for 2019, P. 2.

41 United States Department of State: Report for 2019, P. 2.

42 Kamil Fuseini: Women's Autonomy in Ghana, P.1833.

43 ibid. P. 1833.

انظر رابط جريدة الوسط 44

<http://www.alwasatnews.com/news/1050320.html>



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

2019 Report on International Religious Freedom: Ghana

OFFICE OF INTERNATIONAL RELIGIOUS FREEDOM

DOWNLOAD [151 KB] / TRANSLATIONS / Share

IN THIS SECTION /
EXECUTIVE SUMMARY

Executive Summary

The constitution prohibits religious discrimination, stipulates that individuals are free to profess and practice their religion, and does not designate a state religion. Registration is required for religious groups to have legal status. There was debate among religious organizations and lawmakers over the utility of legislating to control the activities of "self-styled" pastors and the effect on religious freedom; the Christian Council of Ghana instead called for self-regulation. At year's end, no consensus had developed and no legislation was drafted. The Supreme Court rejected a lawsuit against President Nana Akufo-Addo's plans for an interdenominational national Christian cathedral, but opposition to the proposal for the new cathedral - due largely to concerns about the management of public resources - continued. Administration officials called for the public's robust support.

Muslim and Christian leaders continued to emphasize the importance of religious freedom and tolerance, and reported ongoing communication among themselves on religious matters and ways to address issues of concern. For the first time, in April National Chief Imam Sheikh Osman Sharubutu attended a Catholic Easter service, an act the 100-year-old cleric said was intended to encourage interfaith engagement.

U.S. embassy officers on several occasions discussed with religious communities concerns over religious accommodations in publicly funded schools affiliated with religious groups. Embassy officers discussed religious freedom and tolerance with religious leaders and hosted a roundtable with faith-based and other civil society organizations about the role of religious figures and institutions in advancing religious freedom and countering violent extremism. In May the Ambassador hosted an interfaith iftar, noting that such gatherings provided an opportunity to recognize common values. In November the Ambassador spoke about religious freedom and interfaith harmony at a gathering. National Chief Imam Sharubutu hosted to encourage interaction between interfaith leaders.

Section I. Religious Demography

The U.S. government estimates the total population at 28.7 million (midyear 2019 estimate). According to the 2010 government census (the most recent available), approximately 71 percent of the population is Christian, 18 percent Muslim, 5 percent adheres to indigenous or animistic religious beliefs, and 6 percent belongs to other religious groups or has no religious beliefs. Smaller religious groups include the Baha'i Faith, Buddhism, Judaism, Hinduism, Shintoism, Eckankar, and Rastafarianism.

Christian denominations include Roman Catholic, Methodist, Anglican, Mennonite, Presbyterian, Evangelical Presbyterian Church, African Methodist Episcopal Zion, Christian Methodist Episcopal, Evangelical Lutheran, Eden Revival Church International, The Church of Jesus Christ of Latter-day Saints, Seventh-day Adventist, Pentecostal, Baptist, Eastern Orthodox, African independent churches, the Society of Friends, and numerous nondenominational Christian groups.

Muslim communities include Sunnis, Ahmadiyya, Shia, and Sufis (Tijaniyyah and Qadiriyya orders).

Many individuals who identify as Christian or Muslim also practice some aspects of indigenous beliefs. There are syncretic groups that combine elements of Christianity or Islam with traditional beliefs. Zetahil, a belief system unique to the country, combines elements of Christianity and Islam.

شكل رقم 4: تقرير وزارة الخارجية الأمريكية سنة 2019م عن الحرية الدينية في غانا



ويرى الباحث أن المسلمين في مناطق غرب أفريقيا لاسيما قبل الاستعمار كانوا يشكلون أكثرية السكان، غير أنه ومنذ بواكير العصر الحديث، ومع الوجود الاستعماري، بدأ "الواقع الديموجرافي" يتغير بشكل ملحوظ⁴⁵، وتتمثل الدوافع وراء ذلك حرص الاستعمار على بعث الإرساليات التنصيرية إلى مناطق غرب أفريقيا⁴⁶ بهدف نشر المسيحية، ومحاربة الدين الإسلامي، وهو ما أسهم في إحداث تغيرات ديموجرافية ودينية في بنية المجتمع بمرور الزمن. وربما يُشير لذات المضمون بعضُ الباحثين الأفارقة الوطنيين ذاتهم، ومنهم الباحث الغاني "كوفي كواشيغا" Kofi Kuashigah، حيث يحاول التأكيد على فكرة علمانية الدولة، ودور الاستعمار في ذلك التحول الديني الذي حدث: "أن حقيقة توغل المُستعمرين الأوروبيين من ذوي الأصول اليهودية-المسيحية في بعض بلاد غرب أفريقيا مثل غانا أصبح له تأثيرٌ بعيد المدى على الوجود المسيحي في المجتمع، والحياة العامة، والنشاط الحكومي"⁴⁷.

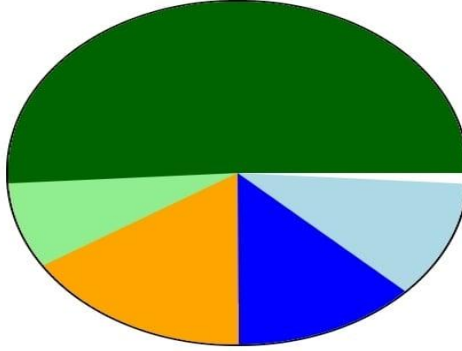
45 وللمزيد عن دور الاستعمار في التغير الديني الذي حدث في غانا بين الشمال والجنوب، انظر:

P. ، Religion & the State in Ghana & Nigeria، Arnim Langer: Ethnicity 4.

46 دونالد ويدنر: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة: راشد البراوي، دار الجيل للطباعة، القاهرة، 2001م، ص53، شوقي الجمل: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، 2002م، ص302.

47 Kofi Kuashigah: Religion and the Secular State in Ghana. P. 331.

وللمزيد، انظر بوغوينة سلمى: مملكة غانة من الاستعمار الأوروبي إلى التحرر، ص42.



Islam in Ghana (Pew Research est. 2012)



شكل رقم 5: نسب توزيع المسلمين وطوائفهم في غانا بحسب احصاء عام 2012م

ولعل هذا الرأي يؤكد على ما قام به الاستعمار بهدف زيادة أعداد المسيحيين، وامتداد نفوذهم، مقارنة بأعداد المسلمين في هذه البلاد. وكانت البرتغال أولى القوى الاستعمارية التي وصلت إلى سواحل الأطلنطي منذ سنة 1471م، وبمرور الوقت زاد نفوذهم السياسي والاقتصادي، واحتكروا تجارة الذهب في غرب أفريقيا⁴⁸. ويُشير البعض إلى أنه بعد أن وقعت غانا تحت الاستعمار الإنجليزي، كان الإداريون الإنجليز يدينون بالمسيحية، وكذا الغانيون

48 دونالد ويدنر: تاريخ أفريقيا، ص53، شوقي الجمل: تاريخ أفريقيا الحديث، ص302.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

ممن كانوا يؤثرون التقرب من الإدارة الاستعمارية باعتناق عقيدتهم لمزيد من المنافع، هذا إضافة لنشاط الإرساليات التبشيرية مما أدى في نهاية المطاف لمزيد من هيمنة العادات والتقاليد المسيحية على أنماط الحياة الاجتماعية، والعامّة، ومن ثم صارت الأعياد المسيحية ذات طابع وطني، وصارت بدورها إجازات للمواطنين⁴⁹.

2.145.207	٪٢٤,٤	8.791.832	بنين	أفريقيا
٩٩,٥٤٤	٪٥	1.990.876	بوتسوانا	أفريقيا
898.809	٪١٠	8.988.091	بوروندي	أفريقيا
3.775.860	٪٢٠	18.879.301	الكاميرون	أفريقيا
676.723	٪١٥	4.511.488	جمهورية أفريقيا الوسطى	أفريقيا
6.869.254	٪١٠	68.692.542	جمهورية الكونغو الديمقراطية	أفريقيا
80.256	٪٢	4.012.809	جمهورية الكونغو	أفريقيا
7.958.188	٪٢٨,٦	20.617.068	ساحل العاج	أفريقيا

شكل رقم 6: الأقلية المسلمة في قارة أفريقيا (سنة 2012م)

نقلا عن: رابطة العالم الإسلامي: المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات، ص8 ويشير هذا الطرح في ذات الوقت إلى أن تحول المسيحيين للأغلبية في بعض الدول تم عن قصد بسبب التدخلات الاستعمارية في هذه البلاد، أي أن

49 Kofi Kuashigah: Religion and the Secular State in Ghana. P. 331.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

الأغلبية المسيحية الحالية ليست أغلبية أصيلة في تلك الدول، وليس لها ثقل تاريخي مقارنة بالوجود الإسلامي بها. ونظرًا لقوة التأثير الإسلامي في غانا رغم كل المحاولات التي تهدف لإضعاف وجودهم، وكذلك تأثيرهم، فإنه- وفي نهاية المطاف- تم الاعتراف بالمناسبات والأعياد الإسلامية، واعتبارها أعيادًا رسمية للمواطنين⁵⁰. بينما فيما يخص الديانات التقليدية Traditional Religions، وأتباع الأقليات الدينية الأخرى كالبوذيين، وغيرهم فأعيادهم ليست مناسبات رسمية⁵¹، وذلك يؤكد بلا شك على قوة المسلمين، وتأثيرهم حتى تمكنوا من جعل أعيادهم مناسبات وطنية. وغير خفي أن بعض المستشرقين يحاولون بثتى الطُرق التقليل من نسبة المسلمين، وتأثيرهم في أكثر الدول الأفريقية، ويحاولون إظهارهم في هذه البلاد على أنهم أقلية إثنية ودينية فحسب⁵².

وتبدو الرؤية حول عدم موضوعية الإحصائيات الحكومية في غانا مثلاً في ظل وجود دراسات أخرى بعيداً عن الرؤية الرسمية تشير إلى أن المسلمين يُشكلون فيما بين 25 إلى 50% من السكان، وهي أرقامٌ جديرةٌ بالتحليل، ويجب أن توضع في الاعتبار من خلال المنظور المعروف والذي يؤكد على أن الدول الأفريقية التي لا يُشكل المسلمون فيها الأغلبية لا تذكر- في الغالب- الأرقام الحقيقية. وعلى هذا يُرجح الباحث أن نسبة مسلمي غانا ربما تتراوح فيما بين 30 إلى 40% من عدد السكان، على أقل تقديرٍ بناءً على ما ورد في أكثر الدراسات. ولاريب أن تلك الإحصاءات الخاصة بمسلمي غرب أفريقيا تشير

50 ibid. P. 331.

51 ibid. P. 331.

52 صالح زندافي: حاضر العالم الإسلامي، جامعة باتنة، الجزائر، 2020م، ص38.



بشكل واضح لارتفاع نسبة المسلمين في أكثر تلك البلاد رغم محاولات الاستعمار الدؤوبة التي تهدف لمحاربة الإسلام في هذه البلاد، حيث عملوا بقوة للحد من انتشاره، وزيادة الوجود المسيحي في المقابل، وهو ما يساعد في مزيد من التوغل الاستعماري، لاسيما وأن الإسلام في غرب أفريقيا دومًا يُشكل العدو الرئيس للاستعمار، والذي يقف حجر عثرة أمام مزيد مخططاتهم لنهب ثروات الشعوب الأفريقية. وتلك الإحصائيات تشير بشكل واضح لارتفاع نسبة أعداد المسلمين في أكثر تلك البلاد، لاسيما فالإسلام يشكل دومًا في غرب أفريقيا العدو الرئيس للاستعمار الغربي.

3- التنوع الإثني والديني في غرب أفريقيا ودلالته:

ثمة آراء تُطرح حول طبيعة العلاقات بين المسلمين وأصحاب العقائد الأخرى في غرب أفريقيا لاسيما غانا والكاميرون حيث يشكل المسلمون أقلية هناك بحسب الاحصاءات الحكومية، فالمناطق الوسطى من غانا مثلاً تعد ذات خصوصية، ففيها يعيش المسيحيون والمسلمون في حالة من التوافق المقبول، وبحسب البعض، يمكن القول بأن الدين لا يُشكل عائقاً للتفاعل والتعاون بين أتباع هاتين الديانتين⁵³. ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن الطُرق التي أدت لقدم كل من الديانتين الإسلام والمسيحية يمكنها أن تُساعد في فهم "الجغرافية الدينية" Geography Religious الخاصة بكل منهما⁵⁴. والإسلام منتشرٌ بشكل واضح منذ أكثر من ألف سنة في بلاد غرب أفريقيا جنوب الصحراء،

53 Cosmas Justice Ebo: A Critical Study of Chrsitian-Moslim Relations in the Central region of Ghana, 2010, P. 10.

54 Kamil Fuseini: Women's Autonomy in Ghana, P.1833.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

وهو دينٌ متجذر في هذه البلاد، ولأريب أنه توجد تأثيرات ذلك في هذه البلاد حتى يومنا هذا⁵⁵.

المنطقة	البلد	إجمالي السكان	النسبة المئوية للمسلمين	عدد المسلمين
أفريقيا	إثيوبيا	85.237.338	٢٢,٨%	27.957.847
أفريقيا	الجابون	1.514.993	٠,٩%	13.635
أفريقيا	غانا	23.832.495	١٥,٩%	3.789.367
أفريقيا	كينيا	39.002.772	١٠%	3.900.277
أفريقيا	ليسوتو	2.130.819	١٠%	213.082
أفريقيا	ليبيريا	3.441.790	٣٠%	1.032.537
أفريقيا	مدغشقر	20.653.556	٢٠%	4.130.711
أفريقيا	مالاوي	14.268.711	٣٥%	4.994.049
أفريقيا	موريشيوس	1.284.264	١٦,٧%	213.958
أفريقيا	موزمبيق	21.669.278	٢٩%	6.284.091
أفريقيا	ناميبيا	2.108.665	٥%	105.433
أفريقيا	ديونون	802.000	٢٠%	160.400
أفريقيا	رواندا	10.473.282	٤,٦%	481.771
أفريقيا	جنوب أفريقيا	49.052.489	٢%	981.050

شكل رقم 7- الأقلية المسلمة في قارة أفريقيا جنوب الصحراء ومنها بلاد غرب أفريقيا

(سنة 2012م)، نقلا عن: رابطة العالم الإسلامي: المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات، ص10

وتشير العديد من الدراسات التاريخية إلى أن الإسلام انتشر في أكثر بلاد غرب أفريقيا، ولكن يلاحظ يمكننا أن نلاحظ أنه في البلاد التي يشكل فيها المسلمون أقلية ديموجرافية- مثل الكاميرون وغانا على سبيل المثال- ينتشرون

55 للمزيد عن الوجود الإسلامي في غرب أفريقيا، انظر إبراهيم محمد آدم: الأوضاع المعاصرة للمسلمين في غرب أفريقيا، ضمن كتاب أوضاع المسلمين في أفريقيا (دول جنوب الصحراء)، منظمة الدعوة الإسلامية، معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط-1، 2009م، ص169-175.



في الأقاليم الشمالية من هذه البلاد أكثر من غيرها من الأقاليم الأخرى⁵⁶. ولا يزال هذا الأمر يبدو واضحًا حتى اليوم، حيث يتميز شمال غانا بأنه ذات أغلبية مسلمة⁵⁷، بينما يتركز المسيحيون في الوسط والجنوب⁵⁸. ويُعتقد أن الصلات بين المسلمين في الشمال، وسكان الغابات Forest Zone حيث يسكن شعب "الأشانتي" Ashanti People بدأت فيما يبدو خلال حقبة القرن 18م⁵⁹. وفي ذات الصدد، يوجد مسلمون- في الوقت الحالي- يستقرون في "كوماسي" Kumasi عاصمة "الأشانتي"، ويُعتقد أنهم استقروا بها منذ حوالي القرن 19م⁶⁰. وكان ملوك "الأشانتي" يتقربون من العلماء، والفقهاء المسلمين، والأشراف للاستعانة بهم، ولينالوا بركتهم لتحقيق النصر على أعدائهم⁶¹. وعلى هذا شكل الزعماء المسلمون أهميةً كبيرةً داخل البلاط الملكي للأشانتي، وكان ملوكهم يُقبلون على الحصول على تائم من علماء المسلمين لتضمن لهم الانتصار على أعدائهم حسب اعتقادهم⁶². ويشير ذلك لانتشار الإسلام في العديد من الأقاليم، وأن وجود المسلمين لا يقتصر فحسب على مناطق الشمال، بل يمتد لأقاليم أخرى. ورغم أنهم يُعتبرون أقلية هناك بحسب الإحصاءات

56 وعن انتشار الإسلام في غانا، البكري: المغرب، ص174-175، إبراهيم طرخان: امبراطورية غانة الإسلامية، ص41-42، بوعوبنة سلمى: المرجع السابق، ص29.
57 وللمزيد عن تركيز المسلمين في شمال غانا، انظر دراسة مركز البحوث الإنسانية والاجتماعية (إن سامير): Insamer: Ghanian Muslims، Februry 18، 2017.

58 Insamer: Ghanian Muslims، Februry 18، 2017.

59 Francis Acquah: The Impact of African Traditional Religious Beliefs، P. 140.

60 Ibid، P. 141.

61 Ibid، P. 141.

62 Ibid، P. 140.



الرسمية، إلا أنهم يُشكلون قوة فاعلة، ولهم دورٌ مؤثرٌ في المجتمع. ومن المعلوم أنه توجد أربع إثنيات رئيسية في غانا، وهم: شعب "الأكان" Akan، ويُشكلون أكثر من 49% من إجمالي السكان⁶³.

ثم تأتي مجموعة إثنية أخرى في هذه البلاد، وهم: الإيوي Ewe، ويُشكلون حوالي 12.7% من السكان، ثم إثنية "جاندانجامي" Ga-Dangme، ويمثلون 8% من نسبة السكان⁶⁴. ثم "الإثنية الرابعة"، وتُعتبر الأكثر أهمية لنا، ويُطلق عليهم "مولي- داجباني" The Mole-Dagbani، ويسكنون شمال غانا، وتبلغ نسبتهم حوالي 16.5% من السكان⁶⁵ بحسب التقارير الرسمية، وهذه المجموعة تشكل غالبية سكان الشمال، وترجع أهميتهم إلى أن غالبية جماعات "مولي- داجباني" من المسلمين⁶⁶. ومن أهم المجتمعات المسلمة في الشمال: "الجونجاز" Gonjas، و"مامبروسي" Mamprussi، و"دا-جومباس" Dagombas، إضافة للوجود الإسلامي في "مملكة وا" Kingdom of Wa⁶⁷.

ويرى الباحث أنه في أكثر بلاد غرب أفريقيا، ظل المسلمون يشكلون الأغلبية، بينما في بلاد أخرى أقل نجاح الاستعمار في جعلهم أقلية في مقابل

63 Arnim Langer and Ukoha Ukiwo: Ethnicity, Religion & the State in Ghana & Nigeria. P. 4.

64 Ibid. P. 4.

65 Arnim Langer: op. cit. P4. 4.

66 Ibid4

67 Francis Acquah: The Impact of African Traditional Religious Beliefs and Cultural Values on Christian-Muslim Relations in Ghana, P. 139.



المسيحيين⁶⁸. ويلاحظ في "دستور غانا" (سنة 1992م) أنه لا يذكر بشكلٍ صريح تبني الدولة لأي دينٍ، سواء المسيحية أم الإسلام، وهو ما يُشير لميل المُشرع في هذه البلاد للتأكيد على مفاهيم التسامح، واحترام التعدد الديني⁶⁹. وتشير هذه المفاهيم لحقيقةٍ مفادها بأن المسلمين رغم أنهم يُشكلون أقلية بحسب الأرقام الرسمية، لكن هذا لا يخفي وجود مسحةٍ دينية في الدستور، ولو أنها تبدو خافتة بشكلٍ أو بآخر، ومن مظاهر ذلك، حيث تبدأ ديباجة "الدستور" بعبارة: "باسم الله العظيم"⁷⁰، وهي عبارةٌ تُعبر عن تدين الدولة رغم عدم وجود دين رسمي للدولة. كما أن القوانين في غانا تُمنع الحكومة من التدخل في شؤون المنظمات الدينية سواء المسيحية أم الإسلامية⁷¹.

وفي مادة الحقوق والممارسات الثقافية (مادة 26) تقول: "يحق لكل شخص التمتع بأي ثقافة، أو لغة، أو تقليد، أو دين، وممارستها واعتناقها، والحفاظ عليها والترويج لها، بما يتوافق مع أحكام الدستور"⁷². ويُحاول البعض بموضوعية الرد على بعض المزاعم التي ربما يُلقي بها ثلثة من المُستشرقين، ومحاولات الزعم بأن الإسلام انتشر بالقوة في غرب أفريقيا، يقول أحدهم: "أما ما يتشدد به النصارى أن الإسلام انتشر بالقهر، فعليهم أن يفسروا بقاء الوثنيين

68 Francis Acquah: The Impact of African Traditional Religious Beliefs and Cultural Values on Christian-Muslim Relations in Ghana from 1920 through the Present, A Case Study of Nkuskum-Ekumfi-Enyan area of the Central Region, Study of Phd, University of Exteter, 2011, P. 139.

69 United States Department of State: Report for 201 9, P. 1.

70 دستور غانا (سنة 1992م): ص14.

71 Kofi Kuashigah: Religion and the Secular State in Ghana. P. 333.

72 دستور غانا (سنة 1992م): ص27.



الذين ظلوا جنبًا لجنب مع المسلمين تحت كنف الدولة الإسلامية في كل قطر من الأقطار التي حكمت تلك الدول منذ قرون بعيدة⁷³، وعلى هذا ارتبطت الثقافة العربية بانتشار الإسلام في أكثر بلاد غرب أفريقيا⁷⁴. ومن ثم توجد اللغة العربية حتى يومنا بقوة في العديد من دول غرب أفريقيا، وتُقبل الشعوب على تعلمها، وهو ما يُطلق عليه مصطلح: "الاستعراب"⁷⁵، وهو مُصطلح يشير إلى أولئك لأفارقة الذين تحولوا للثقافة الإسلامية. وذلك يؤكد الدور الفاعل لانتشار الإسلام في غرب أفريقيا، وهو ما أعاد صياغة هوية الشعوب الأفريقية ذاتها، وهو ما جعل الإسلام دينًا له جذورٌ سُلالية وثقافية تضرب في هذه الأرض أكثر من غيرها⁷⁶.

4- مخططات الغرب لتحويل مسلمي أفريقيا لأقلية:

يواجه المجتمع الإسلامي في غرب أفريقيا لاسيما في الدول التي يُشكل المسلمون فيها أقلية بحسب الرواية الرسمية، مثل الكاميرون وغانا، سواء كانت تحديات خارجية، أم داخلية، وهي تحدياتٌ على قدر من الخطورة، ويجب التحذير منها إن لم يلتفت المسلمون إليها، لأنه ربما يمكنها أن تُعيد صياغة الجغرافية الدينية في بلاد غرب أفريقيا، ومن ثم محاولة إظهار الهوية المسيحية بها في مقابل تهميش الهوية الإسلامية، وما يستتبع ذلك من إعادة تغيير بعض القوانين والمواد الدستورية في هذه البلاد لتؤكد كونها دولة ذات هوية مسيحية إن لم يتم الانتباه لتلك التحديات، ووضعها في سياقها. وتعتبر دول غرب أفريقيا

73 الخليل النحوي: أفريقيا المسلمة، ص14.

74 عباس شمس الدين: تعليم اللغة العربية في غانا، ص5.

75 الخليل النحوي: المرجع السابق، ص20.

76 المرجع السابق، ص21.



مطمعًا للقوى الاستعمارية القديمة التي لم تتخل عن مصالحها في هذه البلاد ذات الثروات الطبيعية.

ويبدو التوغل الغربي واضحًا في غرب أفريقيا لمزيد من السيطرة الفكرية والثقافية، لأن تلك السيطرة تؤدي بالضرورة للسيطرة الاقتصادية والسياسية. وذلك يفرض تحديًا لا يمكن إغفاله أمام المسلمين في دول غرب أفريقيا. ولاريب أن منطقة غرب أفريقيا تشهد أنماطًا مختلفة من التدخلات الغربية الخارجية لمزيد من التوغل المسيحي في مقابل إضعاف الوجود الإسلامي، ولتأكيد الهوية المسيحية المزعومة لاسيما في دول مثل الكاميرون وغانا. الخ. ويؤدي بعض الأوروبيين المنتقدين لمسلمي أفريقيا دونما رؤية موضوعية، سوى في إطار أن المسلمين يُشكلون غالبية سكان أفريقيا، وعلى هذا يجب علينا أن نفهم الدوافع الحقيقية وراء ذلك الاحتقان الغربي الذي لا يخفى على أحد، ومن ثم "الرؤية السلبية" للإسلام والتي تبدو جلية في الإعلام الغربي، وظهور مصطلحات تؤكد على رواج مفهوم "الإسلاموفوبيا" Islamophobia. الخ.

ولعل ما يثير الكثير من القلق من جانب ساسة الغرب ومستشرقيه الذين يُدركون من خلال مفهومهم البرجماتي أن الإسلام يُشكل خطرًا على مصالحهم في أفريقيا، ومن ثم لا بد من محاربته بكل الوسائل في هذه القارة لاسيما في بلاد جنوب الصحراء، أو على الأقل التضييق على المسلمين، والحد من انتشار عقيدتهم باعتبارها أكثر الأديان انتشارًا في العالم. ويُشكل الإسلام بحسب التصور الغربي عائقًا صلدًا أمام المحاولات الغربية الحثيثة التي لاتكاد تنقطع



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

لتأكيد الوجود المسيحي، والمعادي للإسلام، والتي يتصدرها بعث الإرساليات التبشيرية بهدف تحويل أكثر شعوب أفريقيا للمسيحية⁷⁷.

ويبدو أن هؤلاء يتناسون عن قصد الدور المهم الذي لعبه الإسلام والمسلمون في تطور المجتمعات الأفريقية منذ ما قبل الاستعمار، وأن المسلمين ساعدوا في تحول شعوب جنوب الصحراء من شعوب بدائية بسيطة، لشعوب مزدهرة تحكم ممالك كبرى تنعم بالثراء والرفاهية، وصار لها حكام يدينون بالإسلام، وصارت لهم شهرة واسعة عبر التاريخ على غرار منسا موسى (ملك مالي)، وأسكيا محمد (سلطان صنغي)، وغيرهما⁷⁸. ومن ثمة فوجود الإسلام في أفريقيا، وانتشاره بهذه الكثافة يُمثل هاجساً كبيراً للغرب، ومستشرقيه، وعلى هذا لا يتوقف هؤلاء عن انتقاد الإسلام، ومحاولة التقليل من تأثيره في أفريقيا بكل الوسائل. هذا رغم أن مستشرقين آخرين ينتقدون الرؤية الغربية القاصرة من جانب هؤلاء المتعصبين، ومحاولات الترويج لفكرة مزعومة لديهم، وهي الجذور المسيحية للشعوب الأفريقية⁷⁹.

وعن ذلك الأمر، يقول "توماس أودن": "والأمر الذي يدعو للسخرية أن الدارسين الغربيين فهموا الجذور الإسلامية لأوروبا بأفضل من فهمهم

77 Cosmas Justice: A Critical Study of Chrsitian-Moslim، P . 17.

78 وللمزيد عن هؤلاء الملوك العظام، انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص294-295، الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة: الدكتور عبدالرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م، ص538-540، محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص46-47، السعدي: تاريخ السودان، ص72-73، الوفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم: أيمن فؤاد سيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012م، ص89-90.

79 توماس أودن: كيف شكلت أفريقيا العقل المسيحي، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، دار النشر الأسقفية، القاهرة، 2009م، ص138.



للجنور المسيحية لأفريقيا"⁸⁰. وهذا يؤكد وجود قصور واضح لدى مفكري الغرب في إدراك "الديموجرافية الحقيقية" للأديان في أفريقيا، وعلى هذا نفهم دومًا ما يرتبط بالتلاعب في عدد المسلمين في أكثر الدول الأفريقية حتى لاتبدو قوة المسلمين الحقيقية في تلك البلاد، ولعله بتأثير غربي لاجدال فيه في رأي الباحث، وهو ما يحدث بشكل واضح في غانا أكثر من غيرها من دول الغرب الأفريقي⁸¹.

وبحلول بدايات القرن العشرين (أي حوالي سنة 1908م)، كانت حوالي 92% من مساحة القارة الأفريقية خاضعة للاستعمار، بينما كانت هذه المساحة سنة 1875م تبلغ حوالي 75% من مساحة القارة مستقلة في ذلك الوقت⁸². ويُشير البعض إلى أنه تشكلت في غرب أفريقيا بسبب الاستعمار ما يشبه "الموزاييك السياسي"، حيث تكونت المستعمرات البريطانية، والفرنسية، والبرتغالية على طول سواحل غرب أفريقيا على المحيط الأطلنطي⁸³. ومنذ حقبة الثمانينات من القرن 19م (حوالي سنة 1884م-1885م)، أي مرحلة ما بعد "مؤتمر برلين" ذي الهدف الاستعماري، والذي تم بناء عليه تقسيم أفريقيا باعتبارها غنائم حرب بين القوى الاستعمارية⁸⁴. ولاريب أن فكرة "التمييز"

80 المرجع السابق، ص138.

81 Cosmas Justice Ebo: A Critical Study of Chrsitian-Moslim Relations in the Central Region of Ghana، 2010، P . 17.

82 السعيد البدوي: المرجع السابق، ص334.

83 المرجع السابق، ص326.

84 مؤتمر برلين: عقد هذا المؤتمر في سنة 1884م، وكان الهدف منه تقسيم البلاد والأراضي الأفريقية بين القوى الاستعمارية الكبرى في أوروبا لاسيما فرنسا وبريطانيا (للمزيد عن هذا المؤتمر، انظر عبدالله عبدالرازق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، ص17).



Discrimination بين المسلمين، وبين غيرهم في مجتمعات جنوب الصحراء لاسيما المسيحيين، ترتبط دومًا بمخططات الاستعمار الذي يحاول أن يلعب بهذه الورقة لإضعاف هذه البلاد لتكون فريسة سائغة لهم، وإضعاف التأثير الإسلامي، وبث الفتن في هذه البلاد.

وإبان القرن 18م، بدأت أعداد متزايدة من التجار الأوروبيين في إثبات وجودهم في غرب أفريقيا، وكانت لديهم الرغبة في توسيع النشاط التجاري في هذه المنطقة إلى المناطق التي تستقر فيها الشعوب الوثنية، أو تلك المناطق النائية التي تتسم بوجود غالبية من المسلمين بهدف إضعاف الوجود الإسلامي، وأدى تقويض المنافسة التجارية الساحلية من جانب المستعمرين الأوروبيين لإقامة حكم مباشر أو غير مباشر من قبلهم، والعمل على تأمين التجارة عبر إنشاء عدد من المستعمرات الأوروبية المسيحية⁸⁵.

وثمة رأي يذهب إلى أنه حتى منتصف القرن 19م بدأت تلوح في الأفق في غرب أفريقيا، ما يطلق عليه بعضهم "تحول جغرافية انتشار الإسلام"، أو ما يُطلق عليه "حركة الأسلمة" Islamization، بين أقاليم الشمال وأقاليم الجنوب بشكل مكثف مع تزايد المشاركة الإسلامية في غرب وجنوب إفريقيا، واقتصرت غالبية الأنشطة التجارية على بعض مناطق الساحل الأفريقي⁸⁶. وهو ما يشير لقوة التواجد الإسلامي في غرب أفريقيا، قبل مرحلة الاستعمار الذي انتهج سياسة التنصير، والقيام بمحاولات لنشر المسيحية في مقابل

85 Kamari Maxine Clarke: Local Practices, Global Controversies Islam in Sub-Saharan African Contexts, The MacMillan Center Working Paper Series, The MacMillan Center, December, 2005, P. 10.

86 Ibid, P. 10.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

الإسلام، ومن ثم تحول المسلمين من أغلبية لأقلية بمرور الزمن. وشهدت هذه البلاد فرض القوانين الأوروبية، ومحاولات دؤوبة لطمس التأثير الإسلامي أواخر القرن 19م⁸⁷.

ويتضح ذلك جلياً في حالة بعض دول غرب أفريقيا (على غرار الكاميرون وغانا)، حيث كان البرتغاليون والإسبان رواد الحركة الاستعمارية هناك، وفي غيرها من دول وسط وغرب أفريقيا. وقبل حلول القرن 19م، كانت الكاميرون ينتشر فيها الإسلام خاصة في الشمال، ولما صارت الكاميرون مستعمرة فرنسية، تم تقسيم أراضيها لمنطقتين متميزتين: أقاليم الجنوب وهي ذات الأغلبية المسيحية، بينما شكل المسلمون أغلبية في الشمال، أو كما يقال: Christian South & Muslim North⁸⁸.

ويرى الباحث أن هذا "التقسيم" هو الذي دأب على استعماله المستعمرون الأوروبيون في أفريقيا، وكان المأرب من ذلك إضعاف الإسلام في غرب أفريقيا، وفي غيرها من البلدان الأخرى جنوب الصحراء على وجه التحديد، وقد تم ذلك "المُخطط" من خلال تقسيم البلاد التي تتسم بوجود "أغلبية مسلمة" لمناطق مُتمايزة، تكون إحداها ذات "أغلبية مسلمة" Islamic Majority، وهي تقع في الغالب في الشمال ربما بسبب قربها من مناطق التأثير العربي المسلم حيث تخوم بلاد شمال أفريقيا التي يدين سكانها بالإسلام، وكذلك بفضل الصلات التجارية القديمة التي تجمع شعوب شمال وجنوب الصحراء، ومناطق أخرى تتسم بأنها ذات "أغلبية مسيحية" Christian

87 Ibid، P. 11.

88 Ibid، P. 11.



Majority في الجنوب قرب التجمعات الوثنية، وبعيداً عن التأثيرات
الإسلامية⁸⁹.

ويُمثل هذا الأمر ذات النهج الذي نجده منتشرًا في العديد من الدول
الأفريقية التي وقعت تحت وطأة الاستعمار الأوروبي، ومنها الاستعمار
البريطاني الذي استخدم ذات النهج في السودان، وتم بناء عليه تقسيم هذه البلاد
فيما بعد لدولتين: شمال السودان، وجنوب السودان⁹⁰. ومعلوم أن بريطانيا
اعتمدت في غرب أفريقيا على مبدأ "فَرِّقْ تَسُدْ" "divid to rule"⁹¹، وحاولت
فرض العديد من الأفكار التي تشجع على فكرة تقسيم بين العرب والمسلمين في
الشمال، والزنج والأفارقة في الجنوب.

89 Kamari Maxine Clarke: Local Practices, Global Controversies
Islam, P.11.

90 وللمزيد عن تقسيم السودان ما بين الشمال والجنوب، انظر حمدي عبدالرحمن حسن:
مشكلة جنوب السودان، ضمن ندوة مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية
المعاصرة، لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للآثار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، 1996م، ص187.

91 انظر شوقي الجمل: تاريخ أوروبا الحديث، ص90، وانظر كذلك بو عويينة سلمى:
المرجع السابق، ص48.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

Geographical distribution

According to the 2017 Census, Muslims constitute about 18 percent of the population of Ghana.^[22]

Region	Population (2017 census) ^[23]	Percentage Muslims
Northern	2,479,461	80.0%
Upper West	702,110	40.1%
Upper East	1,046,545	45.1%
Brong-Ahafo	2,310,983	17.0%
Ashanti	4,780,380	20.2%
Greater Accra	4,010,054	15.9%
Western	2,376,021	9.4%
Central	2,201,863	8.7%
Eastern	2,633,154	6.7%
Volta	2,118,252	5.7%
Ghana	24,658,823	18%

Muslims constitute a majority in Northern

شكل رقم 8: التوزيع الجغرافي بين المسلمين والمسيحيين في غانا

بحسب احصاء سنة 2017م - تقرير وزارة الخارجية الأمريكية

كما ذاعت أفكارٌ تؤكد على فكرة "عولمة الدين" Religious Globalization لمزيد من إضعاف الإسلام⁹²، حيث إن "العولمة"، أو العلمانية فكرتان متقاربتان كمذاهب ترفض الأديان لاسيما الإسلام، وهي مفاهيمٌ غربية تحاول إضعاف تأثير الدين ولاريب أن الغاية من تلك المحاولات

92 Kamari Maxine Clarke: Op. cit، P. 11.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

الاستعمارية من فرض وترسيخ هذه الأفكار: إضعاف التواجد الإسلامي رويدًا رويدًا في غرب أفريقيا، ومن ثم زيادة نشاط "البعثات التبشيرية" لزيادة الوجود المسيحي على حساب الإسلام، وهو ما أدى في النهاية لقلّة أعداد المسلمين في بعض البلاد في مقابل زيادة الوجود المسيحي هناك، وهو ما أحدث ذلك الخلل الذي وقع بمرور الزمن، وتحول المسلمين إلى "أقلية دينية" في بعض البلاد. ولاشك أن هذا المخطط نجح في بعض الدول، ومنها: الكاميرون، وغانا، وربما منها السودان لاسيما بعد انفصال الجنوب عن الشمال، بينما فشل في دول أخرى في غرب أفريقيا، وأبرزها: مالي، والسنغال، والنيجر، ونيجيريا.. الخ، وهي التي لا يزال المسلمون فيها أغلبية المطلقة، وربما بأكثر من 90% من عدد السكان.

5- التبشير ودوره في التغيير الديموجرافي-الديني في غرب أفريقيا:

يُعد التبشير أبرز التحديات التي تواجه مسلمي غرب أفريقيا منذ حقبة الإستعمار⁹³، وقد نشطت الحركة التبشيرية في أفريقيا بعد أن كانت الإرساليات تتحرك فقط على امتداد الشريط الساحلي المتسع، واللامحدود، ثم أخذت "الإرساليات الكاثوليكية" تتحرك في السنغال، بينما توجه "البروتستانت" لغانا، وغيرها من الدول مثل: نيجيريا، وليبيريا، وسيراليون، وكان هؤلاء التنصيريون من جنسيات غربية متعددة، كالإنجليز، والألمان، وسويسرا، إضافة لوجود مُبشرين من الولايات المتحدة الأمريكية⁹⁴. ورغم قدم الإسلام، إلا

93 للمزيد عن الوجود الاستعماري الأوروبي في غانا، انظر السعيد البدوي، وفتحي الشرقاوي: دراسات أفريقية طبيعية وبشرية، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م، ص325-327.

94 الخليل النحوي: أفريقيا المسلمة، ص101.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

أنه بسبب الاستعمار في غرب أفريقيا عامة صارت بعض الدول ذات أغلبية مسيحية، كما صار المسلمون أقلية بحسب البيانات الحكومية، ولاشك أن الإرساليات التبشيرية ساعدت بشكل كبير في انتشار المسيحية في بعض الدول كغانا من خلال تقديم المساعدات المادية والعينية للقراء⁹⁵.

وكانت أكثر "الإرساليات التبشيرية" تُركز على المناطق التي يكثر فيها استقرار الوثنيين، أو تلك التي يقل فيها المسلمون لاستغلال الفراغ الديني الناشئ عن غياب الإسلام، أو استغلالاً لتقشي الجهل⁹⁶. وكان بعض حكام البلاد الأفريقية جنوب الصحراء يطلبون من ملوك أوروبا إرسال المبشرين لمواجهة نفوذ الإسلام الواسع في بلادهم⁹⁷. لقد قامت البعثات التبشيرية بإحداث حالة من التطور في غرب أفريقيا لاسيما عند سواحل الأطلنطي، وفي مناطق الجنوب التي تبعد عن التواجد الإسلامي، حيث أقام المبشرون المدارس، وأكثرها كانت خاصة بمرحلة التعليم الثانوية، وهي مدارس تعليمية تشرف البعثات التبشيرية والكنيسة على طرق التعليم فيها⁹⁸.

95 Insamer: Ghanian Muslims، Februry 18، 2017.

96 المرجع السابق، ص 101.
97 إدواردو تودا: عبر وادي النيل، ترجمة: السيد محمد واصل، مراجعة: الدكتور محمود السيد علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص 541. فأجدى الوثائق الإسبانية تذكر أن تاجرًا أسبانيًا من كبار التجار، وكان من ذوي النفوذ، وكان يستقر في نابولي (إيطاليا) ذكر في رسالة له أرسلها لأحد ملوك أوروبا: "إن إمبراطور إثيوبيا وملك الحبشة لديه رغبة في جلب إرساليات كاثوليكية إلى بلاده، والتأكيد على أوامر الوحدة مع الأمير المسيحي.." (للمزيد، انظر إدوارد تودا: المرجع السابق، ص 541).

98 Kamil Fuseini & Ishmael Kalule – Sabiti: Women's Autonomy in Ghana: Does Religion Matter ? African Population Studies، Vol. 29، No. II، 2015، P.1833.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

ولا غرو أن الاهتمام بإقامة المدارس كان بهدف ترسيخ التعليم الديني المسيحي في عقول الطلاب الأفارقة خدمة للمخططات الغربية. ويُعتقد أن السياسة التي كانت تتبعها حكومة بريطانيا في مستعمرات غرب أفريقيا كانت تقوم على سياسة "الحكم غير المباشر" في أكثر المناطق التي احتلتها، ومن ثم كانت تقوم بإعطاء الزعماء المحليين إدارة الأمور العادية في بلادهم⁹⁹. هذا في حين كانت بريطانيا، ومدبوها، يهتمون بالسياسة الاقتصادية، والخارجية، وكانت تتبع لتحقيق تلك الغاية سياسة ضم بعض الزعماء المحليين الذين يظهرون لها الولاء، ثم يتم استيعابهم في الجهاز الإداري الاستعماري لتضمن ولائهم¹⁰⁰.

99 السعيد البدوي: دراسات أفريقية، ص 331-332. بينما كانت تقوم سياسة الاحتلال الفرنسي للبلاد التي تحتلها على طمس الهوية الخاصة بشعوب تلك البلاد، وكذلك ما كانت تقوم على تدمير معالم الشخصية الأفريقية، ونظام الحكم المباشر عن طريق تكوين ما يمكن أن يكون إدارة فرنسية خالصة لتلك البلاد التي تحتلها، كما كانت تمارس فرنسا سياسة الاستيعاب أو التثريب Asimilation ومحاولة امتصاص الثقافة الأفريقية، وفرض افرنسة، أو الثقافة الفرنسية بدلاً منها (السعيد البدوي: المرجع السابق، ص 332).

100 السعيد البدوي: المرجع السابق، ص 331-332. بينما كانت تقوم سياسة الاحتلال الفرنسي للبلاد التي تحتلها على طمس الهوية الخاصة بشعوب تلك البلاد، وكذلك ما كانت تقوم على تدمير معالم الشخصية الأفريقية، ونظام الحكم المباشر عن طريق تكوين ما يمكن أن يكون إدارة فرنسية خالصة لتلك البلاد التي تحتلها، كما كانت تمارس فرنسا سياسة الاستيعاب أو التثريب Asimilation ومحاولة امتصاص الثقافة الأفريقية، وفرض افرنسة، أو الثقافة الفرنسية بدلاً منها (السعيد البدوي: المرجع السابق، ص 332).



قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- 1- ابن بطوطة: تحفة النظار، ج2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ.
- 2- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ.
- 3- السعدي: تاريخ السودان، مطبعة بردين، أنجي، 1898م.
- 4- عبدالوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2011م.
- 5- الفلقشندي: صبح الأعشى، ج5، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2005م.
- 6- محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش، مطبعة بردين، 1913م.
- 7- موسى كامرا: زهور البساتين في تاريخ السودان، تحقيق: د. ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع، الكويت، 2020م.
- 8- الوفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012م.

ثانياً- المراجع العربية:

- 9- ابراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، القاهرة، 1970م.
- 10- إبراهيم محمد آدم: الأوضاع المعاصرة للمسلمين في غرب أفريقيا (1985-2005م)، ضمن كتاب أوضاع المسلمين في أفريقيا (دول جنوب الصحراء الكبرى)، منظمة الدعوة الإسلامية (معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب)، مطابع السودان للعملة المحدودة، الطبعة الأولى، 2010م.
- 11- أحمد الشكري: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1997م.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

- 12- أحمد طاهر: أفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة، 1979م.
- 13- إسماعيل حامد إسماعيل علي: تجارة الذهب في غرب أفريقيا في العصر الوسيط، مجلة قراءات أفريقية، عدد رقم 46، الرياض، 2020م.
- 14- بوعويبة سلمى: مملكة غانة من الاستعمار الأوروبي إلى التحرر النيكرومي (1874-1957م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي، قلمة، الجزائر، 2016م.
- 15- حسوني أوبكر: فقه الأقليات المسلمة بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (الجزائر)، 2012م.
- 16- حسين سيد عبدالله مراد: دولة أودغست الإسلامية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس والأربعون، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2009م.
- 17- حمدي عبدالرحمن: مشكلة جنوب السودان، ضمن ندوة مصر وأفريقيا الجنور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م.
- 18- الخليل النحوي: أفريقيا المسلمة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
- 19- الزعيم الغاني كوامي نكروما: موقع قراءات أفريقية، www.qiraatafrican.com.
- 20- السعيد البدوي: دراسات أفريقية طبيعية وبشرية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 21- سعد الدين إبراهيم: تأملات في مسألة الأقليات، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، 1992م.
- 22- شوقي ضيف: عصر الدول والامارات، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م.
- 23- شوقي الجمل وعبدالله عبدالرازق: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، 2002م.



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا دراسة نقدية تحليلية

- 24- صالح زندافي: حاضر العالم الإسلامي، جامعة باتنة، الجزائر، 2020م
- 25- عباس شمس الدين إبراهيم: تعليم اللغة العربية في غانا التحديات والحلول، انظر موقع:
<http://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba>
- 26- عبدالله عبدالرازق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.
- 27- عبده باه: إدارة الجماعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا لأزمة بوركينا فاسو (أكتوبر 2014م)، مجلة افاق أفريقية، المجلد 12، عدد42، إبريل 2015م
- 28- فاروق مصطفى إسماعيل: الجماعات العرقية دراسة في التكيف والتمثيل الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م
- 29- كرم الصاوي باز: مصر وسودان وادي النيل في العصر الإسلامي، دار نفرتيتي للنشر، القاهرة، 2016م.
- 30- كوامي نكروما (زعيم ومؤسس ديمقراطية غانا): المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية، رابط موقع المركز <http://ciaes.net>: N.G.O.
- 31- محمد صالح محمد أيوب: جماعات التحديث الاجتماعي في وسط أفريقيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث كتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 1991م.
- 32- مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011م.
- 33- نبيلة حسن محمد: في تاريخ أفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009م.
- 34- الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، طرابلس، ط1- 2000م.
- 35- ياسر حنفي محمود: الماندنجو ودورهم السياسي في بلاد السودان الغربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 2020م.



ثالثًا- المراجع الأجنبية المعربة:

- 36- إدواردو تودا: عبر وادي النيل، ترجمة: السيد محمد واصل، مراجعة: الدكتور محمود السيد علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.
- 37- توماس أودن: كيف شكلت أفريقيا العقل المسيحي، ترجمة: نكلس نسيم سلامة، دار النشر الأسقفية، القاهرة، 2009م.
- 38- توماس هودجن: الكتابات الإسلامية التراثية في غانا، الإسلام في أفريقيا الاستوائية، تحرير: أي. إم. لويس، ترجمة: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.
- 39- دونالد ويندر: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة: راشد البراوي، دار الجبل، القاهرة، 2001م.
- 40- شارل مونتى (وآخرون): مملكة وجدو بين الأسطورة والتاريخ، ترجمة: توحيدة على توفيق، مراجعة: مادي كانتى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018م.

رابعًا- المراجع الأجنبية:

- 41- Arnim Langer and Ukoha Ukiwo: Ethnicity, Religion and the State in Ghana & Nigeria, Perceptions from the Street, Center for Research on Enequality, Human Security & Ethnicity (CRISE), no. 34, University of Oxford, 2007.
- 42- Klessigue Sanogo: Plan du Conservation et de Getion des Villes Anciennes de Djenne-Mali, Bureau multi-Pays Unesco a Bamako, 2012.
- 43- Cosmas Justice Ebo: A Critical Study of Chrstian-Moslim Relations in the Central region of Ghana, Thesis of P.h.d, University of Birmingham, 2010.
- 44- Elizabeth ohene; The priest who befriended an imam
<https://www.bbc.com/news/world-africa-48221879>
- 45- Francis Acquah: The Impact of African Traditional Religious Beliefs and Cultural Values on ChristianMuslim Relations in



- Ghana from 1920 through the Present, A Case Study of Nkusukum-Ekumfi-Enyan area of the Central Region, Study of Phd, University of Exteter, 2011.
- 46- Geoff Crowther: Africa on a Shoestring, Lonely Planet Publications, Australia, 1989.
- 47- Humphery J. Fisher: Early Arabic Sources & Al Moravid Conquest of Ghana, Journal of African History, N.83, Printed in Great Britain, 1982.
- 48- Insamer: Ghanian Muslims, Februry 18, 2017.
- 49- John Kwako Opoku: Religion, Education & Development in Ghana, A Historical Perspective, Global Journal of Arts, Humanities and Social Sciences. Vol.3, No.12, pp.6-18, December 2015, u.k.
- 50- Kamari Maxine Clarke: Local Practices, Global Controversies Islam in Sub-Saharan African Contexts, The MacMillan Center Working Paper Series, The MacMillan Center, December, 2005.
- 51- Kamil Fuseini & Ishmael Kalule – Sabiti: Women's Autonomy in Ghana: Does Religion Matter ? African Population Studies, Vol. 29, No. II, 2015.
- 52- Kofi Kuashigah: Religion and the Secular State in Ghana.
- 53- Le Tombeau des Askia a Gao: Direction Nationale du Patrimoine Culturel, Mali, Unesco, no date.
- 54- Line kuppens: The Role of Religion as Compared to Ethnicity, Settlement Patterns in Nima, Centre for Research on Peace & Development (BELGIUM), No.18, 2013.
- 55- Peter knoppe & Gregory chausal: Beneath the Apparent state of affairs: stability in Ghana & Benin, the Potential for Radicalization & Political Violence in West Africa, Netherlands Institute for International Relations, January, 2016 .



إشكالية إحصائيات المسلمين في دول غرب أفريقيا
دراسة نقدية تحليلية

- 56- The Ministry of Cheiftancy and Religious Affairs: Medium Term Expenditure Framework for 2017-2017, Republic of Ghana, 2017
- 57- United States Department of State: Office of International Religious Freedom: International Religious Freedom Report for 2019.
- 58- www.alukah.net
- 59- <https://www.bbc.com/news/world-africa->
- 60- https://insamer.com/en/ghanaian-muslims_1118.html
- 61- qiraatafrican.com.
- 62- <http://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba>.
- 63- <https://en.wikipedia.org/wiki/Ghana>
- 64- N.G.O: <http://ciaes.net>.



قراءة للمعايير والضوابط الدولية والإقليمية للنظام الانتخابي في ليبيا

-
- د. طه محمد والي
عضو هيئة تدريس، كلية الاقتصاد والتجارة، الجامعة
الأسمرية الإسلامية
 - أ. عز الدين عبد الحفيظ أبو شينة
عضو هيئة تدريس، كلية الاقتصاد والتجارة،
جامعة المرقب
-

مقدمة

تمثل الانتخابات جوهر النظام الديمقراطي، فاعتماد آلية ونوع الانتخابات مسألة مهمة للمنظمات الدولية وللنظام السياسي في الدولة وهو يؤثر على استقرار النظام السياسي، وعلاقته بالمجتمع الدولي. بعد تطور المفاهيم الدولية للديمقراطية وحقوق الإنسان وضرورة المحافظة عليها أصبحت مسألة الحكومات واختيارها أمر تهتم به الكثير من هذه المنظمات الدولية والإقليمية. وعلى ضوء ذلك ظهرت مسألة معايير وآليات امتثال الدول لهذه المفاهيم الديمقراطية، والتي منها ما هو مختص بشؤون الانتخابات، مثل حق المشاركة السياسية وتقلد الوظائف العامة وحرية الرأي والتعبير والإعلام. بالتالي فإن هذه الدراسة تسلط الضوء على أهم المعايير والضوابط الدولية والإقليمية المعنية بالانتخابات عبر التعريف بها وشروطها، وكذلك دراسة



قوانين الانتخابات العامة الليبية البرلمانية (لسنة 2014، وسنة 2021)،
والتعرف على نصوصها ذات العلاقة بتطبيق هذه المعايير أو التي تخالفها.

الإشكالية: هل الإطار القانوني الليبي للانتخابات الرئاسية متوافق أو
ملتزم بالمعايير والضوابط التي أقرتها المعاهدات والاتفاقات الدولية؟

وبناء على هذا السؤال الرئيسي تطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية:
هل الانتخابات الرئاسية الليبية تتوافق مع مبادئ الانتخابات الديمقراطية؟ ما
هي التدابير المعتمدة لضمان انتخابات حقيقية وحرّة ودورية؟ كيف يضمن
وينفذ النظام الانتخابي التعبير عن إرادة الناخبين؟ هل الأحكام التشريعية التي
تحرم المواطنين من حقهم في الانتخاب لها أسباب موضوعية ومعقولة أو
بمعنى أن مبرراتها قائمة على معايير موضوعية ومعقولة؟

استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتوضيح المعايير
الدولية والإقليمية للانتخابات ومدى التزام قوانين الانتخابات العامة الليبية بها
عبر قراءة تحليلية لنصوص هذه القوانين فيما يخص توفر الضمانات الحقوقية
والحريات في الإطار الانتخابي فيها.

محاوَر الدراسة:

المحور الأول: المواثيق والمعايير والضوابط الدولية والإقليمية
لانتخابات. والمحور الثاني: تقييم الإطار القانوني للنظام الانتخابي وفق
للمعايير الدولية للانتخابات الديمقراطية نزيهة.

المحور الأول: المواثيق والمعايير والضوابط الدولية والإقليمية للانتخابات
غالبا ما تستعمل عبارة الامتثال إلى المعايير الدولية أو المختصر
الصحفي الشائع (حرّة ونزاهة) لوصف ما إذا كانت الانتخابات في بلد ما



قراءة للمعايير والضوابط الدولية والإقليمية للنظام الانتخابي في ليبيا

تعتبر ديمقراطية وذات مصداقية. هنا نتناول لمحة عامة عن المصادر العالمية والإقليمية للمعايير الدولية للانتخابات. كما نفسر كيف يمكن استعمال هذه المعايير كنقاط مرجعية لتقييم الإطار الانتخابي في أي بلد وتحسينه.¹

تعمل العديد من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة (باستخدام مجموعة متنوعة من الوسائل الدستورية) على تضمين القرارات والمعاهدات الأساسية الصادرة عن الأمم المتحدة في قوانينها الوطنية، مثل العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام 1966 واتفاقية عام 1979 بشأن القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948؛ ويكون على القوانين الوطنية في تلك الحالات، وكذلك سياسات وأنشطة هيئة إدارة الانتخابات أن تأخذ بعين الاعتبار أحكام المعاهدات التي انضمت بلادهم إليها طواعية كالتزامات، وخاصة فيما يتعلق بقضايا مثل حق المشاركة في الشؤون العامة وتقلد المناصب وحرية الرأي والتعبير والاشتراك في الجمعيات والجماعات المدنية؛ بل أكدت صراحة على الحقوق الانتخابية مثل حق الاقتراع العام وعلى قدم المساواة بين الناخبين بالتصويت السري والحر، وحقوق المرأة في الترشيح وإشغال منصب رسمي، وحقوق فئات الأقليات اللغوية.²

- 1 - ريتشارد تشامبرز، المعايير الدولية للانتخابات في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، المؤسسة الدولية للنظم الانتخابية، 2008.
- 2 - فوزي حسين الجبوري، بريس فتاح النقيب، المعايير الدولية المعتمدة للانتخابات، مجلة كلية القانون والسياسة، ص 19: 24. راجع، تصميم نظم الإدارة الانتخابية، شبكة المعرفة الانتخابية، <https://aceproject.org/ace-ar/topics/em/emb/default>



مصادر المعايير الدولية للانتخابات:

المعايير الدولية للانتخابات هي مبادئ توجيهية وضوابط واتفاقيات ملزمة تنظم وتعزز وتحمي عملية الانتخابات الديمقراطية الحقيقية، وهي إما معايير دولية صادرة عن منظمات دولية معروفة أو معايير إقليمية تخص مناطق أو منطقة من العالم أو معايير أخرى لم تذكر في المعايير الدولية وتعتبر مكتملة لها وتأخذ صفة الدولية.³

تكمن مصادر المعايير والضوابط الدولية للانتخابات من الحريات الأساسية والحقوق السياسية فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، والتي سبقها في ذلك ميثاق الأمم المتحدة الصادر بتاريخ 1945 في مادته الأولى عندما اعتبر احد مقاصد الأمم المتحدة هو (تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا والتشجيع على ذلك إطلاقاً بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء). ولكن يعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو أول تعبير عملي لهذه الحقوق والحريات عندما اصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1948.

يأتي الحق في المشاركة في الشؤون العامة، بما في ذلك الحق في التصويت والترشح للانتخابات، في صلب الحكومات الديمقراطية القائمة على إرادة الشعب. وبالتالي تعتبر الانتخابات النزيهة عنصراً ضرورياً وأساسياً ضمن بيئة تحمي حقوق الإنسان وتعمل على تعزيزها.

3 - سامي الزبيدي، انتخابات مجلس النواب والمعايير الدولية للإقتراع، صحيفة الزمان، 16 ابريل 2014.



يرتبط الحق في التصويت والترشح للانتخابات في ظل انتخابات نزيهة ودورية في جوهره بعدد من حقوق الإنسان الأخرى، والتي يعتبر التمتع بها أمراً حاسماً لإجراء عملية انتخاب هادفة؛ وتشمل هذه الحقوق الأساسية الحق في عدم التعرض للتمييز والحق في حرية الرأي والتعبير والحق في حرية تكوين الجمعيات والتجمع السلمي والحق في حرية التنقل. وتعمل المفوضية السامية لحقوق الإنسان على ضمان أن تتوافق الانتخابات مع المعايير الدولية لحقوق الإنسان وأن تُجرى في بيئة يتمكن فيها الجميع من ممارسة حقوقهم الأساسية. وبغية تحقيق هذا الهدف، تعتمد المفوضية السامية لحقوق الإنسان مجموعة كبيرة من الأساليب، تبدأ من مقرها الرئيسي وصولاً إلى المواقع الميدانية، بما يشمل العمل الدعوي وتقديم المساعدة التقنية ورصد حقوق الإنسان في سياق الانتخابات وإعداد التقارير بشكل علني أو سري.⁴

المادة (21) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص على الآتي:

- 1- لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده أما مباشرة وأما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً.
- 2- لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.
- 3- إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

4 - حقوق الإنسان والانتخابات، مفوضية حقوق الإنسان،

<https://www.ohchr.org/AR/Issues/Pages/HRElections.aspx>



إلى ذلك ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مواده (2، 8، 13، 19، 20) على حريات وحقوق أخرى يجوز اعتبارها ذات صلة بالانتخابات وهي حرية الرأي والتعبير وحرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية، وحق الانضمام إلى النقابات وحرية التنقل وحرية التمتع بكافة الحقوق والحريات من دون تمييز وحق اللجوء الفعال إلى القانون.

أما عن العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1966، فهو بمثابة معاهدة دولية اعتمدت برعاية الأمم المتحدة وقعت وصادقت عليها غالبية الدول الاعضاء في الامم المتحدة، وأحكام هذا العهد ملزم بالنسبة للدول الأطراف كافة. وتنص المادة (25) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على ان "يكون لكل مواطن دون أي وجه من أوجه التمييز الحقوق التالية، التي يجب أن تتاح له فرصة التمتع بها دون قيود معقولة":-

1- أن يشارك في إدارة الشؤون العامة اما مباشرة واما بواسطة ممثلين يختارون في حرية.

2- ان ينتخب وينتخب في انتخابات نزيهة تجري دوريا بالاقتراع العام وعلى قدم المساواة بين الناخبين وبالتصويت السري حتى تضمن التعبير عن ارادة الناخبين.

3- ان تتاح له على قدم المساواة عموما مع سواه فرصة تقلد الوظائف العامة في بلده.

تجدر الإشارة الى ان المدة (25) من العهد الدولي تطرح ثلاثة شروط اساسية فيما يخص الحق بالمشاركة: اولاً، ان الحق بالمشاركة في ادارة



الشؤون العامة في بلد ما منوط بمواطني البلد المعني حصرا. ثانيا لا يتمتع المواطنون بحق المشاركة فحسب بل يتمتعون أيضا بفرصة ممارسة هذا الحق. ثالثا يجوز ان يقيد حق المواطنين بالمشاركة لكن في هذه الحالة لا بد ان تكون القيود معقولة دون اي تمييز على اساس العرق او اللون او الجنس او اللغة او الدين او الرأي سياسيا او غير سياسي او الاصل القومي او الاجتماعي او الثروة او النسب او غير ذلك من الاسباب.⁵

كما تطرح المادة(19) من العهد الدولي في فقرتها الثالثة واجبات ومسئوليات خاصة بممارسة حق التعبير، عبر إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون محددة بنص القانون وأن تكون ضرورية لاحترام حقوق الآخرين أو سمعتهم، وايضا لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة.

شأن الاعلان العالمي ينص العهد الدولي في مواده(2، 3، 12، 19، 21، 22) على حريات وحقوق اخرى يجوز اعتبارها ذات صلة بالانتخابات، وهي حرية الرأي والتعبير وحرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية وحق الانضمام الى النقابات وحرية التنقل وحرية التمتع بكافة الحقوق والحريات من دون تمييز وحق اللجوء الفعال الى القانون.

كما ينص العهد الدولي في مواده(28، 40، 41) على اعتبار لجنة الامم المتحدة لحقوق الإنسان (المنشأة عام 1996) الهيئة المسؤولة عن مراقبة امتثال الدول الاطراف في العهد للحريات والحقوق المدنية والسياسية؛ وعلى الدول تقديم تقارير منتظمة الى اللجنة عن كيفية اعمال الحقوق.

5- ريتشارد تشامبرز، مصدر سبق ذكره.



وتصدر لجنة حقوق الإنسان تعليقات عامة توفر خطوط توجيهية لتفسير أحكام العهد ونطاقه؛ والتعليق العام المرتبط بشكل خاص بمسألة تحديد المعايير ذات الصلة بالانتخابات هو التعليق العام رقم 25 للجنة حقوق الإنسان الصادر عام 1996 الذي يوفر قاعدة مهمة ومعتمدة لتفسير المادة (25) من العهد الدولي، وبوجه خاص ما يجوز اعتباره معقولا عن فرض اي قيود على حق المشاركة والحقوق الانتخابية.⁶

ومن اهم النقاط المرجعية الملموسة والعملية التي تحدد ما اذا كان الإطار الانتخابي لبلد ما يمثل للمعايير الدولية بناء على التعليق العام (رقم 25) للجنة:⁷

- 1- يطلب العهد الدولي الى الدول ان تعتمد ما يلزم من التدابير التشريعية وغيرها لضمان إمكانية فعلية تسمح للمواطنين بالتمتع بالحقوق، وتعتبر المادة 25 أساس الحكم الديمقراطي القائم على موافقة الشعب.
- 2- لا يجوز التمييز بين المواطنين في الحقوق على اساس العرق او اللون او اللغة او الدين او الرأي السياسي او الاصل القومي او الاجتماعي.
- 3- عند فرض أي شروط على ممارسة الحقوق المحمية بموجب المادة 25 يجب ان تكون وفق معايير معقولة وموضوعية مثل فرض حد أدنى للسن المطلوبة لانتخاب الفرد او تعيينه في شغل الوظائف، او شرط العجز العقلي المثبت.

6 - رينشارد تشامبرز، مصدر سبق ذكره.

7 - اضافة التعليق العام رقم 25(57)، اللجنة المعنية بحقوق الانسان، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، 1996.



4- يجب تحديد مفهوم إدارة الشؤون العامة فيما يتعلق بممارسة السلطة ويجب ان تحدد في الدستور والقوانين كيفية توزيع السلطات والوسائل التي ستتاح للمواطنين الأفراد كي يمارسوا حقهم المحمي في المادة 25 في المشاركة في الشؤون العامة.

5- حق المواطنين في المشاركة المباشرة في ادارة الشؤون العامة في المجالس العليا والمحلية، وايضا في المشاركة عن طريق ممثلين يختارونهم بحرية وعبر عملية اقتراع يجب ان تقرها القوانين.

6- المشاركة تكون كناخبين او مرشحين وعبر إجراء انتخابات دورية (فترات غير متباعدة) نزيهة لضمان شعور الممثلين بأنهم محاسبون امام الناس عن أعمالهم.

7- اقرار حق الاقتراع في الانتخابات بموجب القانون ويجوز ان يخضع هذا الحق لتقييدات معقولة كتعيين حد ادني لسن ممارسة حق الانتخاب؛ ومن غير المعقول تقييد هذا الحق على أساس الإصابة بعجز جسمي او فرض شروط الإلمام بالقراءة والكتابة او مستوى التعليم او الملكية، ويجب الا يشكل الانتساب الى عضوية احد الأحزاب شرطا للأهلية في الانتخابات او أساسا لعدم الأهلية.

8- يجب على الدول ان تتخذ تدابير فعالة لكي تضمن لجميع المؤهلين للانتخاب إمكانية ممارستهم لحقهم ذاك؛ وعند طلب الوفاء بشروط اثبات الإقامة قبل التسجيل ان تكون تلك الشروط معقولة والا تفرض بأسلوب يحرم المرشدين من حق الانتخاب، ويجب ان يطبق قانون العقوبات على اي تدخل تعسفي في عملية التسجيل او الاقتراع واي تهديد او تخويف للناخبين.



- 9- تشكل حرية التعبير والتجمع وتكوين الجمعيات شروطاً أساسية لممارسة حق الانتخاب بصورة فعالة لذا يجب حمايتها تماماً.
- 10- يجب أن تتوفر المعلومات والمواد اللازمة للاقتراع بلغات الأقليات، كما ينبغي أن تعتمد أساليب معينة مثل استخدام الصور الفوتوغرافية والرموز لضمان أن الناخبين الأميين حصلوا على ما يلزم من المعلومات لتمكينهم من الاختيار.
- 11- يجب ألا يحرم من ممارسة حق الانتخاب الأشخاص الذين احتجزت حريتهم ولكن لم تتم إدانتهم بعد؛ أو أن يطلب الوفاء بشروط الإقامة قبل التسجيل وتفرض بأسلوب يحرم المرشحين من حق الانتخاب.
- 12- يجب ألا يقيد حق الأشخاص في ترشيح أنفسهم للانتخابات بشروط غير معقولة من قبيل مستوى التعليم أو مكان الإقامة أو النسب أو بسبب انتمائه السياسي.
- 13- إذا وجدت تقييدات تستثني انتخاب بعض الأشخاص من ذوي المراكز في الخدمة العامة مناصب الشرطة أو الجيش أو الإدارة العامة من الرتب العالية، لشغل مناصب عامة معينة، ينبغي وصف الأسباب والإجراءات القانونية المعتمدة لفصل شاغلي المناصب المنتخبين.
- 14- ينبغي أن تكون الانتخابات نزيهة وحرّة وتجري دورياً في إطار قوانين تضمن ممارسة حقوق الانتخاب ممارسة فعلية؛ وينبغي للدول أن تتخذ التدابير اللازمة لضمان سرية الاقتراع أثناء الانتخابات، ويجب أيضاً أن تضمن سلامة صناديق الاقتراع وفرز الأصوات.



15- يجب أن تتاح إمكانية المراجعة القضائية أو غيرها من الإجراءات المشابهة لضمان ثقة الناخبين بأمانة الاقتراع وفرز الأصوات.

16- من الضروري لضمان التمتع التام بالحقوق المحمية أن يتمكن المواطنون والمرشحون والممثلون المنتخبون من تبادل المعلومات والآراء بكل حرية حول مسائل تتعلق بالشؤون العامة والسياسية، وذلك يفترض وجود صحافة حرة ووسائل إعلامية أخرى حرة قادرة على التعليق على القضايا العامة دون رقابة أو تقييد وعلى الرأي العام. ويتطلب ذلك التمتع تمتعا تاما بالحقوق، كحق الفرد في ممارسة نشاط سياسي بمفرده أو بانتسابه الى حزب سياسي، أو غيره من المتطلبات، وحرية مناقشة الشؤون العامة، وحق تنظيم مظاهرات واجتماعات سلمية، وحق الانتقاد والمعارضة، وحق نشر المقالات السياسية، وحق تنظيم حملة انتخابية والدعاية لمبادئ سياسية؛ ويعتبر الحق في حرية تكوين الجمعيات والالتحاق بها إضافة أساسية للحقوق المحمية.

بالإضافة الى ما سبق وفي اطار الحق في المشاركة في انتخابات حرة ونزيهة تنص المادة (1) من اتفاقية الحقوق السياسية للمرأة، والمادة (7) فقرة- أ) من اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة، على حق المرأة في التصويت في جميع الانتخابات على قدم المساواة مع الرجل؛ وعملا بالمادة (5 فقرة-ج) من اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز العنصري "تتعهد الدول الاطراف بحظر التمييز العنصري دون تمييز بسبب العرق او اللون، والقضاء عليه بكافة أشكاله، وبضمان حق كل انسان دون تمييز بسبب العرق او اللون او الاصل القومي او الاثني في المساواة امام القانون لاسيما



قراءة للمعايير والضوابط الدولية والاقليمية للنظام الانتخابي في ليبيا

في التمتع بالحقوق السياسية – الانتخابية- مثل حق الاشتراك في الانتخابات ترشيحا واقتراعا وعلى اساس الاقتراع العام المتساوي، والاسهام في الحكم، وفي ادارة الشؤون العامة على جميع المستويات.⁸

وأشار الإعلان المتعلق بمعايير الانتخابات الحرة والنزيهة الصادر عن الاتحاد البرلماني الدولي في باريس 1994 إلى أن سلطة الحكم في أي دولة تستمد شرعيتها فقط من الشعب، كما يعبر عن ذلك في انتخابات حرة ونزيهة تعقد في فترات منتظمة على أساس التصويت السري العادل. ويحق لكل ناخب أن يمارس حقه في التصويت مع الآخرين وان يكون لصوته نفس الثقل لأصوات الآخرين، وان تضمن سرية الاقتراع.⁹

يلاحظ ان اغلب المواثيق والإعلانات الدولية قد دعمت حق الانتخاب، فمثلا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة 1966، والإعلان العالمي لمعايير الانتخابات الحرة والنزيهة لسنة 1994، رأت انه لكي تكون الانتخابات حرة ونزيهة يجب تتوافر فيها الشروط التالية (هي بمثابة مبادئ رئيسية لكل عملية انتخابية، وهي كذلك شروط أساسية لتأمين ديمقراطيتها):¹⁰

1- حق الشعوب في إجراء الانتخابات، والمشاركة في الترشح والتصويت.

8-الفصل الرابع عشر مراقبة الانتخابات، -<http://hrlibrary.umn.edu/arab/HRM-CH-14.pdf>

9-الإعلان العالمي لمعايير انتخابات حرة ينص على أن سلطة الحكم فإى دولة تستمد شرعيتها فقط من الشعب، صحيفة النهار الالكترونية،
<https://www.alnaharegypt.com/183835>

10- منهج تحليل الهندسة الانتخابية، 31يناير و 2021، www.politics-dz.com



- 2- يجب أن تضمن إجراءات الاقتراع حرية الاختيار والتساوي بين الناس في ثقل الصوت، وسرية التصويت، وصحة فرز البطاقات.
- 3- يجب أن تجري الانتخابات بصفة دورية.
- 4- يجب أن تجري الانتخابات ضمن احترام الحقوق الأساسية للمواطنين.
- 5- أن يتم تحديد الدوائر على أساس منصف بما يجعل النتائج تعكس بشكل أدق وأشمل إرادة الناخبين.
- 6- يجب أن تشرف وتمارس مراقبة العمليات الانتخابية سلطات أو هيئة انتخابية مستقلة عن بقية سلطات الدولة حتى تكفل نزاهتها، ويجب أن تكون قراراتها قابلة للطعن أمام السلطات القضائية.
- 7- التنافسية الشريفة في الانتخابات، وحرية الدعاية الانتخابية.
- 8- توفير حوافز المصالحة وإدارة الصراعات الداخلية: الأنظمة الانتخابية هي أدوات لإدارة الصراع داخل المجتمع.

المعايير الإقليمية:

بالإضافة إلى الجهود الدولية تضافرت الجهود الإقليمية في هذا الاتجاه، فالجامعة العربية تبنت الميثاق العربي لحقوق الإنسان في القمة العربية السادسة عشرة، التي استضافتها تونس في مايو 2004، وهو التزام سياسي من قبل كافة أعضاء جامعة الدول العربية لصون الحريات الأساسية والحقوق السياسية، بالرغم من كونه غير ملزم قانوناً. يؤمن الميثاق هذا قاعدة واضحة لتحديد المعايير ذات الصلة بالانتخابات والمشاركة العامة؛ والذي نص صراحة على حرية الممارسة السياسية والمشاركة في إدارة الشؤون العامة والترشح أو اختيار الممثلين بطريقة حرة ونزيهة وعلى قدم المساواة



بين جميع المواطنين، بحيث تضمن التعبير الحر عن إرادة المواطن وحرية تكوين الجمعيات¹¹؛ فالمادة 24 من الميثاق العربي لحقوق الإنسان تنص بأنه لكل مواطن الحق في:-¹²

- 1- حرية الممارسة السياسية.
- 2- المشاركة في ادارة الشؤون العامة اما مباشرة او بواسطة ممثلين يختارون بحرية.
- 3- ترشيح نفسه او اختيار من يمثله بطريقة حرة ونزيهة وعلى قدم المساواة بين جميع المواطنين بحيث تضمن التعبير الحر عن ارادة المواطن.
- 4- ان تتاح له على قدم المساواة مع الجميع فرصة تقلد الوظائف العامة في بلده على اساس تكافؤ الفرص.
- 5- حرية تكوين الجمعيات مع الآخرين والانضمام اليها.
- 6- حرية الاجتماع وحرية التجمع بصورة سلمية.
- 7- لا يجوز تقييد ممارسة هذه الحقوق بأي قيود غير القيود المفروضة طبقا للقانون والتي تقتضيها الضرورة في مجتمع يحترم الحريات وحقوق الإنسان، لصياغة الامن الوطني او النظام العام او السلامة العامة او الصحة العامة او الآداب العامة او لحماية حقوق الغير وحررياتهم.

اذن تمثل هذه المادة المحور الأساسي للتأكيد على الدول لاعتماد معايير أساسية، وان تضمن للمواطنين الحق في الحرية السياسية لهم وحق المشاركة في ادارة الشؤون العامة، وتضمن لهم حق الترشح للانتخابات

11 - ريتشارد تشامبرز، مصدر سبق ذكره.

12 - فوزي حسين الجبوري، بريس فتاح النقيب، مصدر سبق ذكره، ص ص24-25



بالإضافة إلى الإجراءات الحرة والنزيهة أثناء عملية الانتخابية، والتي
المساواة في الحصول على وظائف في الدولة، والتأكيد على حرية تشكيل
الجمعيات والنقابات والانتماء إليها.

أيضا أكد على الحقوق الأساسية المتعلقة بالانتخابات الميثاق الإفريقي
للديمقراطية والحكم الانتخابي سنة 2007 الذي نص في مادته 17 على
الانتخابات الديمقراطية: إذ تؤكد الدول الأطراف مجددا التزامها بتنظيم
انتخابات شفافة منتظمة حرة وعادلة وفقا لإعلان الاتحاد حول المبادئ التي
تحكم الانتخابات الديمقراطية في إفريقيا. ومن أجل تحقيق هذه الأغراض
يجب على كل طرف أن يقوم بما يلي:¹³

1- إنشاء وتعزيز أجهزة للانتخابات الوطنية المستقلة والمحايدة المكلفة بإدارة
الانتخابات.

2- إنشاء وتعزيز آليات وطنية تعالج الخلافات ذات الصلة بالانتخابات في
الوقت المناسب.

3- ضمان وصول أحزاب المعارضة والمرشحين على نحو عادل ومتكافئ
إلى وسائل الإعلام الخاصة وتلك التي تسيطر عليها الدولة خلال
الانتخابات.

4- ضمان وجود مدونة سلوك ملزمة تحكم الأحزاب السياسية المعترف بها
قانونا والحكومة والأطراف السياسية الفاعلة الأخرى قبل وخلال وبعد

13- تنفيذ مشروع الميثاق الإفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم، المجلس التنفيذي،
الدورة 10، يناير 2007.



الانتخابات على أن تتضمن هذه المدونة التزام الأطراف السياسية بقبول نتائج الانتخابات أو الاعتراض عليها بالطرق القانونية المختصة. كما تضمنت المعاهدات والاتفاقات الثنائية وتلك المتعلقة بالمؤسسات والهيئات الإقليمية مثل الاتحاد الأوروبي ومنظمة الدول الأمريكية بعض المتطلبات والضوابط الانتخابية.

فعلى المستوى الأوروبي فإن المادة (3) من الاتفاقية الإضافية للميثاق الأوروبي لحقوق الإنسان تنادي صراحة بالحق في انتخابات دورية بالاقتراع الحر والسري- نص المادة - "تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تجري على فترات معقولة انتخابات حرة قوامها الاقتراع السري الذي يضمن للشعب حرية التعبير عن الرأي في اختيار سلطاته التشريعية"، كما تم وبشكل ضمني قبول الحق في الانتخابات المباشرة من طرف المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في احد احكامها ضد بلجيكا بتاريخ مارس 1987 وضد المملكة المتحدة في فبراير 1999.¹⁴

أما عن مجموعة جنوب القارة الأفريقية للتنمية، فقام المعهد الانتخابي لجنوب أفريقيا، بالاشتراك مع منتدى لجان الانتخابات في البلدان التابعة للمجموعة، بوضع واعتماد إعلان مبادئ إدارة ومراقبة الانتخابات والإشراف عليها، بينما قام المنتدى البرلماني بوضع قواعده ومعاييرها الخاصة بالعمليات الانتخابية. وتستند بعثات المراقبة الانتخابية في تلك البلدان على هذه المبادئ

14 - مدونة حسن السلوك في مجال الانتخابات، اللجنة الأوروبية للديمقراطية من خلال القانون (لجنة البندقية)، ستراسبورغ في 2003/05/23، ص17.



والقواعد والمعايير لتقييم حرية ونزاهة العمليات الانتخابية التي تقوم بمراقبتها¹⁵.

كما يمثل البرتوكول الخاص بالديمقراطية وادارة الحكم الصادر عن المنظمة الاقتصادية لدول غرب افريقيا سنة 2011 مثالا حيا لمعاهدة اقليمية ملزمة تؤثر بالاطار القانوني للإدارة الانتخابية، والذي ينص على التزام الأعضاء باستقلالية وحياد الإدارة الانتخابية ومعالجة النزاعات الانتخابية دون تأخير.¹⁶

وتشمل الفقرات (6، 8) من مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا المنعقد في كوبنهاغن عام 1990 معظم الالتزامات الاساسية المتعلقة بالانتخابات مثل: ان تجري الانتخابات بشكل حر وعلى فترات زمنية معقولة وعلى قدم المساواة بين المواطنين، وان يسمح لان تكون جميع المقاعد في غرفة واحدة على الاقل من المجلس التشريعي منتخبة من قبل الشعب، والتأكد من أن الإدلاء بالأصوات يتم من خلال الاقتراع السري أو ما يعادله من إجراءات التصويت الحر وأن هذه الأصوات يتم عدها وتسجيلها بأمانة وأن النتائج الرسمية تذاع علناً، وعلى ضمان إمكانية تنظيم الحملات السياسية في اجواء منفتحة ونزيهة من دون التدخل الاداري واستخدام العنف ضد المرشحين

15- شبكة المعرفة الانتخابية، تصميم نظم الإدارة الانتخابية

<https://aceproject.org/ace-ar/topics/em/emb/default>

16- الان وول، وآخرون، اشكال الإدارة الانتخابية، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات IDEA، السويد، 2007، ص67.



والناخبين، وبأن الفائز بالانتخابات يمكن من البقاء في المنصب حتى نهاية فترة ولايته له.¹⁷

تنص الاتفاقية الأميركية لحقوق الإنسان في المادة 23 الخاصة بحق المشاركة في الحكم، على ان يتمتع كل مواطن بالحقوق والفرص الآتية:-¹⁸
أ. أن يشارك في إدارة الشؤون العامة إما مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارون بحرية.

ب. أن ينتخب وينتخب في انتخابات نزيهة تجري دورياً بالاقتراع العام وعلى قدم المساواة بين الناخبين وبالتصويت السري، وتضمن التعبير الحر عن إرادة الناخبين، وأن تتاح له على قدم المساواة مع الجميع فرصة تقلد الوظائف العامة في بلده.

وبالإضافة إلى المعاهدات والقرارات المصادق عليها والملزمة، هناك مجموعة من القرارات الصادرة عن الهيئات الدولية والإقليمية غير الملزمة كذلك؛ ففي أكتوبر 2005 قامت الأمم المتحدة ومجموعة كبيرة من المنظمات والمؤسسات العالمية والإقليمية بالتوقيع على إعلان المبادئ العالمي ومدونة السلوك للمراقبة الدولية للانتخابات.¹⁹

أيضا ظهرت الاتحادات والجمعيات الإقليمية والدولية للسلطات الانتخابية، مثل اتحاد الدول الأميركية للمؤسسات الانتخابية، وجمعية السلطات الانتخابية الأفريقية التي تأسست عام 1997، وجمعية السلطات

17 دليل مراقبة الانتخابات، مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الانسان، بولندا، ط6، 2012، ص17.

18- الاتفاقية الامريكية لحقوق الانسان، منظمة الدول الامريكية، سان خوسيه، 1969/11/22.

19 - الان وول، واخرون، مصدر سبق ذكره، ص 67.



قراءة للمعايير والضوابط الدولية والاقليمية للنظام الانتخابي في ليبيا

الانتخابية الآسيوية التي تأسست عام 1998، وجمعية المنظمات الانتخابية في منطقة الكاريبي في عام 1998، والتي تهدف جميعاً إلى تعزيز تبادل المعلومات بين العاملين في المجال الانتخابي بشكل سلس وتقديم المساعدات الانتخابية لهيئات إدارة الانتخابات الأعضاء فيها؛ كما تهدف مثل جمعية موظفي الانتخابات في وسط وشرق أوروبا إلى تعزيز شفافية الانتخابات وانفتاحها من خلال تبادل الخبرات والمعلومات ذات الصلة بقانون الانتخابات وإجراءاتها واستخدام التقنية والممارسات الإدارية وتثقيف وتوعية الناخبين، وترسيخ مبدأ استقلالية وحياد الهيئات الانتخابية ومديري العملية الانتخابية، وتعزيز مبدأ المشاركة في الانتخابات من جانب المواطنين والمتنافسين السياسيين والمنظمات المدنية غير الحزبية. وتوفر هذه الجمعيات والاتحادات في مسألة التعاون الإقليمي المساعدة لهيئات إدارة الانتخابات الجديدة بالخبر، إلى جانب تسريع عملية بناء القدرات لتلك الهيئات عن طريق تبادل الخبراء، بالإضافة إلى إمكانية استعارة بعض المواد الانتخابية خلال وقت قصير نسبياً²⁰.

بالتالي يتضح أن هذه المنظمات الدولية والاقليمية قد لعبت دوراً مهماً في نشر وتعزيز معايير الممارسة الانتخابية على نطاق واسع، ومن ثم في تعزيز للأجهزة الانتخابية.

20 - الإدارة الانتخابية، شبكة المعرفة الانتخابية، <https://aceproject.org/ace-ar/topics/em/emk/emk03>



وبشكل عام يمكن تحديد المعايير الدولية للانتخابات ضمن الفئات

التالية:²¹

1- ضمان حق المشاركة من خلال: الانتخابات الدورية، الانتخابات النزيهة، الاقتراع العام، حق الترشح للانتخابات، المساواة في التصويت، حق الاقتراع، الاقتراع السري، حرية تعبير الناخبين عن آرائهم.

2- ضمان حرية الرأي والتعبير وحرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية وحرية التمتع بكافة الحقوق والحريات دون تمييز وحرية وحق اللجوء الفعال إلى القانون.

3- احترام المبادئ التالية: الشرعية والشفافية والمساواة والأكثرية النسبية والعدالة والوعي.

المحور الثاني: تقييم الإطار القانوني للنظام الانتخابي وفق للمعايير الدولية للانتخابات الديمقراطية

يعتمد الإطار القانوني المنظم للانتخابات على تدرج القاعدة القانونية بدءاً من صياغة الفقرات الداعمة للانتخابات في الإعلان الدستوري وانتقالاً إلى التشريعات المعنية بالنظام الانتخابي والعمليات الانتخابية والإدارة الانتخابية وانتهاءً باللوائح والأحكام المكملة للقوانين والقرارات والأوامر المنفذة لها. بناءً على مبادئ الأحكام الانتخابية التي تتضمنها الدساتير الديمقراطية في العالم والتي توافقت مع المعايير الدولية للانتخابات، يتضح أن الإعلان الدستوري الليبي الصادر في عام 2011، أكد على جملة من هذه الأحكام والمعايير منها:

21 - ريتشارد تشامبرز، مصدر سبق ذكره.



1- استقلالية هيئة إدارة الانتخابات (المفوضية العليا للانتخابات) ومدة العضوية ومهامها عندما تم الإشارة لذلك في المادة (30)، التي تقر بان السلطة التشريعية المؤقتة هي من تقوم بتعيين المفوضية الوطنية العليا للانتخابات وإعادة تشكيلها بعد كل ولاية سلطة تشريعية، وبأن مهمة المفوضية هي تولى إجراء الانتخابات العامة والمصادقة على النتائج وإعلانها.

2- حق المشاركة في الانتخابات: وهذا يوضحه الإعلان الدستوري في مادة (4) "تعمل الدولة على إقامة النظام السياسي الديمقراطي مبني على التعددية السياسية والحزبية وذلك بهدف التداول السلمي الديمقراطي للسلطة"، وفي المادة (6) "الليبيون سواء أمام القانون، ومتساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية، وفي تكافؤ الفرص".

3- ضمان حريات العامة: جاءت المادة (7) من الإعلان الدستوري لتؤكد على "صون الدول حقوق الإنسان وحرياته الأساسية"، وفي المادة (14) "تضمن الدولة حرية الرأي وحرية التعبير الفردي والجماعي... وحرية الاتصال وحرية الصحافة ووسائل الإعلام والطباعة والنشر وحرية التنقل وحرية التجمع والتظاهر والاعتصام وبما لا يتعارض مع القانون".

4- إصدار أنظمة الانتخاب: يؤكد الإعلان الدستوري في مادته (30) على قيام السلطات التشريعية المؤقتة بإصدار قانون خاص بانتخاب السلطة التشريعية الجديدة والدعوة لانتخابها خلال مدة محددة؛ والإشراف مع الحكومة المؤقتة على إعداد كل متطلبات إجراء العملية الانتخابية بصورة



ديمقراطية شفافة؛ وتحديد معايير وضوابط انتخاب أعضاء الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور.

5- تسوية النزاعات الانتخابية والمسائلة والمراقبة لها: بناء على نص المادة (30) من الإعلان الدستوري، تجري الانتخابات "تحت إشراف القضاء الوطني وبمراقبة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية"، وهنا لم يشر الإعلان الدستوري بشكل صريح لمسألة تسوية النزاعات الانتخابية ولكنه تناولها بشكل عام في الباب الرابع الخاص بالضمانات القضائية مثل (التقاضي حق مصون ومكفول للناس كافة، ولكل مواطن حق اللجوء إلى قاضيه).

بناء على ما جاءت به نصوص الإعلان الدستوري صدرت العديد من قوانين الانتخابات العامة سواء لانتخاب السلطة التشريعية المؤقتة أو الهيئة التأسيسية لصياغة الدستور، ويمكن الإشارة لبعضها، وتحليل مدى التزامها بالمعايير التي تدعم الانتخابات الديمقراطية، وتضمن المشاركة السياسية والحقوق والحريات العامة، ونزاهة وفاعلية الإجراءات الانتخابية التي تعبر عن الممارسات الجيدة عند صياغة هذه القوانين الانتخابية.

عند دراسة قانون انتخابات المؤتمر الوطني العام رقم 4 لسنة 2012، وقانون انتخاب مجلس النواب رقم 10 لسنة 2014 يتبين الآتي:

1- انه رغم تضمين قانوني الانتخاب لحق المشاركة السياسية الواسعة في الانتخابات من ممارسة لحق الانتخاب والترشح بشكل متساوي لكل المواطنين، إلا أن بعض الشروط الموضوعية على الانتخاب ومن بعده الترشح تضع قيود على بعض المواطنين في ممارسة هذا الحق، مثل إبعاد



العسكريين من ممارسة حق الانتخاب، وشرط المؤهل الجامعي للترشح، ووضع ضوابط على الترشح للانتخابات؛ فبحسب قرار المجلس الوطني الانتقالي لمعايير وضوابط النزاهة الوطنية رقم 192 لسنة 2011 تحضر على بعض الفئات التي عملت في ظل النظام السابق تولى أو تقلد أو الترشح لأي من المناصب أو الوظائف العامة في الدولة.

2- حرية التعبير والرأي: إن قانوني الانتخاب ضمنا أن تكون الانتخابات حرة ومباشرة وشفافة وعامة؛ وأن لكل مرشح أو كيان سياسي حق التعبير عن رأيه وتقديم برنامجه الانتخابي بحسب القانون والنظام العام؛ وأن يتم ضمان حرية الناخبين في التصويت اثناء العملية الانتخابية. وهذا ما اكدت عليه المواد (3، 9، 18) لانتخاب المؤتمر الوطني، والمواد (2، 5، 9) لانتخابات مجلس النواب.

3- المساواة والعدالة في التمثيل في الانتخابات: يلاحظ أن القانونين قد كفلا التمثيل العادل بناء على معياري السكان والمساحة الجغرافية أو عبر توزيع المقاعد على 13 دائرة انتخابية شاملة كل المناطق، إضافة إلى تخصيص مقاعد للكيانات السياسية والمرأة والمستقلين، وكذلك اعتماد مبدأ أن لكل نائب صوتا واحدا يمارسه في دائرته الانتخابية ويتساوى به مع الأخرى، ويعاقب في حالة تجاوز ذلك. وهذا ما جاء في مواد قانون انتخاب المؤتمر الوطني في المادة رقم(4) الخاصة بتقسيم الدوائر الانتخابية وتوزيع المقاعد، وفي قانون انتخاب مجلس النواب في المادة رقم (19) الخاصة بتوزيع الدوائر الانتخابية.



4- تناول قانوني الانتخاب دور مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات الإقليمية والدولية المختصة في مراقبة العملية الانتخابية، والتزام الإدارة الانتخابية (المفوضية العليا) بحرية ونزاهة الانتخابات وحياديتها، وشفافية الحملة الانتخابية.

5- إجراءات تنفيذ الانتخابات وضوابطها: تتولى المفوضية العليا للانتخابات تنظيم وإدارة العملية الانتخابية والإشراف الكامل عليها ووضع ضوابط قيد الناخبين واليات الترشح، وتحدد نماذج طلبات الترشح ومواعيد تقديمها. وهذا بحسب ما جاء في قانون انتخاب المؤتمر الوطني (المواد: 8، 12، 26) وقانون انتخاب مجلس النواب في مواده (4، 8، 20).

6- الأعلام الانتخابي الحر: تنظم المفوضية العليا استخدام وسائل الاعلام في الانتخابات، وتضمن المساواة وتكافؤ الفرص لكافة المرشحين والكيانات السياسية.

7- الجرائم الانتخابية وتسوية المنازعات الانتخابية: يضمن قانوني الانتخاب حق كل ذي مصلحة في حق الطعن في أي إجراء من مراحل العملية الانتخابية، كما وضع القانونين فصلا كاملا (الفصل التاسع في قانون انتخاب المؤتمر الوطني، والفصل الثامن في قانون انتخاب مجلس النواب) متعلق بالجرائم الانتخابية، مثل الحبس في حالة انتحال اسم غيره أو استعمال التهديد لمنع ناخب من الإدلاء بصوته أو تلقي مرشح إعانات من أي جهة أجنبية، مع التأكيد على احالة بعض المخالفات والمنازعات الى الهيئة القضائية المختصة بالانتخابات.



إلى جانب قوانين الانتخاب صدرت عدة قوانين تدعم حق المشاركة السياسية مثل قانون تنظيم الأحزاب رقم 29 لسنة 2012 الذي يضمن حق تأسيس وعمل الأحزاب والانتساب إليها، وقانون 65 لسنة 2012 الخاص بتنظيم حق التظاهر السلمي في ليبيا، الذي يدعم حق التعبير عن الآراء والتجمع.

أما عن الإجراءات واللوائح التي تدعم قانون الانتخاب فقد أشار إليها قانوني الانتخاب السابقين الذكر، وإلى الجهات المختصة؛ ومن أهم هذه الإجراءات التنظيمية والتنفيذية هي تنظيم وإدارة العملية الانتخابية: من تنظيم لسجل الناخبين، وتحديد شروط وضوابط القيد فيه ومراجعة بياناتها، إلى ووضع ضوابط واليات الترشح وتحديد النماذج الخاصة بذلك، إضافة إلى نماذج تبين شكل قوائم الكيانات وكيفية ترتيب المرشحين فيها، كذلك تحديد إجراءات عملية الاقتراع والفرز والعد، أيضا وضع قواعد وإجراءات الحملات الانتخابية وضوابط الدعاية الانتخابية. هذا وقد أوكل مهمة تنظيم وإدارة العملية الانتخابية والإشراف عليها إلى المفوضية الوطنية للانتخابات.

ومن أهم المواد التي تناولت وضع وتنفيذ الإجراءات واللوائح في قانون انتخاب المؤتمر الوطني والجهات المختصة بذلك (المواد: 12، 15، 16، 18، 26، 33، 45)، وفي قانون انتخاب مجلس النواب (المواد: 8، 9، 20، 22، 44).

ومن أهم اللوائح والقرارات التي صدرت دعما وشرحا لقانوني انتخاب المؤتمر الوطني ومجلس النواب، نذكر مثلا: لائحة رقم 19 لسنة 2012 بشأن اعتماد لائحة تسجيل الناخبين، والقرار رقم 39 لسنة 2012



بشان اعتماد لائحة تسجيل المرشحين، والقرار رقم 59 لسنة 2012 بشأن لائحة الدعاية الانتخابية للمرشحين، والقرار رقم 67 لسنة 2012 بشأن لائحة الاقتراع والفرز، والقرار رقم 24 لسنة 2014 بشأن اعتماد لائحة نتائج الاقتراع والفرز والعد، والقرار رقم 65 لسنة 2014 بشأن اعتماد لائحة ممثلي الإعلام لانتخاب مجلس النواب، والقرار رقم 68 لسنة 2014 بشأن اعتماد لائحة الفصل في الشكاوى لانتخاب مجلس النواب.

أيضا قامت المفوضية العليا للانتخابات دعما للعملية الانتخابية الديمقراطية وبالتوافق مع ما جاء في التعليق رقم (25) السابق الذكر، بإقرار عدة اجراءات منها: اصدار فقرات تساعد وتدعم الاقليات والأمميين واصحاب الاحتياجات الخاصة والمشردين والموقفين مؤقتا على ذمة التحقيق، على المشاركة في الانتخابات، مثل اصدارها لإرشادات بلغات الاقليات والسماح باصطحاب مرافقين للأمميين ومن شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة يوم الاقتراع، وكذلك فتح مراكز تسجيل للنازحين في مناطقهم المؤقتة، والسماح للموقفين مؤقتا من الترشح ما لم تصدر بحقهم احكام نهائية.

إن تجربة وضع قانوني انتخاب السلطة التشريعية وإنشاء إدارة انتخابية منتخبة ومستقلة، بعد غياب عقود على هذا الاستحقاق بسبب طبيعة النظام السياسي السابق، تبين -هذه التجربة الحديثة- أن القانونين وتوقيت إصدارهما يعكسان طبيعة الوضع السياسي الليبي، فكل قانون يعبر عن واقع الحياة السياسية، فالأول يعكس فترة ما بعد الثورة مباشرة والدعوة لتشكيل الأحزاب وتنظيمها، وبالتالي جاء القانون ليدعم نظام القائمة المغلقة والنسبية، ولكن تجربة دور الأحزاب في العمل التشريعي ما بعد الانتخابات، تبين أن



هناك أزمة واجهته العمل السياسي انعكست على عمل واستحقاق السلطة التشريعية في تلك المرحلة الانتقالية، ما جعل من المشرع يعيد النظر في قانون انتخاب مجلس النواب ليستثنى نظام القائمة المعتمد على وجود الكيانات السياسية ويسمح فقط بالنظام الفردي، وهو أيضا له مساوئه بتجسيده للقبليّة والجهوية وغياب الكتل البرلمانية ذات البرامج الوطنية.

اعتمد قانون انتخاب المؤتمر الوطني على النظام المتوازن في اختيار أعضاء المؤتمر الذي جمع بين نظام الأغلبية ونظام التمثيل النسبي من جانب، والنظام المختلط بين الفردي والقائمة المغلقة من جانب آخر، إضافة إلى اعتماده أسلوب الانتخاب المباشر وفق الصوت الواحد غير المتحول (انتخاب مرشح واحد فقط)؛ بينما في قانون انتخاب مجلس النواب فقد تم اعتماد نظام الأغلبية النسبية ونظام الانتخاب الفردي وأسلوب الانتخاب المباشر وفق لنظام الصوت الواحد غير المتحول. وهذا النظام الأخير يعد الأكثر بساطة إلا أنه يحرم الكيانات السياسية من تقديم مرشحيها وفق برامج واضحة، وبالتالي نجد أننا أمام برلمان خدمات وليس أمام برلمان برامج.

أيضا يلاحظ من خلال قراءة تجربة الانتخابات الليبية، أن تشكيل هيئة مستقلة لإدارة الانتخاب قد كانت لها حسناتها خاصة في مسألة مهنتها وحياديتها وتراكم الخبرة لديها، ما يعني أن تجربتها في انتخابات السلطة التشريعية الثانية (مجلس النواب) كانت أكثر سهولة ومهنية في تنفيذها، إضافة إلى استعدادها (بسبب توفر الإمكانيات المادية والتقنية والبشرية) لأية انتخابات مقبلة وجاهزيتها في تنفيذ ذلك.



من خلال هذه القراءة السابقة الذكر، فان وضع القانون المرتقب لانتخاب السلطة التشريعية سوف يعيد-المشروع- النظر في النظام الفردي وفي تقسيم الدوائر الانتخابية وفي مسألة التمثيل الانتخابي.

الخاتمة

تمثل المعايير المنظمة للعملية الانتخابية مرجعية هامة لتقييم الإطار الانتخابي في أي بلد، بهدف تحسينها وتطويرها. وفي اطار دراستها ومقارنتها بالنظام الانتخابي في ليبيا، ومدى مطابقة الشروط اللازمة لبناء العملية الانتخابية في ليبيا مع هذه المعايير والضوابط المنظمة للعملية الانتخابية يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

- 1- أن جود قيود شرطية على بعض المواطنين بحق الانتخاب والترشح مثل إبعاد العسكريين وبعض الفئات التي عملت بالنظام السياسي السابق (1969-2011) وشرط الحصول على مؤهل جامعي، ادى لتقلص نسبة المشاركة السياسية في العملية الانتخابية، وترسيخ الجانب الإحصائي بها.
- 2- أن هناك التزاما من قبل القوانين الليبية المعنية بالانتخابات بما جاء في المعايير والمواثيق الدولية والاقليمية النظام القانوني الانتخابي، من حيث تضمنها للحقوق السياسية والمدنية وللحريات العامة مثل حرية التعبير والرأي والاعلام والانتخاب والمشاركة السياسية وتكوين الجمعيات ووضعها للقواعد والمبادئ الخاصة بالعملية الانتخابية.
- 3- يلاحظ من خلال قراءة تجربة الانتخابات الليبية، أن تشكيل هيئة مستقلة لإدارة الانتخاب قد كانت لها حسناتها خاصة في مسألة مهنتها وحياديتها وتراكم الخبرة لديها، ما يعني أن تجربتها في انتخابات السلطة التشريعية



قراءة للمعايير والضوابط الدولية والإقليمية للنظام الانتخابي في ليبيا

الثانية (مجلس النواب) كانت أكثر سهولة ومهنية في تنفيذها، إضافة إلى استعدادها (بسبب توفر الإمكانيات المادية والتقنية والبشرية) لأية انتخابات مقبلة وجاهزيتها في تنفيذ ذلك.

4- بالمقارنة بين معايير الانتخابات الحرة والنزيه التي اعتمدها الدول الديمقراطية وقوانين الانتخاب الليبية، يتضح أنها قد اعتمدت على نفس المعايير مثل حق المواطنين في المشاركة في التصويت والترشح والاختيار والدعاية الانتخابية. عند المقارنة بين قانوني انتخاب السلطة التشريعية المؤقتة، نجد ان التجربة السياسية قد كان لها اثر في التعديل الذي حصل في النظام الانتخابي سواء من حيث استبدال النظام المختلط بالنظام الفردي او في وضع شروط الترشح والانتخاب.

5- تحتاج قوانين الانتخابات العامة لتحديث مستمر حتى تتماشى من المتغيرات السياسية والمجتمعية والجغرافية، وإيجاد موائيق شرف يلتزم بها الجميع في العملية الانتخابية.



قائمة المصادر والمراجع

1. الاتفاقية الإفريقية لحقوق الإنسان، منظمة الدول الإفريقية، سان خوسيه، 1969/11/22.
2. الإدارة الانتخابية، شبكة المعرفة الانتخابية، -<https://aceproject.org/ace-ar/topics/em/emk/emk03>
3. اضافة التعليق العام رقم 25 (57)، اللجنة المعنية بحقوق الإنسان، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، 1996.
4. الإعلان العالمي لمعايير انتخابات حرة ينص على أن سلطة الحكم في أي دولة تستمد شرعيتها فقط من الشعب، صحيفة النهار الالكترونية،
<https://www.alnaharegypt.com/183835>
5. الان وول، وآخرون، اشكال الإدارة الانتخابية، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات IDEA، السويد، 2007.
6. تصميم نظم الإدارة الانتخابية، شبكة المعرفة الانتخابية،
<https://aceproject.org/ace-ar/topics/em/emb/default>
7. تنفيذ مشروع الميثاق الإفريقي للديمقراطية والانتخابات والحكم، المجلس التنفيذي، الدورة 10، يناير 2007.
8. حقوق الإنسان والانتخابات، مفوضية حقوق الإنسان،
<https://www.ohchr.org/AR/Issues/Pages/HRElections.aspx>
9. دليل مراقبة الانتخابات، مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان، بولندا، ط6، 2012.
10. ريتشارد تشامبرز، المعايير الدولية للانتخابات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، المؤسسة الدولية للنظم الانتخابية، 2008.



قراءة للمعايير والضوابط الدولية والإقليمية للنظام
الانتخابي في ليبيا

11. سامي الزبيدي، انتخابات مجلس النواب والمعايير الدولية للاقتراع، صحيفة الزمان، 16 ابريل 2014.
12. شبكة المعرفة الانتخابية، تصميم نظم الإدارة الانتخابية
<https://aceproject.org/ace-ar/topics/em/emb/default>
13. الفصل الرابع عشر مراقبة الانتخابات
<http://hrlibrary.umn.edu/arab/HRM-CH-14.pdf>،
14. فوزي حسين الجبوري، بريس فتاح النقيب، المعايير الدولية المعتمدة للانتخابات، مجلة كلية القانون والسياسة.
15. مدونة حسن السلوك في مجال الانتخابات، اللجنة الأوروبية للديمقراطية من خلال القانون (لجنة البندقية)، ستراسبورغ في 2003/05/23.
16. منهج تحليل الهندسة الانتخابية، 31 يناير 2021، www.politics-dz.com



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

- أ. أبو بكر سالم الصداقي
عضو هيئة تدريس، كلية الاقتصاد والتجارة،
الجامعة الأسمرية الإسلامية
- د. ناصر ساسي طويري
عضو هيئة تدريس، كلية الاقتصاد والتجارة،
جامعة المرقب
- د. عز الدين زلي حشلوف
عضو هيئة تدريس، كلية الاقتصاد والتجارة،
جامعة المرقب

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد دور التجارة البينية في النمو الاقتصادي في دول اتحاد المغرب العربي (ليبيا والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا) خلال الفترة (1990-2013). استخدمت هذه الدراسة المنهجية الكمية من خلال تطبيق منهج بيانات البانل. وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أن حجم التجارة البينية بين بلدان المغرب العربي لا يزال ضعيفاً نسبياً، إلا أن التبادل التجاري له تأثير إيجابي على النمو الاقتصادي في تلك البلدان.

Abstract

This study is aimed to identify the role of inter-trade on economic growth in the Arab Maghreb Union countries (Libya, Algeria, Tunisia, Morocco and Mauritania), during the period (1990-2013). The study used the quantitative methodology by applying a Panel Data Approach, and reached several results, the most important is the size of inter-trade between the Maghreb countries is still weak relatively, but it has a low positive impact on economic growth in those countries.



أولاً: مقدمة:

تعتبر التجارة الدولية هي المحرك الرئيسي للاقتصاد العالمي، حيث تعد من الأنشطة الاقتصادية الهامة لتحريك عجلة اقتصاد أي دولة وضرورة من ضروريات المجتمع المعاصر من خلال الدور الذي تؤديه في مجال النمو الاقتصادي وذلك لتأمين متطلبات واحتياجات النمو، حيث تتيح للدولة مجموعة من السلع والخدمات بأفضل الأسعار المنافسة من جهة ومن جهة أخرى تستطيع الدولة بواسطة التجارة الدولية تصدير فائض إنتاجها المحلي والاستفادة من الإيراد المتحصل عليه لتمويل خزانة الدولة والمساهمة في تحقيق النمو الاقتصادي

كما أن التجارة البينية بين مجموعة الدول المغاربية كان من المأمول منها أن تكون العامل الرئيسي للتنمية والنمو الاقتصادي، وذلك لما ستحققه من زيادة معدلات النمو وهي أساس المبادلات التجارية بين اتحاد هذه الدول، ومما لا شك فيه أن التجارة الدولية تقوم على أساس التبادل التجاري بين الدول المختلفة، فقد شهد العالم العديد من محاولات التعاون بين الدول والأقاليم المختلفة هدفها تشكيل كتلتات واتحادات بين الدول للاستفادة من المزايا المشتركة فيما بينها، وبالتالي فإن الدول النامية والتي من بينها أقطار المغرب العربي لم تجد سبيلاً أمام تحديات الاقتصاد العالمي سوى أن تتبع نفس الاتجاه التكاملي، فقد سعت أقطار المغرب العربي والذي يضم كلاً من (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا) إلى تشكيل اتحاد عرف (باتحاد المغرب العربي) وذلك لمواجهة المنافسة وتحقيق معدلات نمو مرتفعة والحد من المشاكل والمعوقات التنموية التي تعاني منها اقتصاداتها، من أجل التعاون في شتى



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

المجالات عن طريق تفعيل آلية التجارة البينية بينها، حيث نلاحظ أن صادرات دول المغرب العربي تتمحور حول السلع الأولية والنفط، وذلك بسبب تبعيتها التجارية للعديد من الدول الصناعية واعتمادها شبه الكامل على الدول الصناعية تصديراً واستيراداً.

ثانياً: بعض الدراسات السابقة:

1. دراسة الشريف 2013 (أثر التجارة البينية بين اتحاد المغرب العربي على التنمية الاقتصادية في هذه البلدان خلال الفترة 1990 – 2005): حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على هيكل واتجاهات التجارة البينية لدول المغرب العربي ومدى تأثيرها على التنمية الاقتصادية، حيث استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي للخروج بنتائج كان من أهمها أن حجم التجارة البينية لا يزال ضعيفاً بين هذه الدول.
2. دراسة فهمي 2007 (أثر منظمة التجارة العالمية على بعض معايير التنمية الاقتصادية في دول اتحاد المغرب العربي): والتي هدفت إلى التعرف على مستقبل التنمية الاقتصادية لبلدان المغرب العربي وتقصي الآثار الناجمة على التنمية الاقتصادية في بلدان المغرب العربي بعد انضمامها لمنظمة التجارة العالمية، حيث اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى أن دول المغرب العربي لا تزال تعاني من ضعف مؤسساتها العاملة في قطاع الخدمات، وأن ظهور التكتلات التجارية الدولية في الأسواق الرئيسية وفي ظل تحرير التجارة وقيام منظمة التجارة العالمية تعمل فرض منافسة شديدة أمام الصناعات المغربية.



3. دراسة المحيشي 2003 (الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية على التجارة الخارجية لدول المغرب العربي خلال الفترة 1980 – 2000) :هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية وانعكاساتها على التجارة الخارجية لدول المغرب العربي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل إلى جملة من النتائج مفادها أن التجارة الدولية تساهم في دعم ودفع النمو الاقتصادي إلى الأمام في دول المغرب العربي، كما أن الدول المغاربية تعتمد في صادراتها على تسويق المواد الأولية، وأن ارتفاع مؤشر الانفتاح العالمي في الاقتصادات المغاربية يدل على أهمية قطاع التجارة الخارجية ضمن هيكلية الاقتصادات المغاربية.

4. دراسة الحامدي 2009 (التبعية التجارية لأقطار المغرب العربي خلال الفترة (1989 – 2000): تناولت هذه الدراسة دور الاتحاد المغاربي في تحديد آلية اتخاذ القرارات الخاصة بالصادرات والواردات إلى جانب تقييم شروط التبادل التجاري لأقطار الاتحاد مع العالم الخارجي ومحاولة التعرف على مدى إمكانية تحقيق التوسع في دائرة التبادل التجاري لأقطار اتحاد المغرب العربي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد أسفرت الدراسة على مجموعة من النتائج أبرزها أن الدول الصناعية وخاصة الدول الأوروبية لازالت من أبرز الشركاء التجاريين لدول اتحاد المغرب العربي، وكذلك أن الاختلاف في الأنظمة والمناهج الاقتصادية لأقطار المغرب العربي يعد من العقبات التي تقف في وجه تحرير المبادلات التجارية.



5. دراسة سميرة 2012 (تأثير التجارة الخارجية على النمو الاقتصادي – دراسة تطبيقية على دول المغرب العربي خلال الفترة (1989 – 2005): هدفت إلى معرفة حركة كلاً من الصادرات والواردات والنتاج المحلي الإجمالي في كل دولة من دول المغرب العربي ومعرفة تأثير التجارة الخارجية على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، وقد توصل الباحث في دراسته إلى جملة من النتائج مفادها أن إجمالي صادرات وواردات دول المغرب العربي لها تأثير أكبر من تأثير الاستثمار المحلي على النمو الاقتصادي (النتاج المحلي الإجمالي).

6. دراسة العماري 2004 (منظمة التجارة العالمية ومستقبل التنمية في دول المغرب العربي): هدفت إلى التعرف على الإشكالات والتحديات المختلفة التي تواجه الدول المغربية في تحقيق الأهداف التنموية وتقصي الآثار المحتملة والتي ستنعكس على التنمية الاقتصادية ببلدان المغرب العربي، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، وتوصل إلى عدة نتائج تكمن في أن اقتصادات الأقطار المغربية تعاني من تشوهات ناتجة عن التطورات المتضاربة في برامجها التنموية وأن الصناعات المغربية تعاني من عدم القدرة على المنافسة نتيجة للتخلف التكنولوجي وارتفاع التكاليف لهذه الصناعات.



**ثالثا: العلاقة بين التجارة البينية والنمو الاقتصادي لدول المغرب العربي خلال
الفترة (1990 – 2013)**

هناك فرصة كبيرة بين دول المغرب العربي لزيادة المبادلات التجارية البينية وخاصة وأن دول المغرب العربي بها تنوع كافٍ ومقنع من المنتجات المختلفة، إضافةً إلى الموارد التي تستحوذ عليها المساحة الإجمالية لهذه الدول، ولكن الأمر يتطلب زيادة تفعيل المبادلات التجارية في بينها والسعي لتوحيد سياساتها التجارية. من هنا فإن التجارة البينية لدول المغرب العربي تعتبر من أهم العوامل المؤثرة في النمو الاقتصادي. وللاحاطة بعلاقة التجارة البينية بالنمو الاقتصادي لكل دولة من دول المغرب العربي، سيتم بيان وتحليل كل دولة على حدى كما يلي:

**أ. نسبة الصادرات والواردات البينية الليبية إلى الناتج المحلي الإجمالي
الليبي خلال الفترة (1990 – 2013):**

من خلال البيانات الواردة في الجدول رقم (1) نلاحظ أن نسبة الصادرات البينية من الناتج المحلي الإجمالي ضعيفة بشكل عام، حيث أن في سنة 1990م كانت نسبة الصادرات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي حوالي (0.42%)، لترتفع في سنة 1991م حيث وصلت إلى (0.59%) من الناتج المحلي الإجمالي الليبي، وفي سنة 1995م وصلت نسبة الصادرات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي إلى (0.70%)، ثم تنخفض في سنة 1997م لتصل إلى (0.64%) من الناتج المحلي الإجمالي، ثم استمرت نسبة الصادرات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي في الارتفاع إلى سنة 2000م حيث بلغت (1.15%)، في حين نلاحظ أن هناك ارتفاع وانخفاض في



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

نسب الصادرات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي الليبي لباقي السنوات الأخرى، وقد كانت أعلى نسبة للصادرات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي خلال فترة الدراسة كانت في سنة 2000م حيث بلغت (1.84%)، وكانت أدنى نسبة للصادرات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي خلال فترة الدراسة في سنة 1993م حيث بلغت (0.19%).

أما بالنسبة للواردات البينية الليبية فنلاحظ من الجدول رقم (1) أن نسبة الواردات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي الليبي فقد كانت ضعيفة بشكل عام، حيث أن في سنة 1990م كانت نسبة الواردات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي حوالي (0.88%)، لتتخف في سنة 1991م حيث وصلت إلى (0.84%) من الناتج المحلي الإجمالي الليبي، لترتفع في سنة 1995م إلى أن وصلت نسبة الواردات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي إلى (1.30%)، في حين أنها انخفضت في سنة 2000م لتصل إلى حوالي (0.69%) من الناتج المحلي الإجمالي الليبي، وحيث نلاحظ أن هناك ارتفاع وانخفاض في نسب الواردات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي الليبي في باقي السنوات الأخرى، وقد كانت أعلى نسبة للواردات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي الليبي خلال فترة الدراسة في سنة 2013م حيث بلغت (2.04%) وكانت أدنى نسبة للواردات البينية الليبية من الناتج المحلي الإجمالي خلال فترة الدراسة كانت في سنة 2005م حيث بلغت (0.32%).

جدول رقم (1)



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

نسبة الصادرات والواردات البينية الليبية إلى الناتج المحلي الإجمالي الليبي خلال
الفترة (1990 – 2013)

نسبة الواردات البينية للناتج المحلي الإجمالي %	نسبة الصادرات البينية للناتج المحلي الإجمالي %	الناتج المحلي الإجمالي	الواردات البينية	الصادرات البينية	السنوات
0.88	0.42	32806	291.4	139.7	1990
0.84	0.59	37254	314	219.9	1991
1.25	0.39	36149	453.1	142.1	1992
1.03	0.19	35221	364.8	69.2	1993
0.89	0.59	32361	291	191.5	1994
1.30	0.70	30510	397.8	216.2	1995
1.10	1.03	32922	362.2	342.1	1996
0.92	0.64	37234	345.0	238.6	1997
0.95	1.12	28313	270.7	318.2	1998
0.84	1.13	30735	258.6	349.4	1999
0.68	1.15	34574	238.5	398.4	2000
0.82	0.86	30032	247.5	259.3	2001
1.34	1.84	21924	295.0	404.3	2002
1.19	1.63	26296	314.7	430.0	2003
0.68	1.47	33420	229.8	493.9	2004
0.32	1.42	45395	147.3	648.0	2005
0.53	0.91	55227	296.8	507.6	2006
0.72	1.18	63854	462.1	758.0	2007



التجارة البيئية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

0.71	0.94	76732	544.9	725.8	2008
0.63	0.94	63769	407	603.1	2009
0.73	1.29	73965	541.1	956.5	2010
1.21	0.76	37468	456.3	287.9	2011
1.69	1.07	83195	1413.8	894.6	2012
2.04	0.51	64439	1316.2	328.8	2013

المصدر: صندوق النقد العربي التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنوات مختلفة.

ب. نسبة الصادرات والواردات البيئية التونسية إلى الناتج المحلي الإجمالي
التونسي خلال الفترة (1990 – 2013):

نلاحظ من خلال تتبع الجدول رقم (2) أن نسبة الصادرات البيئية من الناتج المحلي الإجمالي متذبذبة في أغلب السنوات، حيث أن في سنة 1990 كانت نسبة الصادرات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي حوالي (2.19%)، ثم نلاحظ ارتفاع في نسبة الصادرات البيئية لسنة 1991م حيث وصلت إلى (2.48%) من الناتج المحلي الإجمالي التونسي، وقد شهدت نسبة الصادرات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي ارتفاعاً وانخفاضاً بعد سنة 1991 إلى أن وصلت (0.08%) في سنة 2002م، وتعتبر هذه السنة أدنى نسبة خلال فترة الدراسة، وقد كانت أعلى نسبة للصادرات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي خلال فترة الدراسة كانت في سنة 2008م حيث بلغت (3.73%) من الناتج المحلي الإجمالي.

أما بالنسبة للواردات البيئية التونسية، ومن خلال تتبع البيانات الواردة في الجدول رقم (2)، نلاحظ أن نسبة الواردات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي التونسي ترتفع أحياناً وتنخفض أحياناً أخرى، ففي سنة



التجارة البيئية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

1990م كانت نسبة الواردات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي التونسي حوالي (1.46%)، لتشهد انخفاضاً في سنة 1991 حيث وصلت إلى (1.33%) من الناتج المحلي الإجمالي التونسي، لترتفع في سنة 1996م إلى أن وصلت نسبة الواردات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي التونسي إلى (2.16%)، في حين انخفضت في سنة 2002م لتصل إلى (2.06%)، وقد كانت أعلى نسبة للواردات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي التونسي خلال فترة الدراسة كانت في سنة 2008م حيث بلغت (4.61%)، وكانت أدنى نسبة للواردات البيئية التونسية من الناتج المحلي الإجمالي التونسي خلال فترة الدراسة كانت في سنة 1991 حيث بلغت (1.33%).

جدول رقم (2)

نسبة الصادرات والواردات التونسية إلى الناتج المحلي الإجمالي التونسي خلال
الفترة (1990 – 2013)

السنوات	الصادرات البيئية	الواردات البيئية	الناتج المحلي الإجمالي	نسبة الصادرات البيئية للناتج المحلي الإجمالي %	نسبة الواردات البيئية للناتج المحلي الإجمالي %
1990	270.4	179.9	12314	2.19	1.46
1991	323.3	173.8	13010	2.48	1.33
1992	324.8	281.8	15497	2.09	1.81
1993	290.6	199.7	14595	1.99	1.36
1994	295	251.3	15722	1.87	1.59
1995	405.5	343.9	18050	2.24	1.90
1996	330	422.8	19562	1.68	2.16
1997	336.3	315.9	18934	1.77	1.66
1998	297.7	278.8	20054	1.48	1.39



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

1.61	1.57	19911	320.6	313.5	1999
2.40	1.57	19435	467.2	306.9	2000
2.37	1.87	20056	475.4	376.8	2001
2.06	0.08	23143	478.5	20.7	2002
2.14	2.07	26876	577.0	558.9	2003
2.34	1.91	29384	688.8	563.2	2004
2.34	2.66	29026	682.0	772.1	2005
3.20	2.98	31712	1015.6	946.5	2006
2.86	3.28	35650	1022.7	1172.3	2007
4.61	3.73	40885	1887.3	1527.1	2008
2.58	3.46	43551	1126.9	1508.2	2009
2.27	3.30	44253	1005.9	1462.7	2010
1.62	3.26	46431	753.6	1514.4	2011
3.12	3.38	45673	1429.3	1545.8	2012
3.58	3.34	47111	1690.8	1577.4	2013

المصدر: صندوق النقد العربي التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنوات مختلفة.

ج. نسبة الصادرات والواردات البينية الجزائرية إلى الناتج المحلي الإجمالي
الجزائري خلال الفترة (1990 – 2013):

بالنظر للبيانات الواردة في الجدول رقم (3) نلاحظ أن نسبة الصادرات البينية الجزائرية من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري خلال سنوات الدراسة ضئيلة جداً، حيث أن في سنة 1990 كانت نسبة الصادرات البينية الجزائرية من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري حوالي (0.21%)، لترتفع في سنة 1994م حيث وصلت إلى (0.56%)، ثم تنخفض في سنة 1998م لتصل إلى (0.19%)، لترتفع مرة أخرى في سنة 2004م لتصل إلى (0.29%) من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري، ولتستمر في الارتفاع إلى سنة 2013م حيث بلغت (0.99%) من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري، وسجلت هذه السنة



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

أعلى نسبة للصادرات البينية الجزائرية خلال فترة الدراسة، وقد كانت أدنى نسبة للصادرات البينية الجزائرية من الناتج المحلي الإجمالي كانت في سنة 1998م حيث بلغت (0.19%) خلال فترة الدراسة .

أما بالنسبة للواردات البينية الجزائرية، فنلاحظ من خلال البيانات الواردة في الجدول رقم (3)، أن نسب الواردات البينية الجزائرية من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري شبيهة بصادراتها، ترتفع أحياناً وتتنخفض أحياناً أخرى، ففي سنة 1990 كانت نسبة الواردات البينية من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري حوالي (0.21%)، لترتفع في سنة 1992 لتصل إلى (0.46%) من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري، ثم ارتفعت في سنة 1995 إلى أن وصلت نسبة الواردات البينية الجزائرية من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري (0.65%)، ثم انخفضت في سنة 2000 حيث بلغت (0.02%) من الناتج المحلي الإجمالي، حيث سجلت هذه السنة أدنى نسبة خلال فترة الدراسة، وقد كانت أعلى نسبة للواردات البينية الجزائرية من الناتج المحلي الإجمالي الجزائري في سنة 1995 حيث بلغت (0.65%) خلال فترة الدراسة .

جدول (3)

نسبة الصادرات والواردات الجزائرية إلى الناتج المحلي الإجمالي الجزائري خلال الفترة

(1990-2013)

السنوات	الصادرات البينية	الواردات البينية	الناتج المحلي الإجمالي	نسبة الصادرات البينية للناتج المحلي الإجمالي %	نسبة الواردات البينية للناتج المحلي الإجمالي %
1990	132.5	130.4	62049	0.21	0.21
1991	188.8	163.7	45715	0.41	0.35



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

0.46	0.48	47861	222.9	233.7	1992
0.42	0.29	49767	212.9	148.7	1993
0.62	0.56	42063	264.2	237.6	1994
0.65	0.54	41240	270.4	224.5	1995
0.26	0.50	46829	124.4	236.1	1996
0.36	0.28	48158	174.7	135.1	1997
0.04	0.19	48190	21.6	95.9	1998
0.06	0.26	48700	32.2	127.8	1999
0.02	0.36	54800	14.1	199.9	2000
0.03	0.40	54700	20.7	222.8	2001
0.21	0.30	56700	119.2	171.5	2002
0.17	0.24	67800	121.1	168.3	2003
0.17	0.29	85099	147.3	249.9	2004
0.20	0.45	102800	207.5	467.7	2005
0.18	0.52	116600	219.6	608.1	2006
0.19	0.70	134143	266.9	947.2	2007
0.22	0.85	170300	375	1456.4	2008
0.31	0.64	138126	440	885.3	2009
0.30	0.76	161947	497.6	1241.8	2010
0.34	0.79	197450	677	1566	2011
0.34	0.95	206395	719.4	1970.5	2012
0.42	0.99	225933	970.3	2243.2	2013

المصدر: صندوق النقد العربي التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنوات مختلفة.

د. نسبة الصادرات والواردات البينية المغربية إلى الناتج المحلي الإجمالي
المغربي خلال الفترة (1990 – 2013):

نلاحظ من خلال الجدول رقم (4)، أن نسب الصادرات البينية المغربية تشهد ارتفاعاً وانخفاضاً في أغلب سنوات الدراسة، حيث أن في سنة 1990 كانت نسبة الصادرات البينية المغربية من الناتج المحلي الإجمالي المغربي



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

حوالي (0.75%)، ثم نلاحظ ارتفاعاً في سنة 1991 لتصل إلى (1.21%) من الناتج المحلي الإجمالي المغربي، ثم تنخفض في سنة 1994م لتصل إلى (0.78%)، ثم ارتفعت نسبة الصادرات البينية المغربية من الناتج المحلي الإجمالي إلى أن وصلت إلى (0.83%) في سنة 1995، وحيث نلاحظ أن هناك انخفاضاً في باقي سنوات الدراسة إلى سنة 2009م حيث بلغت نسبة الصادرات البينية المغربية من الناتج المحلي الإجمالي المغربي (0.33%)، وقد كانت أعلى نسبة للصادرات البينية المغربية كانت في سنة 1991 لتصل إلى (1.21%)، وأدنى نسبة لها كانت في سنة 2005 حيث بلغت (0.24%) من الناتج المحلي الإجمالي المغربي خلال فترة الدراسة .

أما بالنسبة للواردات البينية المغربية، فنلاحظ من خلال البيانات الواردة في الجدول رقم (4)، أن نسبة الواردات البينية المغربية من الناتج المحلي الإجمالي المغربي في سنة 1990م بلغت (0.27%)، لترتفع في سنة 1992م إلى أن وصلت إلى (0.85%)، ثم تنخفض في سنة 1998م لتصل إلى (0.44%) من الناتج المحلي الإجمالي المغربي، ثم نلاحظ أن هناك ارتفاع ملحوظ في باقي سنوات الدراسة وقد كانت أعلى نسبة للواردات البينية المغربية في سنة 2007 حيث بلغت (1.45%)، وأدنى نسبة للواردات البينية المغربية كانت في سنة 1990م حيث بلغت (0.27%) من الناتج المحلي الإجمالي المغربي خلال فترة الدراسة .

جدول رقم (4)

نسبة الصادرات والواردات المغربية إلى الناتج المحلي الإجمالي المغربي خلال الفترة
(1990 – 2013)



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

السنوات	الصادرات البينية	الواردات البينية	الناتج المحلي الإجمالي	نسبة الصادرات البينية للناتج المحلي الإجمالي %	نسبة الواردات البينية للناتج المحلي الإجمالي %
1990	194.3	71.1	25826	0.27	0.75
1991	337.8	230.7	27835	0.82	1.21
1992	259.4	244.1	28558	0.85	0.90
1993	268.3	166.8	26865	0.62	0.99
1994	244.1	230.7	31080	0.74	0.78
1995	276.9	198.2	32986	0.60	0.83
1996	229	243.3	36672	0.66	0.62
1997	184.7	186.5	33514	0.55	0.55
1998	164.6	159.4	36126	0.44	0.45
1999	174.6	211.1	35254	0.59	0.49
2000	148.9	312.8	33332	0.93	0.44
2001	123.9	293.6	33901	0.86	0.36
2002	152.7	293.9	36094	0.81	0.42
2003	139.9	305.8	43813	0.69	0.31
2004	156.4	294.7	50031	0.58	0.31
2005	141.5	542.9	58956	0.92	0.24
2006	201.1	686.7	65405	1.04	0.30
2007	242.0	1089.8	75119	1.45	0.32
2008	317.4	1141.9	85743	1.33	0.37
2009	299.9	972.5	90553	1.07	0.33
2010	398.2	1157.2	91314	1.26	0.43
2011	405	1351.5	93574	1.44	0.43
2012	565.6	1394.6	98774	1.41	0.57
2013	523.9	1521.1	105333	1.44	0.49

المصدر: صندوق النقد العربي التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنوات مختلفة.



هـ. نسبة الصادرات والواردات البيئية الموريتانية إلى الناتج المحلي الإجمالي

الموريتاني خلال الفترة (1990 – 2013):

نلاحظ من خلال البيانات الموضحة في الجدول رقم (5)، أن نسب الصادرات البيئية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي الموريتاني ضعيفة خلال فترة الدراسة، حيث أن في سنة 1990 كانت نسبة الصادرات البيئية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي حوالي (0.05%)، لترتفع وبنسبة بسيطة في سنة 1991 حيث وصلت إلى (0.09%) من الناتج المحلي الإجمالي الموريتاني، ثم انخفضت نسبة الصادرات البيئية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي في سنة 1995م حيث بلغت (0.04%)، لترتفع في سنة 1996 حيث وصلت إلى (0.39%)، إذ نلاحظ أن هناك ارتفاع وانخفاض في نسب الصادرات البيئية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي الموريتاني في باقي السنوات الأخرى، وقد كانت أدنى نسبة للصادرات البيئية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي خلال فترة الدراسة كانت بنفس النسبة في السنتين (1990 – 2013) حيث بلغت (0%، 0%) على التوالي، بمعنى أنه لا توجد صادرات بيئية موريتانية لدول المغرب العربي خلال هذه السنوات، وقد كانت أعلى نسبة للصادرات البيئية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي في سنة 2004م حيث بلغت (1.02%) خلال فترة الدراسة.

أما بالنسبة للواردات البيئية الموريتانية، فنلاحظ من الجدول رقم (5) أن نسبة الواردات البيئية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي الموريتاني قد شهدت تذبذباً واضحاً ما بين الارتفاع والانخفاض، حيث أن في سنة 1990م كانت نسبة الواردات البيئية من الناتج المحلي الإجمالي حوالي (2.16%)، ثم



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

ارتفعت في سنة 1993 إلى أن وصلت إلى (4.65%)، لتشهد انخفاضاً في سنة 1996م حيث بلغت نسبة الواردات البينية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي الموريتاني حوالي (3.06%)، لترتفع نسبة الواردات البينية الموريتانية من الناتج المحلي الإجمالي الموريتاني إلى أعلى نسبة لها خلال فترة الدراسة في سنة 1997م حيث بلغت (6.13%)، ثم انخفضت في سنة 1998م إلى أن وصلت (3.25%)، ثم استمرت نسبة الواردات البينية الموريتانية في الانخفاض في باقي السنوات الأخرى إلى أن وصلت إلى أدنى نسبة لها في سنة 2006 حيث بلغت (0.73%) خلال فترة الدراسة.

جدول رقم (5)

نسبة الصادرات والواردات الموريتانية إلى الناتج المحلي الإجمالي الموريتاني خلال
الفترة (1990-2013)

السنوات	الصادرات البينية	الواردات البينية	الناتج المحلي الإجمالي	نسبة الصادرات البينية للناتج المحلي الإجمالي %	نسبة الواردات البينية للناتج المحلي الإجمالي %
1990	0.6	22.7	1050	2.16	0.05
1991	1.1	41.6	1136	3.66	0.09
1992	0.2	26.5	1150	2.30	0.01
1993	0.3	43.3	930	4.65	0.03
1994	0.5	27.4	1012	2.70	0.04
1995	0.5	29.4	1056	2.78	0.04
1996	4.3	33.1	1081	3.06	0.39
1997	2.2	65.6	1070	6.13	0.20
1998	1.2	32.0	983	3.25	0.12
1999	0.0	11.3	973	1.16	0



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

2.36	0.13	1072	25.4	1.5	2000
2.92	0.34	1117	32.7	3.8	2001
1.84	0.33	1146	21.1	3.8	2002
0.96	0.60	1280	12.3	7.7	2003
0.72	1.02	1490	10.8	15.2	2004
0.83	0.02	1853	15.5	0.5	2005
0.73	0.23	2741	20.1	6.5	2006
2.32	0.53	2819	65.6	15.0	2007
2.74	0.55	3615	99.4	20	2008
0.84	0.03	3029	25.5	1.1	2009
1.35	0.06	3629	49	2.3	2010
2.84	0.09	4064	115.6	4	2011
2.12	0.009	4194	89.2	0.4	2012
2.62	0	4166	109.4	0.0	2013

المصدر: صندوق النقد العربي التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنوات مختلفة.

رابعاً: نموذج تقدير أثر التجارة البينية على النمو الاقتصادي لدول المغرب
العربي

1.4 مبررات استخدام منهج البائل ضمن هذه الدراسة:

تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها سوف تركز على استخدام نماذج ديناميكية تمزج بيانات السلاسل الزمنية مع بيانات المقاطع العرضية (بيانات السلاسل الزمنية المقطعية)، بينما ركزت معظم هذه الدراسات على تطبيق نماذج ساكنة استخدمت إما بيانات المقاطع العرضية أو بيانات السلاسل الزمنية المقطعية. وهذه النماذج قد ينتج عن تقديرها قيم معاملات انحدار متحيزة وغير متسقة.



2.4 تعريف المتغيرات ومصادر البيانات

1.2.4 العينة وفترة الدراسة

فترة الدراسة تمتد من عام 1990 حتى عام 2013، أما عينة الدراسة فتتكون من خمسة دول هي دول المغرب العربي تونس، ليبيا، موريتانيا، المغرب والجزائر.

تم اختيار هذه الدول طبقاً لمعيار مدى توافر البيانات للمتغيرات محل الدراسة لكل سنوات الفترة محل الدراسة وكذلك فهي تمثل كتلة اتحادية لها ارتباطات تجارية وسياسية مشتركة، ومن ثم فإن الدراسة الحالية سوف تستخدم بيانات السلاسل الزمنية المقطعية أو ما يعرف ببيانات البانل.

2.2.4 تعريف المتغيرات

يمكن تعريف المتغيرات المستخدمة في الدراسة على النحو التالي:

1.2.2.4 المتغير التابع

المتغير التابع هو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي في الدولة i وفي الفترة t ($EGit$).

2.2.2.4 المتغيرات المستقلة

إن تحديد المتغيرات المستقلة في هذه الدراسة يستند إلي الإطار النظري والدراسات السابقة لموضوع الدراسة. ويمكن بيان المتغيرات المستقلة المستخدمة في هذه الدراسة كما يلي:

- الصادرات ($EXit$): أحد المتغيرات المستقلة هو الصادرات السلعية للدول المغاربية الخمس، وكما ورد في النظرية الاقتصادية وكذلك الدراسات



السابقة بأنه متغير له أثر إيجابي على الناتج المحلي الإجمالي والنمو الاقتصادي.

- الواردات ($IMPit$): المتغير الثاني المستقل في الدالة المدروسة ضمن هذه الدراسة، وهو كذلك متغير تم التعرض إليه ضمن النظرية الاقتصادية بأنه متغير يؤثر في النمو الاقتصادي.

3.2.4 مصادر البيانات

تم الحصول على البيانات من قاعدة البيانات المنشورة من قبل صندوق النقد العربي والبنك الدولي والبيانات المنشورة في بعض مواقع المصارف المركزية للدول المغاربية الخمس.

يجب التنويه بأن المعادلة تخص 5 دول و3 متغيرات اقتصادية (تابع ومستقلين) بهذا الشكل:

$$EGit = f(EXPit, IMPit)$$

وكذلك البيانات تعتمد على الفترة (1990-2013) أي 23 سنة، تختص بعدد 5 دول مغاربية، وبالتالي عدد المشاهدات ستكون 115 مشاهدة.

3.4 النموذج الديناميكي المستخدم وطريقة التقدير

طبقاً للإطار النظري للنموذج الاقتصادي يقترح تطبيق نموذج ديناميكي لبيانات السلاسل الزمنية المقطعية لاختبار التجارة البينية (الصادرات والواردات) على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، موريتانيا، الجزائر، تونس)، ويمكن بيان هذا النموذج بواسطة المعادلة التالية:

$$EGit = f(ITit)$$



حيث IT مؤشر يعنى بالتجارة الخارجية للدول المغاربية والتي تعكس حجم الصادرات والواردات لتلك الدول، وبالتالي تكون الدالة كالتالي:

$$IMPit) \cdot EGit = f(EXPit)$$

للاختبار بين النماذج الثلاثة المذكورة أعلاه لأجل التقدير، سوف يتم تطبيق اختبار هاوزمان (Hausman، 1978) ويستخدم عادة من أجل الاختبار بين نموذج الآثار الثابتة، ونموذج الآثار العشوائية.

1.3.4 تطبيق اختبار جذر الوحدة لبيانات النموذج:

من خلال الاختبارات المبينة في الملحق رقم (1) فأنا نجد أن جميع بيانات السلاسل الزمنية الخاصة بمتغيرات النموذج في الدول الخمس هي غير مستقرة في المستوى، ولكنها استقرت في الفروق الأولى، ولذلك سوف ننقل لأجراء اختبار (Hausman) لتبيان أي من النماذج ملائم للتحليل.

2.3.4 الاختبار بين نموذج الآثار الثابتة ونموذج الآثار العشوائية:

قام هاوزمان (Hausman، 1978) باقتراح اختباره من أجل تحديد أي من النموذجين أفضل للتحليل، ولتطبيق هذا الاختبار ينبغي فرض فرضية عدم تنص على عدم وجود ارتباط للدولة والمتغيرات المستقلة لنموذج محل التقدير، ويعني ذلك عدم وجود آثار ثابتة لكل دولة على حدا، أما الفرضية البديلة فتتنص على وجود آثار ثابتة للدولة والمتغيرات المستقلة في نموذج الانحدار، ويمكن ترجمة الفرضيتين بالكيفية التالية:

H_0 : نموذج الآثار العشوائية هو المناسب في التحليل

H_1 : نموذج الآثار الثابتة هو المناسب في التحليل



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول
المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

وطبقا لنتائج الاختبار المبين ضمن الملحق رقم (1) فإن نموذج الآثار العشوائية يعتبر أفضل النماذج المقدر، ولذلك سوف يتم تطبيقه للحصول على نتائج العلاقة التقديرية بين النمو الاقتصادي ومتغيري التجارة الدولية في دول المغرب العربي.

3.3.4 نتائج القياس:

الجدول التالي يبين نتائج القياس (أنظر الملحق رقم 1) كما تم الحصول عليها من تطبيق البرنامج القياسي Eviews 9:

جدول (6)

نتائج تقدير أثر التجارة البينية على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي
(نموذج الآثار العشوائية)

المتغير التابع: النمو الاقتصادي *EGit*

المتغير المستقل	معامل الانحدار	Prob.
<i>EXPit</i>	4.56	0.008
<i>IMPit</i>	2.66	0.008
<i>C</i>	13.22	0.009
<i>R</i> ²	0.78	-
عدد المشاهدات	115	-
<i>Hausman Test</i>	0.284	-

نتائج اختبار برنامج Eviews9.

من خلال نتائج الجدول يتبين ما يلي:

وجود أثر موجب ومعنوي للتجارة البينية على النمو الاقتصادي لدول المغرب العربي، أي إن زيادة الصادرات والواردات البينية بين دول المغرب



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

العربي تؤدي عادة إلى ارتفاع معدل النمو الاقتصادي بين هذه الدول، وتشير النتائج إلى إن زيادة مستوى الصادرات بنسبة 1% تؤدي إلى الارتفاع بمعدل النمو الاقتصادي بما يعادل 4%، وإن أي زيادة بنسبة الواردات أيضا بمعدل 1%، لها أثر ايجابي على ارتفاع معدل النمو الاقتصادي بحوالي أكثر من 2%.

خامسا: النتائج

1. لوحظ أن هناك تذبذب في قيم التجارة البينية (الصادرات والواردات) لدول المغرب العربي وقد يرجع هذا التذبذب في قيم الصادرات والواردات إلى الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي مرت بها دول المغرب العربي خلال الفترة التي تضمنتها هذه الدراسة.
2. مستوى التجارة البينية لدول المغرب العربي ظلّ متواضعاً ومحدود الأثر ولم يحدث أي نقلة نوعية واضحة في النمو الاقتصادي.
3. إن السبب الذي يعيق مساهمة التجارة البينية في تحقيق نمواً اقتصادياً عالياً لبعض بلدان المغرب العربي هو ضعف القاعدة الإنتاجية لهذه البلدان والتي يعتبر من العوامل الأساسية التي تعيق عمل التجارة البينية بين هذه الدول.
4. هناك أثر إيجابي بالرغم من أنه ضعيف نسبياً للتجارة البينية على النمو الاقتصادي لدول المغرب العربي وهذا يعكس الفرضية التي استند عليها الباحث في دراسته. فزيادة نسبة التجارة البينية بين هذه الدول قد يؤدي إلى ارتفاع نموها الاقتصادي.



قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إسماعيل عبدالمجيد المحيشي (الآثار المحتملة لمنظمة التجارة العالمية على التجارة الخارجية لدول المغرب العربي)، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا - ليبيا سنة 2003 م .
- 2- سالم محمد الحامدي، (التبعية التجارية لأقطار المغرب العربي خلال الفترة 1989-2000)، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، ليبيا، سنة 2009.
- 3- سميرة عيسى سليمان، (تأثير التجارة الدولية على النمو الاقتصادي " دراسة تطبيقية على دول المغرب العربي خلال الفترة (1989 - 2005)، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا - ليبيا، سنة 2012.
- 4- نصر الدين محمد الشريف، (أثر التجارة البينية بين بلدان اتحاد المغرب العربي على التنمية الاقتصادية في هذه البلدان خلال الفترة " 1990 - 2005)، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، ليبيا، سنة 2013.
- 5- موريتانيا الثقافة والدولة والمجتمع،(مركز دراسات الوحدة العربية " سلسلة الثقافة القومية28")، إعداد مجموعة من الباحثين .
- 6- التقرير الإحصائي السنوي لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبتروول إصدارات مختلفة، للسنوات (1990 - 2009).
- 7- التقرير السنوي للأمين العام، (الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلدان العربية)،العدد السادس، 2008.
- 8- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 2004).
- 9- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 2006).
- 10- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 2009).
- 11- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 2010).



التجارة البينية وأثرها على النمو الاقتصادي في دول المغرب العربي خلال الفترة (1990-2013)

- 12- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 2011).
- 13- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 2013).
- 14- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 2014).
- 15- صندوق النقد العربي، (التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سنة 1996).
- 16- مجلس التخطيط العام، (المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا خلال الفترة 1962-2000)، طرابلس - إدارة الخطط والبرامج، سنة 2001.
- 17- المنظمة العربية للتنمية الزراعية (الكتاب السنوي للإحصاءات السنوية، نشرة الإحصاءات السنوية)، مجلد 28، الخرطوم، سنة 2008.
- 18- المنشورات الاقتصادية والتقارير السنوية الصادرة عن مصرف ليبيا المركزي لسنوات مختلفة (1991 - 2014).



جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر

■ د. أحمد بن محمد طويل بن عبد الله الخطيب

عضو هيئة تدريس، كلية الإمام الشافعي، جامعة جزر القمر

الملخص

يعد الشيخ أحمد قمر الدين رمزا من رموز العلم ورائدا من رواد المعرفة، وقد أسهم إسهاما كبيرا في استقلال جزر القمر والحفاظ على عروبته، من خلال جهوده في التعليم والتدريس والتوعية، وعن طريق مؤلفاته وإسهاماته الأدبية والفكرية، وكذلك نظمه للشعر، وتسميته المعالم الكبرى بأسماء عربية. وَهَدَفُ هذا البحث إبرازُ هذه الجهود، ونشرها للأجيال اللاحقة؛ كي تستير بها وتستفيد منها. وهو مكون من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للمحتويات. وفي ختامه خلص إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

- 1- أن العربية صمدت في جزر القمر - رغم محاولات المحتلين للقضاء عليها - بسبب جهود نخبة من العلماء والقادة الذين دافعوا عنها وحموها من الضياع والاندثار.
 - 2- أن الشيخ قمر الدين من أبرز المساهمين في استقلال جزر القمر، والمدافعين على ثقافتها الإسلامية وهويتها العربية.
 - 3- أنه كان عالما متعدد المواهب، مشاركا في علوم مختلفة، ذا ثقافة واسعة، أهله لتولي مناصب كبيرة في الدولة.
- كما يوحي الباحث بما يلي:

1- ضرورة قيام الباحثين القمريين بالبحث عن جهود علمائهم في شتى المجالات؛ كي يستفيد



2- العناية بتراث الشيخ أحمد قمر الدين، وتحقيقها وطباعتها، كي يستفيد منها طلبة العلم.
الكلمات المفتاحية: أحمد قمر الدين، اللغة العربية، جزر القمر.

Abstract

Sheikh Ahmed Kamardine is considered a symbol among the symbols of science and a pioneer of knowledge. He has contributed enormously to the independence of the Comoros and the preservation of its Arabism thought his efforts in education ،teaching and awareness ،and also through his literary and intellectual works and contributions ،as well as his poetry and his nomination of major landmarks with Arabic names. The aim of this research is to highlight these efforts and disseminate them to future generations so that they can be informed and benefit from them. It consists of an introduction ،a preface ،five sections ،a conclusion ،a cross-reference to sources and references and a subject index. In the end ،it concluded a number of results ،the most important of which are:

- 1 - that the Arabic language has resisted in the Comoros - despite attempts by the occupiers to eliminate it - thanks to the efforts of a group of scholars and leaders who have defended and protected it from loss and extinction.
- 2- Cheikh Kamardine is one of the most important contributors to the independence of the Comoros ،and the defenders of its Islamic culture and its Arab identity.
- 3- He was a multi-talented scholar ،participating in various sciences ،with a broad culture ،which qualified him to assume great positions in the State. Keywords: Ahmed Kamardine ،Arabic language ،Comoros.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن لعلمائنا الأجلاء دورا كبيرا في استقلال جزر القمر والحفاظ على عروبتها، فجهودهم - مع إخوانهم القادة السياسيين - بارزة واضحة، حيث استطاعوا - عبر العصور المتلاحقة - أن يصمدوا أمام التيارات الجارفة الهادفة إلى القضاء على التراث القمري، وتمكنوا من الدفاع عن عروبة هذا الأرخبيل، وتحملوا في سبيل ذلك المشاق والصعاب، لذا صار من حقهم علينا حفظ تراثهم، وتدوين سيرهم ونشرها للأجيال اللاحقة؛ كي تسير على منوالهم وتستتير بها في مستقبل أيامهم.

ويعد الشيخ أحمد قمر الدين من أبرز الشخصيات القمرية في العصر الحديث ممن كان له دور بارز في استقلال جزر القمر، وفي الحفاظ على ثقافتها الإسلامية وهويتها العربية الأصيلة.

من أجل ذلك كتبت هذا البحث؛ تكريما له، وإبرازا لجهوده في خدمة دينه وأمته، وسميته (جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر)، أملا من المولى الكريم أن يوفقني لما يحب ويرضى. وتظهر أهميته في ارتباطه بشخصية مهمة، كانت له بصمة واضحة في نيل هذه الجزر استقلالها، وفي تمسك أهلها بهويتها العربية.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للمحتويات.



جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر

في المقدمة بينت أهمية البحث، والخطة التي سرت عليها فيه. أما التمهيد فقد خصصته لدراسة شخصية الشيخ أحمد قمر الدين بإيجاز. وجاء المبحث الأول للحديث عن جهوده في تفسير القرآن الكريم. وخصصت المبحث الثاني لبيان جهوده في التأليف باللغة العربية. وتناول المبحث الثالث جهوده في نظم الشعر العربي. وأوضحت في المبحث الرابع جهوده في تسمية الدوائر الحكومية بالأسماء العربية.

وفي المبحث الخامس بينت جهوده في الحفاظ على الحرف العربي. وذكرت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها وبعض التوصيات. ثم ذيلت البحث بثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للمحتويات.

التمهيد: أحمد قمر الدين، حياته بإيجاز

هو أحمد بن علي بن مسوما، كذا ذكر المترجمون⁽¹⁾، ولم أجد في المصادر التي بيدي أكثر من هذا. أما لقبه بـ (قمر الدين) فقد قيل: إن والده لقبه به لرؤيا رآه، فَعَبَّرَ لَهُ فِيهَا بِمَجِيءِ وَلَدِ صَالِحٍ⁽²⁾.

ولد الشيخ قمر الدين في بلدة (بوني) بمنطقة همهامي عام 1882م، وانتقل إلى (مبيني) ونشأ بها، وبدأ رحلته العلمية في "كُتَّابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ" لوالدته (دواء

(1) انظر: مصطفى الزباخ، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1415 هـ - 1995م، ص: 87- 88، وحامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 248- 256.

(2) انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص: 248، مصدر سابق، ود. سيد أحمد محمد، (الشيخ أحمد قمر الدين، حياته وأثاره)، ندوة في المركز الوطني للتوثيق والبحث العلمي، بتاريخ 2017/05/31م.



جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر

بنت السلطان مباقوم)، ثم أخذه أبوه معه إلى بلدة (بنغو) ليواصل مسيرته التعليمية، ومكث هناك عدة سنوات تعلم فيها الفقه والحديث والتفسير، لينتقل بعد ذلك إلى العاصمة موروني حوالي سنة 1910م ويلتحق بالمدرسة الفرنسية النظامية، فكان يدرس الفرنسية إلى جانب مواصلة الدراسة العربية والإسلامية في المساجد على يد علماء موروني⁽³⁾.

تتقل - رحمه الله - بين جزر المحيط الهندي، فارتحل إلى جزيرة مدغشقر، ورينيون، وموريشوس، كما سافر إلى مصر والسعودية⁽⁴⁾.
تولى مناصب عديدة، أبرزها تعيينه مستشارا خاصا لرئيس مجلس الحكومة في عهد الرئيسين: سيد محمد الشيخ، والأمير سيد إبراهيم⁽⁵⁾.
كان يحظى بمكانة علمية عالية، أهلته ليصبح رئيسا لجمعية علماء المحيط الهندي، التي أسسها سنة 1935م، ورئيسا لجمعية (إخوان الهدى) لعلماء جزر القمر سنة 1927م⁽⁶⁾.

توفي - رحمه الله - عام 1974م، بعد حياة حافلة بالعبء قضاهها في خدمة دينه وأمته، ودفن بمسقط رأسه مدينة (مبيني)⁽⁷⁾، في المقبرة الواقعة تحت المسجد الجامع حاليا.

(3) انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص: 248، مصدر سابق.

(4) انظر: مصطفى الزباح، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، ص: 87، مصدر سابق.

(5) انظر: مصطفى الزباح، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، ص: 87، مصدر سابق.

(6) انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص: 250، مصدر سابق.

(7) انظر: المصدر السابق، ص: 254.



المبحث الأول: جهوده في تفسير القرآن الكريم

من التقاليد العريقة لدى القمريين في شهر رمضان المبارك اجتماعهم في كبريات مساجدهم للاستماع إلى تفسير القرآن الكريم، ويكون ذلك - غالباً - بعد صلاة العصر مباشرة إلى قبيل أذان المغرب بساعة أو أقل، وكل مدينة أو قرية تختار من يقوم بذلك من كبار علمائها.

وكان الشيخ قمر الدين من كبار المفسرين القمريين، بل عده بعض الباحثين أول مفسر للقرآن الكريم في جزر القمر⁽⁸⁾، ويرى الدكتور حامد كرهيلاً أن بدايته لتفسير القرآن الكريم في جامع (مبيني) طوال شهر رمضان كان منذ سنة 1967م⁽⁹⁾، وأضاف الشيخ سيد إسماعيل بن سيد حمد أن ((تفسيره للقرآن لم يكن في رمضان فقط، وإنما كان من عادته أن يجمع الناس حوله للاستماع إلى شرح كتاب الله كلما عاد من سفر))⁽¹⁰⁾.

وهذا التفسير وإن كان يلقى باللغة القمرية إلا أنه من أكبر الوسائل المقربة للعربية إلى القمريين؛ لأن المفسر يقرأ الكلمة العربية أولاً ثم يتبعها بالشرح، إضافة إلى أن أغلب المفسرين لهم دراية بعلوم اللغة العربية، فتجدهم

(8) انظر: عيسى حامد محمود، جهود علماء جزر القمر في التفسير وعلوم القرآن، عمان، قسم أصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية، 2013م، ص: 92.

(9) انظر: حامد كرهيلاً، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، مصدر سابق، ص: 251-252.

(10) سيد إسماعيل بن سيد حمد، مقابلة أجراها الباحث مع فضيلته في منزله يوم الخميس 2017/05/24م.



أثناء الشرح يقفون على المسائل اللغوية ويشرحونها، كما يستخرجون اللمسات البلاغية⁽¹¹⁾.

المبحث الثاني: جهوده في التأليف باللغة العربية

كان الشيخ قمر الدين رائدا ونجما في سماء التأليف والإبداع، والذي يتتبع مسيرة حياته يجده عالما مشاركا في مختلف العلوم، إذ لم يقتصر في التأليف على فن واحد، ومما ساعده على ذلك ثقافته اللغوية: العربية والفرنسية والإنجليزية والمالغاشية والسواحلية، حيث كان يجيد جميع هذه اللغات تحدثا وقرأة وكتابة⁽¹²⁾.

كما كان لجهولاته في دول الجوار أثر كبير في تكوينه وصقل موهبته، وطبع عقله بطابع متميز. وقد ألف الشيخ قمر الدين بلغات متعددة، فألف بالعربية والفرنسية والقمرية، وفيما يلي ما وقفت عليه مما ألفه باللغة العربية: أولاً: القصد الأسنى في أسماء الله الحسنى، نظم في التوحيد، لقي قبولا واسعا وذاع صيته بين القمريين، وهو مطبوع ومتداول.

ثانياً: المتممة لمحة الإعراب، هي نظم استدرك فيه الشيخ على ملحة الإعراب للحريري، ومنها نسخة مخطوطة في مكتبة القاضي سيد إسماعيل بن سيد حمد، بخط يده من إملاء الشيخ قمر الدين نفسه.

(11) انظر: عيسى حامد، جهود علماء جزر القمر في التفسير وعلوم القرآن، ص: 185، مرجع سابق.

(12) انظر: مصطفى الزباخ، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، ص: 87، مصدر سابق.



ثالثا: جريدته التي أسسها سنة 1963م، وكانت تصدر بالعربية إلى جانب القمرية⁽¹³⁾، ولم أتمكن من الحصول على نسخة منها.

المبحث الثالث: جهوده في نظم الشعر العربي

يعد الشيخ أحمد قمر الدين ((من رجيل حركة البعث الأدبي في جزر القمر، ممن أسهموا في إيقاظ الشعور الوطني والأدبي لدى الجيل القمري الجديد، الذي يرتطم بالصخور في بحثه عن انتمائه الإسلامي السليم))⁽¹⁴⁾، وقد قرض الشعر، ونظم العشرات من القصائد في شتى المناسبات، غير أنها لم تطبع ولم تجمع في مكان واحد، وسأورد - فيما يلي - نماذج من شعره:

أولاً: من شعر الرثاء:

1- من أبرز شعره في الرثاء، رثاؤه لجدي الشيخ عبد الله الخطيب، ومطلعه⁽¹⁵⁾:

لَا حُزْنَ إِلَّا نَرَاهُ دُونَ مَا نَجِدُ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ فِي الْأُمُورِ يُعْتَمَدُ
نَبْكَي أَخَا كَانَ فِي الْإِخْوَانِ دَا هِمَمٍ خَطِيبِنَا كَانَ فِي الْإِرْشَادِ يَجْتَهَدُ

2- رثاؤه للشيخ سالم بن عوض ودعان، المتوفى سنة 1942م، وأوله⁽¹⁶⁾:

لَا حَيٍّ إِلَّا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْبَقَا فَاصْبِرْ فَكُلُّ مُصِيبَةٍ بِقَضَاءِ

(13) انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص: 252، مصدر سابق.

(14) مصطفى الزباخ، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، ص: 88، مصدر سابق.

(15) القصيدة من البحر البسيط، مكونة من أحد عشر بيتا، ومنها نسخة لدى الباحث.

(16) انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص: 306-307، مصدر سابق، والقصيدة من البحر الكامل، من خمسة عشر بيتا.



مَا جَلَّ حَطْبُ تَمَّ قَيْسَ بَعِيرِهِ إِلَّا وَهَوْنُهُ الْقِيَّاسُ لِرَاءِ

ثانيا: من شعر المدح:

1- قصيدته في العلامة الحبيب عمر بن أحمد بن سميط، بمناسبة زيارته لجزر القمر سنة 1965م، والتي يقول في أولها⁽¹⁷⁾:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ وَمَرْحَبًا يَا خَيْرَ بَدْرِضَاءَ فِينَا مُعْجَبًا
لَكَ مِنْ صَفَاءِ قَلُوبِنَا يَا مُرْتَضَى أَرْكَى تَحِيَّتِنَا أَبَانَا الْمُجْتَبَى

2- مدحه للسيد عبد الله بن أحمد الهدار بمناسبة زيارته لجزر القمر سنة 1972م، ومطلعه⁽¹⁸⁾:

أَيَا شَيْخَنَا الْمَحْبُوبِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا ابْنَ ابْنِ سَالِمٍ
أَيَا ضَيْفَ مَوْلَانَا الْحَبِيبِ إِمَامِنَا لَقَدْ فُزْتَ حَقًّا بِالْمُنَى خَيْرَ قَادِمٍ

3- قصيدته في تهنئة الشيخ حسن بن عمير الشيرازي - أحد رجالات الدعوة الإسلامية في شرق إفريقيا - بمناسبة زيارته لجزر القمر سنة 1966م، وأولها⁽¹⁹⁾:

بِزِيَارَةِ الْأُسْتَاذِ زَادِ حُبُورُنَا هَذَا الْمُصَلِّي كَالْمُجَلِّي سِرَّنَا
يَا شَيْخَنَا حَسَنَ الْمَحَامِدِ وَالثَّنَا شَرَّفَتْ صِدْقًا يَا لَيْبِبُ بِلَادِنَا

(17) القصيدة من البحر الكامل، مكونة من واحد وعشرين بيتا، ومنها نسخة لدى الباحث.
(18) انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص: 298، مصدر سابق، والأبيات من البحر الطويل، مكونة من سبعة أبيات.
(19) القصيدة تتكون من عشرة أبيات، من البحر الكامل، انظر: أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، مصدر سابق، ص: 296.



رابعاً: شعر المناسبات:

للشيخ قمر الدين قصيدة بمناسبة وصول الإنسان إلى سطح القمر لأول مرة ورجوعه سالماً سنة 1969م، ومنها قوله⁽²⁰⁾:

تَبَارَكَ الْخَالِقُ كُلَّ عَالَمٍ حَمْدًا لَمَنْ قَدْ كَرَّمَ ابْنَ آدَمَ
فَضْلُهُ فَنِعْمَ مَا قَدْ كَرَّمَ إِذْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
هذه نماذج لما وقفت عليه من شعره، ولعل باحثاً يتصدى له جمعاً
وتوثيقاً ودراسة في قادم الأيام.

المبحث الرابع: جهوده في تسمية الدوائر الحكومية باللغة العربية

كان للشيخ أحمد قمر الدين مكانة مرموقة عند القمريين، وخاصة عند كبار المسؤولين، مما أهله ليصل إلى رتبة مستشار للرئيس للشؤون الإسلامية في عهد الرئيسين: سيد محمد الشيخ، والأمير سيد إبراهيم⁽²¹⁾، وقد استغل نفوذه للدفاع عن الإسلام والهوية العربية لهذه الجزر، نلمس ذلك من خلال وضعه لأول عَمِّ للجزر مكون من هلال في وسطه أربعة نجوم، وباللون الأخضر، تأكيداً على إسلاميتها⁽²²⁾، وكذلك حرصه على تسمية المعالم الكبرى بأسماء تحمل طابعاً عربياً خالصاً، كتسميته للقصر الجمهوري بـ (بيت السلام)،

(20) القصيدة تتكون من اثنتي عشر بيتاً، ومنها نسخة لدى الباحث.

(21) انظر: مصطفى الزباخ، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، ص: 87، مصدر سابق.
(22) أشار الدكتور عبد الحكيم محمد شاكر- نقلاً عن جده الشيخ أحمد مفواهي - إلى أنه رمز بالأخضر إلى الإسلام، وبالهلال إلى الرسول ﷺ، وبالنجوم الأربعة إلى الخلفاء الراشدين الأربعة، وهذا خلاف لما ذهب إليه الدكتور مصطفى الزباخ وآخرون، إذ ذكروا أن الهلال رمز للإسلام، والنجوم رمز للجزر الأربعة. جاءت إشارته هذه ضمن مداخلة صوتية له في ندوة (الشيخ أحمد قمر الدين، حياته وآثاره)، المنعقدة في المركز الوطني للتوثيق والبحث العلمي، بتاريخ 2017/05/31م.



وبمبنى الهجرة والجوازات بـ (دار السعادة)، وإطلاقه على المستشفى الكبير في موروني (مستشفى المعروف)⁽²³⁾، وغيرها من المعالم الرئيسية في البلاد⁽²⁴⁾. ولا شك أن تسميته لهذه المعالم بهذه التسميات ذات المضامين السامية والدلالات المعبرة لدليل واضح على حرصه على أن تكون هذه الجزر عربية خالصة.

المبحث الخامس: جهوده في الحفاظ على الحرف العربي

اللغة القمرية فرع من اللغة السواحلية، وقد امتزجت بعدة لغات، كالعربية والفارسية وغيرهما، وظل القمريون يكتبونها بالحرف العربي⁽²⁵⁾ إلى أن جاء المحتل الفرنسي فغير كتابتها إلى الحرف اللاتيني، لكن هذا الإجراء لم يلق قبولا عند الكثيرين من أبناء جزر القمر الوطنيين، المتمسكين بتراث آبائهم وأجدادهم، الحريصين على حمايته من الضياع.

ومن أبرز هؤلاء الشيخ أحمد قمر الدين، الذي عارض هذا التوجه الفرنسي، فألف كتابه (القاعدة الأحمدية) محاولا فيه وضع قواعد للغة القمرية بالحرف العربي، ((شعورا منه بمخاطر اللغة الفرنسية الطاغية على المجتمع القمري في المجال الإداري والثقافي))⁽²⁶⁾، ولم يكتف بذلك بل دعا علماء جزر القمر سنة 1927م إلى أول اجتماع لهم في موروني لوضع آلية لتعزيز الثقافة

(23) المعروف لقب للشيخ محمد بن أحمد بن أبي بكر الشاذلي الشرطي، من كبار شيوخ الطريقة الشاذلية الشرطية في جزر القمر، توفي سنة 1304هـ - 1852م، ودفن في زاويته الكائنة في العاصمة موروني. انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص: 243-245، مصدر سابق.

(24) د. سيد أحمد محمد، ندوة (الشيخ أحمد قمر الدين، حياته وآثاره)، مرجع سابق.

(25) انظر: شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، بيروت، دار الفكر، 1394هـ- 1979م، ص: 146.

(26) مصطفى الزباخ، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، ص: 87، مصدر سابق.



الإسلامية واللغة العربية في جزر القمر، شارحا لهم فكرة كتابه السابق ذكره، وتمخض عن هذا الاجتماع تأسيس جمعية (إخوان الهدى) التي اختير رئيسا لها⁽²⁷⁾. ومن آثاره في هذا المجال - أيضًا - كتابته للشعر الذي ألفه باللغة القمرية بالحرف العربي⁽²⁸⁾. وكذلك من جهوده في الحفاظ على الحرف العربي إنشاؤه صحيفة (مواندو)، وهي دورية نصف سنوي، وكانت تعنى بالفكر والثقافة والأدب والتربية، وتصدر بالعربية والقمرية المكتوبة بالحرف العربي⁽²⁹⁾. وقد تعرض بسبب هذه المواقف للتعذيب من الفرنسيين، كما نفي إلى مدغشقر نتيجة لذلك⁽³⁰⁾.

الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي وفقني لكتابة هذه الأسطر عن حياة هذا العالم الجليل، والكشف عن جهوده في الحفاظ على عروبة جزر القمر، وفيما يلي أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج ومن توصيات: فمن أبرز النتائج ما يلي:

1- أن العربية صمدت في جزر القمر - رغم محاولات المحتلين للقضاء عليها - بسبب جهود نخبة من العلماء والقادة الذين دافعوا عنها وحموها من الضياع والاندثار.

2- أن الشيخ قمر الدين من أبرز المساهمين في استقلال جزر القمر،

(27) انظر: حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، ص:250، مصدر سابق.

(28) للباحث قصيدتان منه، مصورتان من مكتبة الأستاذ محمد معروف حاجي، أحد تلامذة الشيخ قمر الدين.

(29) للباحث نسخة من العدد الثالث، الصادر في رمضان 1382هـ، الموافق فبراير 1963م، مصورة من مكتبة الأستاذ محمد معروف حاجي.

(30) د. سيد أحمد محمد، ندوة (الشيخ أحمد قمر الدين، حياته وآثاره)، مرجع سابق.



جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر

والمدافعين على ثقافتها الإسلامية وهويتها العربية.

3- أنه كان عالما متعدد المواهب، مشاركاً في علوم مختلفة، ذا ثقافة واسعة، أهله لتولي مناصب كبيرة في الدولة.

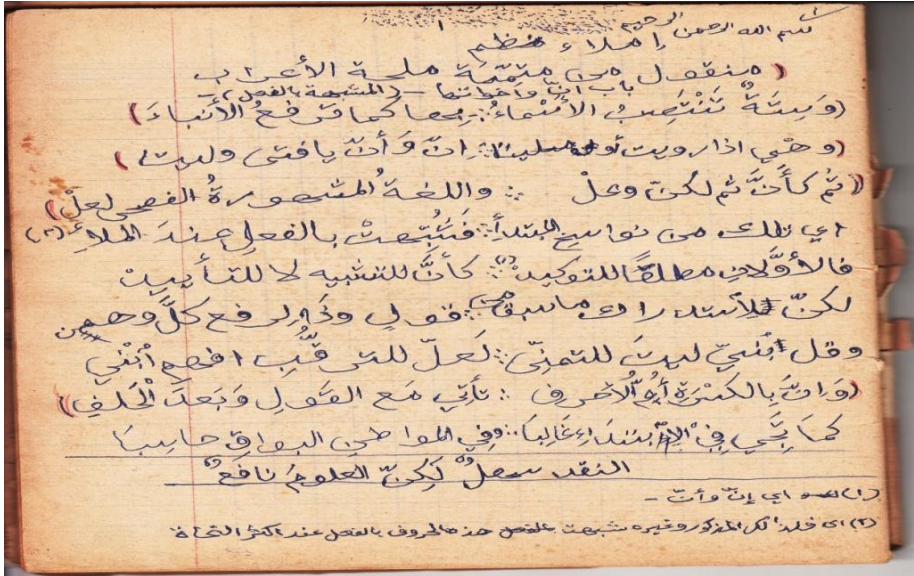
وفي الختام يوصي الباحث بما يلي:

4- ضرورة قيام الباحثين القمريين بالبحث عن جهود علمائهم في شتى المجالات؛ كي يستفيد منه الأجيال اللاحقة.

5- العناية بتراث الشيخ أحمد قمر الدين، وتحقيقها وطباعتها، كي يستفيد منها طلبة العلم.

الملاحق

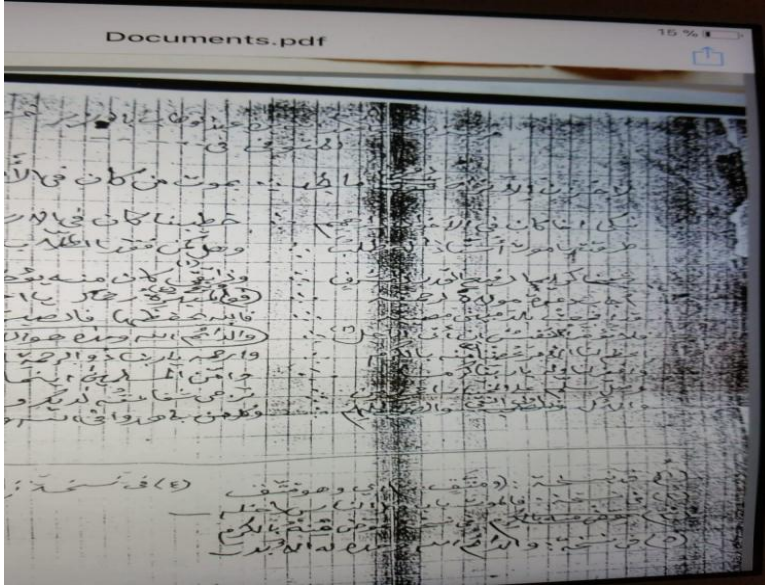
أولاً: الصفحة الأولى من كتابه (تممة ملحّة الإعراب) بخط القاضي سيد إسماعيل بن سيد حمد، من إملاء الشيخ قمر الدين:



ثانياً: قصيدته في رثاء الشيخ عبد الله الخطيب، المتوفى سنة 1966م:



جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر



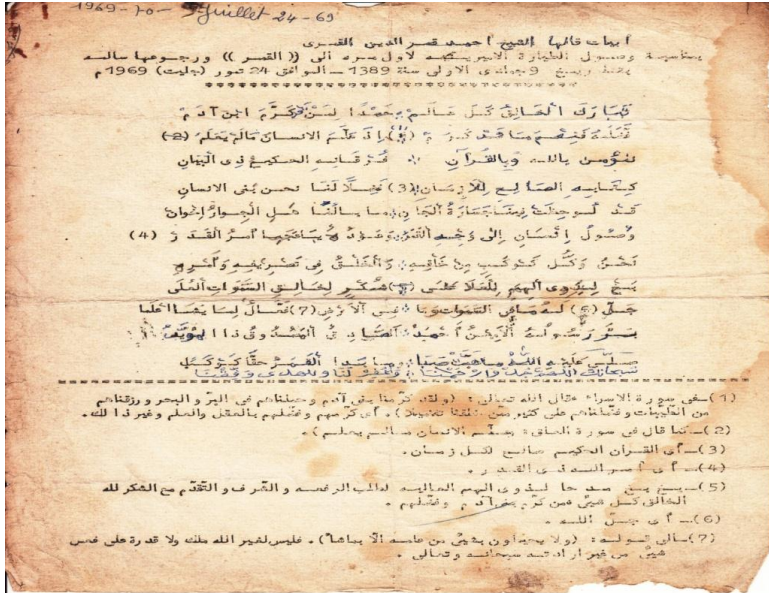
ثالثا: قصيدته في مدح السيد عمر بن أحمد بن سميظ بمناسبة زيارته لجزر القمر سنة 1965م:



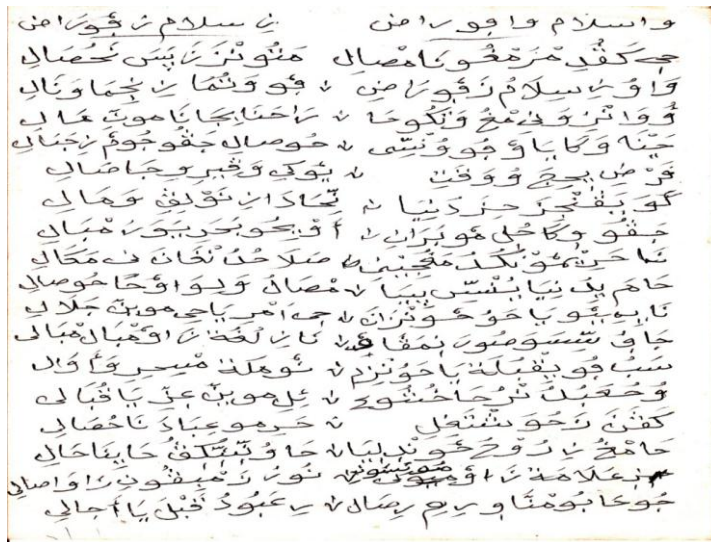


جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر

رابعاً: قصيدته بمناسبة وصول الطيار الأمريكي إلى القمر لأول مرّة سنة 1969م:



خامساً: نموذج من شعره باللغة القمرية مكتوب بالحرف العربي:

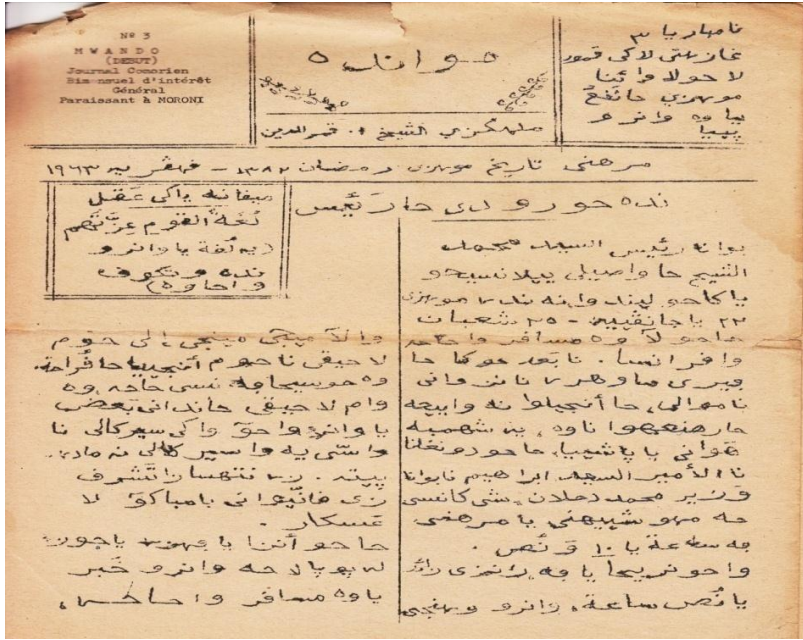




جهود الشيخ أحمد قمر الدين في الحفاظ على الهوية العربية في جزر القمر

سادسا: نموذج من جريدته (موانده) باللغة القمرية المكتوبة بالحرف

العربي:





قائمة المصادر والمراجع:

- 1- حامد كرهيل، أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، 2008م.
- 2- عيسى حامد محمود، جهود علماء جزر القمر في التفسير وعلوم القرآن، رسالة دكتوراه، عمان، الأردن، قسم أصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية، العام الجامعي 2013م.
- 3- شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، المجلد الثاني، الطبعة الرابعة، 1394هـ - 1979م.
- 4- مصطفى الزباخ، الحضارة الإسلامية في جزر القمر، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1415هـ - 1995م.
- 5- سيد إسماعيل بن سيد حمد، مقابلة أجراها الباحث مع فضيلته بتاريخ 2017/05/25م.
- 6- سيد أحمد محمد، (الشيخ أحمد قمر الدين، حياته وآثاره)، ندوة عقدت في المركز الوطني للتوثيق والبحث العلمي، بتاريخ 2017/05/31م.



الأثار الاقتصادية والبيئية والصحية لأشجار المسكيت بدلتا طوكر

- د. عبد الله محمد العوض
- د. ياسر عبد المحمود حامد التهامي
- د. كمال أبو القاسم عثمان مصطفى

مستخلص الدراسة :

انتشر المسكيت بكثافة بمشروع دلنا طوكر فاصبح من أكبر المهددات لكافة مشاريع التنمية بالمنطقة .

تهدف هذه الدراسة الي معرفة الأثار الاقتصادية والبيئية والصحية لانتشار أشجار المسكيت بالمنطقة، وتوضيح المساحات التي غطتها وأثرها علي الأراضي الزراعية ومعرفة طرق مكافحته بمنطقة الدراسة.

اتبع في هذه الدراسة المنهج التحليلي الاحصائي والتاريخي، وتم جمع المعلومات من خلال الاستبيانات والمقابلات والملاحظة والدراسات السابقة.

توصلت الدراسة إلي أن هنالك انتشاراً كثيفاً لأشجار المسكيت بالمنطقة بات يهدد كافة المشاريع التنموية بالمنطقة خاصة مشروع دلنا طوكر، ولعب الحيوان والإنسان والمناخ دوراً مهماً في انتشار المسكيت بالمنطقة، وتسببت أشجار المسكيت في تلوث التربة وتدني الإنتاجية وملوحة المياه إضافة إلي آثاره الصحية علي الإنسان والحيوان وان طرق مكافحته بدائية وغير فعالة بمنطقة الدراسة. توصي الدراسة بضرورة تضافر الجهود لمكافحته والاستفادة من تجارب الدول الأخرى واستخدام نظم حديثة لمكافحته ومعرفة اتجاهاته مثل نظم المعلومات الجغرافية GIS والاستشعار عن بعد Remote Sensing.



Abstract

The Mesquite tree (*Prosopis Juliflora*) has spread abundantly in Toker Delta project and become one of the most noticeable threat to the developmental projects in the area.

The study aims at identifying the environmental, economical and hygienic impacts in the area. It also aims at studying the area covered with mesquite trees and its impacts on the agricultural land, as well as introducing ways of eradicating it from the study area.

The study follows the analytical statistical and historical approach and the data have been gathered through questionnaires, interviews, observations and previous studies.

One of the most significant results of the study is that there is a wide spread of the mesquite trees in the area which became a threat to all the development projects in the area. Moreover, human, animals and climate have played a significant role in the spread of mesquite trees in the area. Furthermore, the spread of mesquite trees has caused soil contamination and the reduction of productivity in addition to water shortage and salinity beside its hygienic impact on human and animals as well as the fact that the methods of eliminating it from the area are traditional and ineffective. The study has recommended the need for exerting efforts for fighting it and utilizing of other countries' experiences as well as the application of modern means of eradicating it such as the Geographical Information System GIS and Remote Sensing techniques.



تمهيد :

تعتبر شجرة المسكيت من النباتات غير الأصلية في البيئة السودانية، فقد استجلبت بغرض إيقاف الزحف الصحراوي في جهات تعاني منه لما لشجرة المسكيت من صفات تجعلها تقاوم جفاف المنطقة الصحراوية . وكان سرعة انتشارها قد شجع مناطق أخرى علي زراعتها، وهنا ظهرت خطورتها خاصة في المناطق الزراعية حيث أنها تنمو وتنتشر علي حساب غيرها من النباتات فأضرت بالمحاصيل مما ترتب عليه خسائر اقتصادية في المناطق الزراعية ومنها دلتا طوكر .

تأتي هذه الدراسة ضمن ما يسمى بالجغرافيا الحيوية، و ستركز هذه الورقة البحثية علي تاريخ إدخالها إلي السودان بصورة عامة ومشروع دلتا طوكر بولاية البحر الأحمر بصفة خاصة، ومدي الآثار التي خلفتها للمنطقة سواء اقتصادية أو بيئية أو صحية، كما سنتطرق إلي الآثار التي تركتها هذه الشجرة في بلاد أخرى وكيفية تعامل هذه البلاد معها ثم الوسائل التي اتبعت لمكافحتها ومقارنتها بالوسائل المتبعة بمنطقة الدراسة .

مشكلة الدراسة :

انتشرت أشجار المسكيت بكثافة كبيرة في الكثير من أجزاء الولاية في السنوات الأخيرة خاصة بمشروع دلتا طوكر، فأصبحت من المهددات التي تواجه إنسان وحيوان المنطقة بالإضافة إلي المياه والأراضي الزراعية ويعطي هذا أهمية إلي ضرورة دراسة انتشارها بمنطقة الدراسة، ولتوضيح مشكلة الدراسة نسوق الأسئلة التالية :

1- هل أثرت شجرة المسكيت علي الأراضي الزراعية بمنطقة الدراسة؟



- 2- هل هنالك آثار بيئية لأشجار المسكيت بمنطقة الدراسة؟
- 3- هل تأثرت المناطق الصحراوية بإدخال شجرة المسكيت بمنطقة الدراسة؟
- 4- هل لشجرة المسكيت تأثير علي الصحة البشرية بمنطقة الدراسة؟
- 5- هل لشجرة المسكيت آثار اقتصادية بمنطقة الدراسة؟
- 6- كيف يمكن مكافحتها؟

فروض الدراسة :

- 1- لا توجد خرائط توضيحية للتوزيع الجغرافي لأشجار المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 2- انتشار أشجار المسكيت أدي إلي نقص في مساحات الأرض الزراعية بالمنطقة .
- 3- لأشجار المسكيت آثار بيئية وصحية بمنطقة الدراسة .
- 4- أشجار المسكيت ذات قيمة اقتصادية للسكان بمنطقة الدراسة .
- 5- لعب الحيوان والإنسان دوراً أساسياً في انتشار أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلي الآتي:

- 1- التعرف علي المساحات التي غطتها أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 2- معرفة الأثار الاقتصادية والبيئية والصحية لشجرة المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 3- تحديد فوائد ومضار أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 4- الوصول إلي أهم الطرق لمكافحتها بمنطقة الدراسة .



مناهج الدراسة:

1 - المنهج الاستقرائي :

وهو يعتمد على التحقق بالملاحظة المنظمة الخاضعة للتجريب والتحكم في المتغيرات المختلفة واتضح ذلك من خلال العمل الميداني الذي قام به الباحثون بمنطقة الدراسة .

2- المنهج الوصفي التحليلي :

هو طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية أو إنسانية، ويمكن تعريفه بأنه يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها كفييا أو كمييا. فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى. تم تطبيق هذا المنهج من خلال دراسة أشجار المسكيت من ناحية كيفية تأثيراتها البيئية والاقتصادية والصحية وأيضا مقدار ارتباطها بعدد من الظواهر بالمنطقة.

3- منهج المسح:

الذي يعتمد على جمع البيانات " ميدانيا " بوسائل متعددة وهو يتضمن الدراسة الكشفية والوصفية والتحليلية. ومن خلاله قام الباحثون بعمل ميداني بمنطقة الدراسة شملت المناطق التي تأثرت بانتشار أشجار المسكيت.



4- المنهج التاريخي:

هو يعتمد على الوثائق والآثار والمخلفات الحضارية المختلفة من اجل تتبع الظاهرة موضع الدراسة تاريخياً منذ بداية دخوله منطقة الدراسة .
أهمية الدراسة:

- 1- لا توجد خرائط توضيحية للتوزيع الجغرافي لأشجار المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 2- انتشار شجرة المسكيت علي نطاق واسع في المناطق التي أدخلت فيها والتي شملت المناطق الزراعية أو غيرها .
- 3- نسبة لما لهذه الشجرة من خصائص ميزتها خلفت آثار اقتصادية وبيئية وصحية كان لا بد من دراسة هذه الآثار والوقوف علي المدى الذي وصلت إليه هذه الآثار .

4- قلة الدراسات في هذا المجال بمنطقة الدراسة .

عينة الدراسة :

لعل من أهم المشاكل التي يواجهها الباحث هي اختيار العينة للبحث العلمي والبحث عن طريق العينة في الحقيقة هو اختصار للوقت والجهد والمال . وتمثلت عينة هذه الدراسة في عدد من المزارعين والرعاة والعاملين في مجال صناعة الفحم والتحطيب بدلتا طوكر، حيث قام الباحثون بتوزيع حوالي 100 استبانة بطريقة العينة العشوائية .

طرق جمع المعلومات :

أولاً: الاستبيان: هو احد وسائل البحث العلمي المستعملة على نطاق واسع من أجل الحصول على بيانات أو معلومات تتعلق بأحوال الناس أو ميولهم أو



اتجاهاتهم، وتأتي أهمية الاستبيان كأداة لجمع المعلومات بالرغم مما يتعرض له من انتقادات من انه اقتصادي في الجهد والوقت . واستخدم في هذه الدراسة لجمع البيانات الخاصة بالآثار الاقتصادية والبيئية والصحية لشجرة المسكيت بمنطقة الدراسة، حيث تم إعداد 50 استبانة وتوزيعها علي أفراد عينة الدراسة وهم المزارعون بمشروع دلتا طوكر .

ثانياً: المقابلة: هي استبيان شفوي يتم فيه التبادل اللفظي بين القائم بالمقابلة وبين فرد أو عدة أفراد للحصول على معلومات ترتبط بأراء أو اتجاهات أو مشاعر أو دوافع أو سلوك، وذلك بأخذ عينة من سكان المنطقة لتوضيح آثار شجرة المسكيت إيجابا وسلبا عليهم . وكذلك المقابلات مع المسؤولين بوزارة الزراعة بولاية البحر الأحمر والمزارعين بمشروع دلتا طوكر لتوضيح انتشار شجرة المسكيت وآثاره على المنطقة.

ثالثاً: الملاحظة: هي الملاحظة المنهجية المقصودة التي توجه الانتباه والحواس والعقل إلى طائفة خاصة من الظواهر والوقائع لإدراك ما بينها من علاقات وروابط وتمت ملاحظتها من خلال العمل الميداني بمنطقة الدراسة .

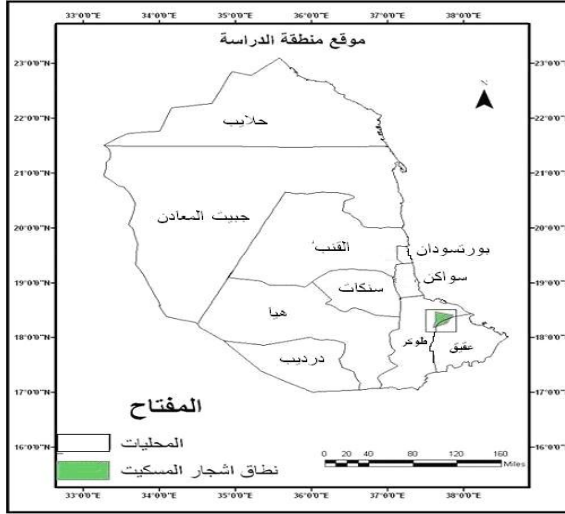
حدود الدراسة :

أولاً : الحدود المكانية : تتمثل في دلتا طوكر بولاية البحر الأحمر والتي تقع بين خطي طول 37- 30 و 37 - 52 شرقاً، ودائرتي عرض 18 - 15 و 18 - 30 شمالاً والخريطة أدناه توضح ذلك .

ثانياً : الحدود الزمنية: تتناول هذه الدراسة الفترة الزمنية من 1970 - 2020م.



الآثار الاقتصادية والبيئية والصحية لأشجار المسكيت بدلتا طوكر



المصدر : الباحثون 2020م

الإطار النظري للدراسة :

المسكيت أو الغاف هي شجرة متوسطة الحجم دائمة الخضرة تشتهر بأنها واحدة من أكثر الأشجار المحتملة للجفاف والأراضي القاحلة، كما أنها تتميز بقدرتها الهائلة على نشر جذوعها تحت الأرض حتى أن الجذور قد تنتشر إلى مسافة 500 متر سطحياً. الشجرة موطنها الأصلي بيرو وأميركا الجنوبية عموماً.

الشجرة تثمر قروناً صفراء غنية بالعناصر الغذائية التي تصلح كعلف للحيوان، وتنتج الشجرة الواحدة كمية تعادل 40 إلى 50% من حجمها عند الإثمار. كما أن ثمارها تصلح لتحضير دقيق حلو المذاق يستخدم لدى بعض السكان في أميركا الجنوبية لتحضير الطعام والمعجنات. وإذا تحدثنا عن انتشار هذه الشجرة بمنطقة الدراسة نجدها من الأنواع التي دخلت حديثاً للمنطقة



وليس من ضمن منظومة الأشجار الموجودة بمنطقة البحر الأحمر (عبد اللطيف -1996).

خصائص شجرة المسكيت :

تتبع هذه الشجرة العائلة البقولية، وتضم فصائلها 44 نوعاً، منها 14 نوع استخدم في عمليات التشجير، و6 أنواع تعتبر حشيشة ضارة، والمسكيت الموجود حالياً هو المسكيت الشيلي (*Prosopis chilensis*) ويشمل الشجرة دائمة الخضرة ذات الأوراق المركبة والسيقان المتفرعة، ويمكن للشجرة أن تنتج وتثمر مرتين في السنة، وقد تلاحظ أن إنتاج الهكتار حوالي 4 طن من الثمار تحت ظروف مطرية 250-500 ملليمتر، وفي منطقة الزيداب وصل إنتاجها إلي من 8 إلي 22 طن للهكتار، وهذه الثمار تمر بمعدة الحيوان دون الهضم الكامل، مما يجعلها جاهزة للإنبات (عبد اللطيف، 1996) .

والنباتات الغازية المتكاثرة كثيرة ومنتشرة بشكل سريع، وتغطي على غيرها من النباتات وتسيطر على مقومات الحياة، من أرض وضوء وماء وغذاء، وهي المقومات الرئيسية للإنبات، وهناك من النباتات الغازية النوع الذي يرسل سموما من جذورها أو مواداً طاردة للنباتات الأخرى فتقضي عليها. ليست هذه الخصائص والصفات وحدها التي تكسب النبات الغازي قدرته على المنافسة، فهناك صفات أخرى تجعله جديراً بطرد غيره ليعتلي بها مملكة النبات ويقضي على غيره، وقد تشارك بعض النباتات في بعض هذه الصفات، ولكن نبات المسكيت يفوق كل ما خلق الله من نبات آخر عرف في السودان، ومن صفات النباتات الغازية أنها ترضى بالقليل من المقومات الحيوية أو تستطيع أن تتم دورة نموها واستكمال تكاثرها، إذا تعرضت لنقص في هذه



المقومات، ولا يستطيع غيرها مواجهة ظروف مماثلة، فالمسكيت استعلى في المناطق شبه الصحراوية على مجتمعات السمر (*acacia torilia*) و *saportilis*) وعشائر الطنذب (*apparis decidua*) والمرخ (*leptadenia*) وهناك عشائر بعينها كعشائر العدليب (*suaedafruticoso*) في منطقة طوكر وأربعاء ومجتمعات الكرمت (*cadaba rotundifolia*) قد قضى عليها المسكيت تماما (بعشر، 1996، ص4) .

مسببات الحماية الذاتية لشجرة المسكيت : (المصدر السابق) .

- 1- لها حماية من رعي الحيوان لكل أجزائها الخضراء، من أوراق وأفرع وزهور وثمار غير ناضجة، في أي فترة من فترات نموها، وتصبح الثمرة بعد سقوطها فقط صالحة أو مستساغة للحيوان، وقد يتم رعيها من شجرتها بعد النضوج فقط، ولا يتسنى لشجرة أخرى مثل هذه الحماية .
- 2- لا يتم قطع الشجرة للتحطيب، أو لصناعة الفحم، إلا بعد أن تستكمل نموها، ويعطيها ذلك حماية كافية يتم فيها توزيع ثمارها وبذورها في مناطق شاسعة، ولا تجد شجرة أخرى مثل هذه الحماية وهذه الفرصة للانتشار، ويتم انتشارها بواسطة حيوانات الرعي.
- 3- يمتص المسكيت الرطوبة من دائرة واسعة، بإرسال جذور أفقية وأخرى عمودية لمسافات بعيدة تصل 60 مترا، وتستطيع إرسال جذورها في تربة طينية أو رملية واختراق شبكة مواسير المياه .
- 4- لم تعرف للمسكيت آفة، أو مرض يصيبه في ظروف السودان حتى الآن تحد من انتشاره .



5- لا تتأثر بذوره داخل بطن المجترات، بل يساعد تعاطيه للحيوان من سرعة إنباته .

6- تحمي نباتات المسكيت نفسها بإرسال جذورها بمعدلات طردية، بحثا وراء الماء ومتابعة للرطوبة تفوق كثيرا من النباتات الأخرى .

الأثار الصحية للمسكيت :

يرى بعض الأطباء بالمملكة العربية السعودية أن لأشجار المسكيت أثارا صحية علي الإنسان وذلك عندما ينثر كمية هائلة من حبوب اللقاح التي تسبب التحسس والأزمات الصدرية لدى عدد كبير من المواطنين ولذلك فقد تعرض لهجوم شديد من بعض الكتاب والأطباء الذين طالبوا بقلع أشجاره والقضاء عليه . وهو أمر صعب التنفيذ ويحتاج إلى وقت طويل فضلا عن تكلفته الاقتصادية العالية والخسارة الإحيائية المتوقعة من إزالة أشجاره المتأقلمة جيدا مع البيئة القاسية في المملكة.

تكررت الشكوى من أضرار هذه الشجرة الدخيلة على الصحة العامة وأمراض الحساسية التي تسببها حبوب اللقاح التي تطلقها الأزهار بوفرة شديدة، ولا تنفرد شجرة المسكيت بذلك لأن مسببات الحساسية والأزمات الربوية كثيرة منتشرة في هواء المدن نتيجة التقدم التقني والصناعي المعاصر، وقد تكون هذه المسببات غذاءً أو شراباً أو كساءً أو مبيداً حشرياً أو حتى رائحةً عطريةً عادية، تكون مقبولة لدى الكثيرين ولا تسبب لهم حساسية، هذا فضلا عن أن هناك نسبة كبيرة من النباتات والأشجار المحليّة التي تسبب حبوب لقاحها الحساسية لدى نسبة ملحوظة من المواطنين. وأهل القصيم كثيراً ما يجارون بالشكوى ضد الطلح الأمريكي» كما يسمون الشجرة هناك. وكيف أن هذه الشجرة أفلقت كثيرا



من الأسر بتكرار إصابات انتكاسات الجهاز التنفسي لدى كل الأعمار ويساندتهم الرأي الطبي الصريح الواضح بأن 67% من الذين يعانون من الحساسية أثارها فيهم هذا النبات خلال موسم إزهاره وإطلاق حبوب لقاحه التي يحملها الهواء إلى أنوفهم.

ويرى بعض العلماء أن القضاء عليها يعني خسارة اقتصادية وإحيائية محققة ويتنافى مع مقتضيات المحافظة وحماية البيئة. وربما يكون الحل في القيام بتهديب الشجرة وتنسيق شكلها العام بإزالة معظم الأغصان قبل موسم الإزهار عند بدايته وأثنائه وبنفس نسبة الإزالة يكون تخفيض نسبة إطلاق حبوب اللقاح في الهواء، فالمعروف أن كل الأغصان قديمها وحديثها يحمل أزهارا في موسم الإزهار. غير أن الأغصان الحديثة أوفر إزهاراً، فإذا قمنا بإزالة 50% من الأغصان نكون قد أوقفنا إنتاجية 50% من الأزهار وحبوب اللقاح، ولقد بدأ تشذيب الأشجار في الشوارع والتجربة تبشر بالنجاح. كما يمكن كحل بديل رش الأشجار في موسم الإزهار بمواد كيميائية مسقطة للأزهار قبل تفتحها وإطلاق حبوب اللقاح مما يحفظ على الأشجار أغصانها وظلها.

فوائد شجرة المسكيت : (دبلوب-1996-ص8) (بعشر-1996-ص11)

1- مقدرة الشجرة على الاستمرار تحت أي ظروف، فإنها تنمو طبيعياً وتستعيد الفاقد منها، إذا استخدمت في أغراض الفحم وحطب الوقود وغيرها من الاستخدامات المحلية.

2- تشكل حزاماً واقياً وتعمل على تثبيت الكتلان في مناطق التربات الخفيفة، كما هو الحال علي امتداد الساحل من بورتسودان إلى سواكن وطوكر .



3- تشكل مصدراً رئيسياً للسكان المحليين، حيث نجد اعتمادهم على تصدير الفحم إلى المدن في الولاية، بدلا من الدخل البسيط في الرعي المعتمد علي الأمطار غير الثابتة في كميتها .

4- استخدام المسكيت في صناعة الفحم النباتي، يساعد على عدم قطع الأشجار الأخرى، ويقلل من فاقد الأشجار والتي كانت المصدر الرئيسي للفحم في السابق، وعليه فإنها ساعدت على الحفاظ علي الغطاء النباتي، كما أن عملية استجلاب الفحم من كسلا والقضارف، قد أوقفت تماما، لأنه لم يعد ينافس فحم المسكيت .

5- ثمار المسكيت عالية القيمة الغذائية للحيوان، حيث تعتمد حيوانات مناطق الساحل في غذائها على ثمار المسكيت .

6- سرعة نموه وعدم احتياجه إلى عناية تذكر .

تجربة المسكيت في بعض دول المناطق الجافة :

أولاً: سلطنة عمان :

في سلطنة عمان، ومن خلال التجربة، لوحظ امتصاص شجرة المسكيت لكميات كبيرة من الماء، وخاصة من النباتات المجاورة لها عن طريق جذورها الممتدة، ومن خلال التصوير، لوحظ انتشارها على طول مجرى الأودية على هيئة غابات، وعلى امتداد الأراضي الزراعية والمنازل، ولوحظ اخضرار الشجرة بصورة واضحة مقارنة مع الأشجار المجاورة، كما أنها تنبعث منها روائح تسبب مشاكل في التنفس وأمراض الربو، وأكد المهندسون الزراعيون أن انتشار هذه الشجرة، يؤثر في النباتات الأخرى وفي نمو شجرة النخيل، كما يسبب نقصاً في مياه الآبار(جامعة الدول العربية، 2012م).



ثانياً : اليمن :

دخلت شجرة المسكيت اليمن في بداية القرن التاسع عشر، واستخدمت لتنشيط الرمال المتحركة وتأهيل الأجواء الصحراوية القاحلة وتلطيف مؤثراتها على الإنسان والحيوان والبيئة التحتية للتنمية، وتم ذلك بواسطة مركز أبحاث الكود بمحافظة أبين وفروعه في المحافظات الجنوبية والشرقية في اليمن، ثم انتشرت الشجرة على طول السواحل اليمنية دون استثناء، كما انتشرت في أراضي محافظة أبين الخصبة وحتى في الأراضي المالحة، وأصبحت تشكل تهديداً كبيراً للمحاصيل الزراعية والتربة، لكونها تمتص الماء من عمق يبلغ 12 متراً تحت الأرض وتستهلك بشراهة عناصر التربة وهي بكونها صاحبة الرقم القياسي في اختراق الجذور لباطن الأرض، فقد سجلت حالات نمت فيها الجذور لحوالي 53 متراً (170 قدماً) لذلك سببت العديد من المشاكل في المدن بمهاجمة جذورها لأنابيب المياه وأنابيب الصرف الصحي، ولتدميرها العديد من المزارع، وذلك لمنافستها غير المتكافئة مع المحاصيل الزراعية، فالشجرة بالإضافة إلى ضراوة جذورها، فإن بنية الساق ملتوية، تجعلها تحجب الشمس من المناطق التي تنتشر فوقها، مما يسبب صعوبات إضافية للأشجار والمحاصيل المتنافسة معها (وزارة الزراعة والري اليمنية، 2002م).

منافع الشجرة في اليمن :

للشجرة منافع اقتصادية متمثلة في منتجاتها، مثل الحطب والأخشاب والأعلاف المكونة من ثمارها ذات الكثافة الإنتاجية وتستخدم كشجرة ظليلة وفي تثبيت الرمال المتحركة، كما تستخدم مصدات للرياح لحماية المزروعات والحيوانات والمناطق المأهولة بالسكان من قسوة الرياح (مالك، 2004م).



وفي دراسة حديثة لمركز الأغذية وتقنيات ما بعد الحصاد باليمن، جاء فيها أن ثمار شجرة المسكيت تحتوي على العديد من المغذيات ذات القيمة الغذائية العالية من البروتينات والأحماض الأمينية مثل (المتيونيسين) و(التربتيوفان) و(السيتي) و(اللايسينين) وهذا بالرغم من العديد من المشاكل التي تسببها الشجرة، ومن فوائدها الغذائية كما أكد البحث الجديد الذي قام به الدكتور محمد صالح البصيري، أن ثمرة شجرة المسكيت التي يتم طحنها وتحويلها إلى مادة من الدقيق الخالص، يتوفر فيها ألياف غذائية بنسبة 26% والتي تدخل في المكونات الغذائية الأساسية للإنسان، والألياف غير قابلة للذوبان .

وثمار شجرة المسكيت تسهم بشكل واضح في عمل الأمعاء بطريقة وحركة طبيعية، كذلك فهي عامل مساعد في الوقاية من الإمساك، حيث تقوم بامتصاص الماء بها، وهذا يجعل الأمعاء تعمل بصورة طبيعية، وهي أيضاً تساهم في تنقية الجهاز الهضمي وتخليصه من السموم التي تسبب العديد من الأمراض كسرطان القولون، وأضافت الدراسة أن المادة المستخلصة من الثمار، قد تكون مسؤولة بشكل كبير عن تخفيض نسب ومستويات الكولسترول في الدم، وذلك بواسطة تخفيض الدهون، وبالتالي حماية القلب من العديد من الأمراض كما أنها تساعد علي التحكم في نسبة السكر، حيث تقوم بإبطال معدل الامتصاص للمواد السكرية بداخل الأمعاء، حيث يبطئ ذلك من دخول وتسرب السكر إلي الدم (مالك، 2004م).



الخلفية التاريخية لشجرة المسكيت بالسودان :

استجلب بواسطة خبير نباتات أسمه (ماسي) في العام 1917 من مصر وجنوب إفريقيا، ولم تجد الشجرة اهتماما يذكر في الفترة بين 1928 و1940 مثلما وجدت أشجار أخرى، زرع لأول مرة بمنطقة شمبات ثم مطار الخرطوم عام 1928 (الماحي-1996-ص1) أثبت نجاحا باهرا عندما أجريت عليه التجارب في مناطق الكثبان الرملية بمنطقة الخرطوم وقرب مطار الخرطوم، كذلك تمت زراعته بالولاية الشمالية في العام 1948 في منطقة كدكول (دفع الله، 1996، ص1).

في عام 1945 تم اختيار شجرة المسكيت (*Prosopis chillness*) لإنشاء أحزمة واقية حول المدن ومد الحيوانات بالعلف، ونشرت دعايات مكثفة لتشجيع المواطنين علي زراعتها وأجريت عليها تجارب لاستخدام ثمرها في إنتاج الدقيق لصنع البسكويت والكيك في فترة نشوب الحرب العالمية الثانية، وأطلق علي الشجرة اسم (تمر أبونا) نسبة لاهتمام قس كنيسة عطبرة بها، كما اهتم بها مدير السكة الحديد المستر هيلر في استخدامها في تثبيت الرمال الزاحفة علي خط السكة الحديد (بعشر-1996-ص2).

في فترة الستينات اتجهت زراعته للولايات الشرقية وكردفان ودار فور، وفي فترة السبعينات تمت زراعته بصورة مكثفة بواسطة مشروع الكنائس السوداني بالزيداب والعالياي وكلي وقندتو ومناطق أخرى بمديرية النيل آنذاك، كما تمت زراعته في المشروع السوداني الفنلندي بالنيل الأبيض في أوائل الثمانينات، وتمت زراعة أحزمة شجرية ناجحة جدا في مناطق النيل الأبيض، الشمالية وكردفان، خاصة شمال كرفان (دفع الله، 1996، ص1).



إدخال المسكيت إلى ولاية البحر الأحمر وآثاره :

أدخلت الشجرة في ستينات القرن الماضي، في موسم 1962-1963 بواسطة خبير غابات طوكر، وضمنت في برنامج إدارة الغابات في السبعينات ضمن برامج معالجة التدهور البيئي ومكافحة الجفاف والتصحر وتثبيت الكثبان الرملية، وذلك في شكل أحزمة حول مدن بور تسودان، طوكر وهيا (النذير، 1996، ص1). وتم توزيع الشتول من المشتل المركزي في بور تسودان للراغبين من الأفراد والهيئات، وتمت زراعته أيضا في المنطقة الجنوبية حول السد الحجري المحاذي لمدينة قرورة بغرض حماية المنطقة من زحف الرمال، ولم يتجاوز انتشار المسكيت (*Prosopis chilensis*) هذه المناطق . واختيرت منطقتا طوكر وهيا لتأثرهما بالرياح الموسمية طوال العام لنوعية التربة ذات النعومة العالية التي يسهل نقلها بواسطة الرياح، أسهم المسكيت في حماية الأرض من تكوّن الكثبان الرملية بالإضافة إلى مقاومته لكل الظروف البيئية بالمنطقة، كما شكلت ثماره أعلاف للحيوانات في فترات الجفاف (دبلوب، 1996، ص1).

لم ينتقل إلى أرجاء الولاية بالرياح أو المياه أو الحيوان لتباعد أطراف الولاية وامتدادها الكبير، فلم ينتشر مثلا في ريفي بور تسودان أو حلايب أو مناطق جنوب درديب، فهجرات الجماعات البدوية لا تصل إلى تلك المناطق، كما أن النبات وجد ظروفًا مواتية في الوديان والخيران لتوفر المياه فيها على عكس السهول والبوداي، ولذا فإن عملية انتشاره في مناطق غير الوديان نادرة الحدوث، والانتشار بصورة محدودة في السهول يرجع أصلا لتوزيع الشتول أو البذور بواسطة مواطنين في بداية البرنامج في السبعينات .



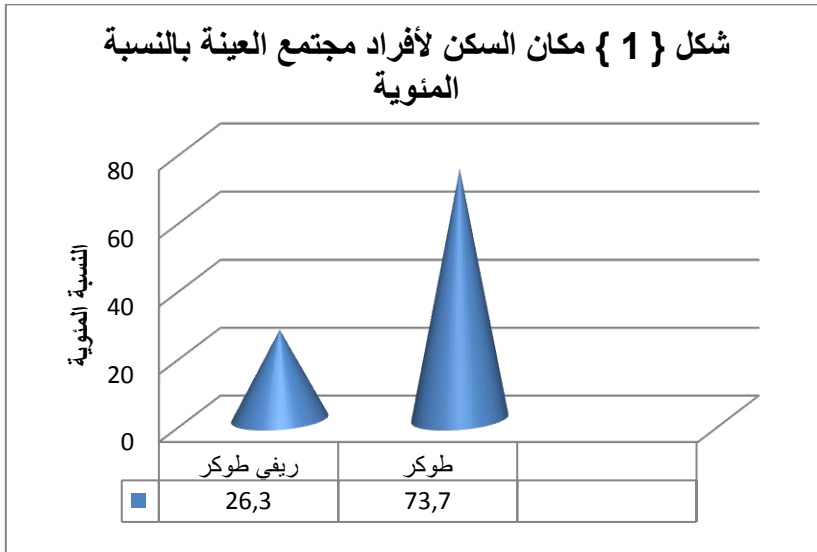
هكذا كانت بداية المسكيت في منطقتي دلتا طوكر و قرورة من خلال الرياح والمياه وانتشرت الشجرة وتوسّعت في انتشارها في هذه المناطق، وانتقلت إلى خارج هاتين المنطقتين بواسطة الحيوان إلى أعلى خور بركة والمنطقة الممتدة على الساحل مثل أربعاءت وهوشيري، وبنسبة أقل في منطقة سنكات وحول بور تسودان، ولعل عدم إمكانية ترحيل شتول إلى مناطق بعيدة مثل حلايب وريفي بور تسودان، جعل انتشارها في هذه المناطق محدوداً للغاية (دبلوب، 1996، ص5) .

يوجد المسكيت الآن في جميع محافظات الولاية، وبصورة كثيفة في محافظة طوكر، ويمكن ملاحظته على امتداد الساحل، وبكثافة أكثر في الخيران وعند المصب وفي جانبي الطريق من سواكن إلى بور تسودان وحول وداخل المدينة، ويمتد حتى دلتا أربعاءت وعلى الساحل حتى عروس .

في محافظة طوكر انتشر حول وداخل الدلتا، مما أثر كثيراً على فصائل نباتية مهمة في حياة المواطنين، هي الدوم (*Hyphaene thebaica*) والأناب (*Loranthus acacia*) وامتد على خور (لانقيب) وإلي (تركتيباي)، أما انتشاره على خور بركة فيقل تدريجياً إلى (هبكتة) حيث يسود الطرفة (*Tamarix nilotica*) والدوم، وامتد انتشار المسكيت بمحافظه طوكر على الساحل وبصورة كثيفة شرق قرورة (محمود، 1996، ص1)، لذلك كان اهتمام هذه الدراسة بمشروع دلتا طوكر نتيجة لانتشار أشجار المسكيت بكثافة، إضافة إلى ذلك فإن تربة هذا المشروع تعتبر من أخصب التربات بالسودان، كما يشمل مساحات شاسعة من أراضي زراعية ورعية .

انتشار المسكيت بمنطقة الدراسة :

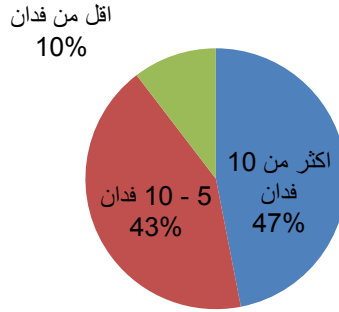
يعتبر مشروع دلتا طوكر من المناطق الزراعية المهمة في السودان حيث تربته الخصبة المتجددة سنويا نتيجة لفيضان خور بركة، ويشمل مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية تقدر بحوالي 406 ألف فدان داخل الدلتا، بالإضافة إلي الأراضي الزراعية خارج الدلتا، يضاً تنتشر بالمنطقة حرفة الرعي داخل وخارج الدلتا .



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م .

يعمل معظم سكان مدينة طوكر في الزراعة واتضح من خلال العمل الميداني أن 73,7% من أفراد عينة الدراسة من سكان المدينة و26,3% من مزارعي ريفى طوكر – الشكل (1) يوضح ذلك - ومعظمهم يمتلكون أراضي زراعية تقدر نسبتهم بحوالي 68,4 % حيث نجد أن هنالك تفاوتاً في امتلاك الأراضي الزراعية من فدان إلي أكثر من 10 أفدنة والشكل 2 يوضح ذلك .

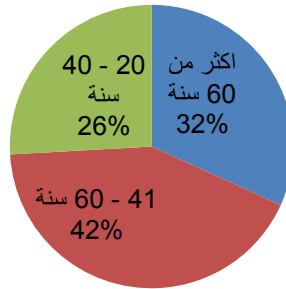
شكل { 2 } مساحة الارض الزراعية لمجتمع العينة



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م

اتضح من خلال الدراسة أن عينة الدراسة هم من المزارعين بمشروع دلتا طوكر، والذين تتراوح أعمارهم من 21 سنة فأكثر، فكان عدد كبير منهم من الفئة العمرية 41 – 60 سنة بنسبة 42،1% والجدول 3 يوضح ذلك .

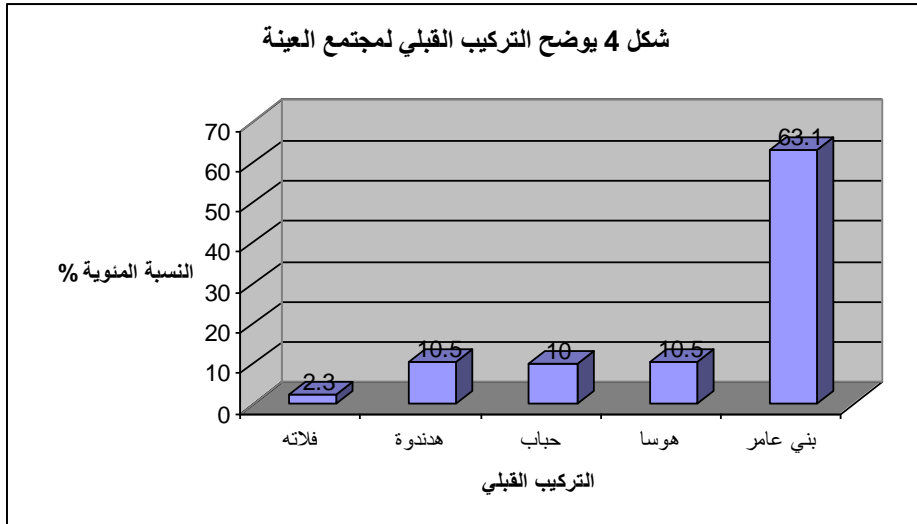
شكل { 3 } التركيب العمري لمجتمع العينة



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م

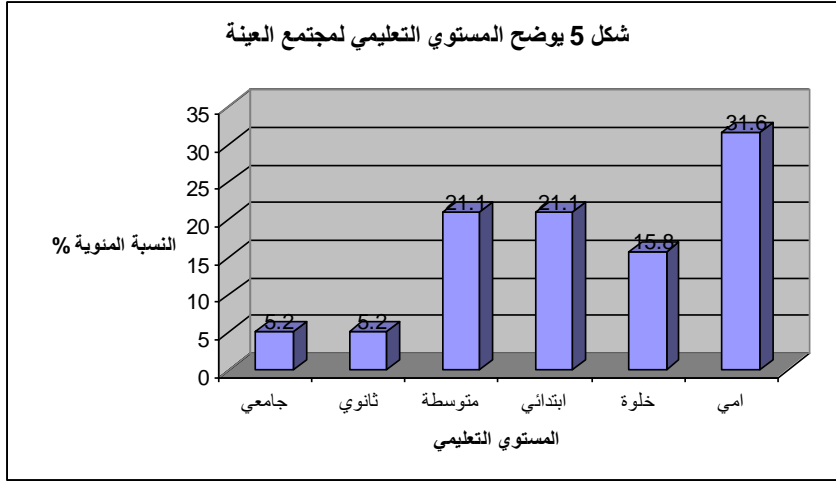


ينتمي معظم سكان منطقة الدراسة إلي قبيلة البني عامر، والتي تتركز في منطقة طوكر بنسبة 63،1%، بالإضافة إلي قبائل أخرى هم الحباب والهوسا والفلاته والهندوة ويمثلوا 36،9% والشكل 4 يوضح ذلك .

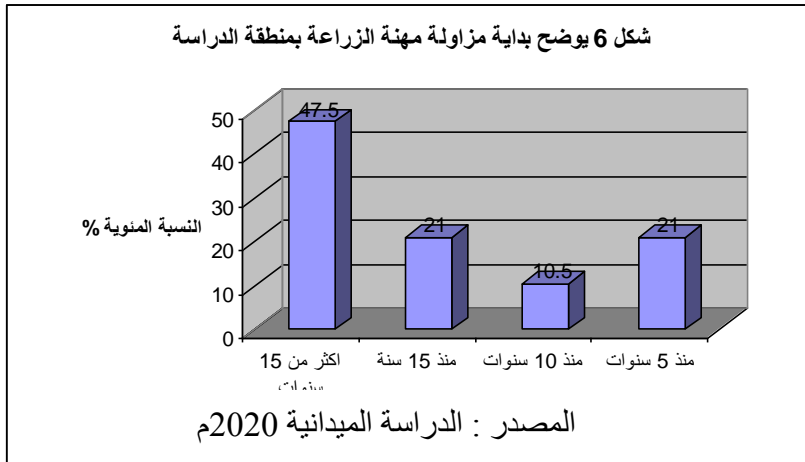


المصدر : الدراسة الميدانية 2020م .

أما المستوي التعليمي لأفراد عينة الدراسة فقد وضح من خلال العمل الميداني أن 31،6% من المبحوثين من الأميين، وأن 15،8% درسوا بالخلوة، 10.4 تعليمهم ثانوي وجامعي والشكل (5) يوضح ذلك . وبالتالي فان انخفاض المستوي التعليمي قد اثر سلبا في طريقة تعاملهم مع شجرة المسكيت لعدم معرفتهم بأضرارها والتعامل معها كتعاملهم مع نوعية أشجار الأخرى مما أدى لزيادة انتشارها بالمشروع .



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م
 فيما يتعلق بمعرفة هؤلاء المزارعين بشجرة المسكيت، ذكروا أنهم يعرفونها قبل وبعد عملهم بالزراعة . ويعمل هؤلاء المزارعون بالزراعة منذ فترة اقلها 5 أعوام إلي أكثر من 15 عام والجدول 5 يوضح ذلك، ويؤكد ذلك أنهم يعرفون هذه الشجرة ولكن كما ذكرنا نتيجة لضعف مستواهم التعليمي كانوا يجهلون مضارها.





صورة 1 توضح انتشار أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م

أسباب انتشار المسكيت بمنطقة الدراسة :

1. أسباب نوعية :

الملاءمة للبيئة وخصوبة التربة وتحمل النبات للملوحة والجذور العميقة (10 أمتار داخل التربة) والقدرة على النمو الخضري، وتحمل البذور للجفاف والمقدرة على سرعة الإنبات والانتشار، وصعوبة اجتثاثها إلا في مهدها، كما أن وجودها في الخيران يجعل المياه تحمل بذورها وتوزعها على امتداد الأرض.

2. أسباب بيئية :

توالي سنوات الجفاف وقلة الأمطار واعتماد الحيوان عليها كعلف، كذلك استخدام الشجرة مصدراً للطاقة لتقلص أنواع الأشجار الأخرى



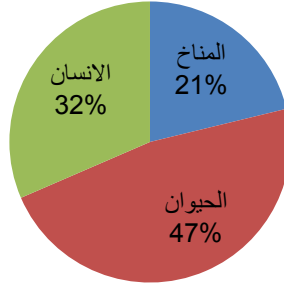
المستخدمة للطاقة، واستخدامها أشجاراً ظليلة في المناطق الخلوية وأشجاراً للتسوير في مزارع الجنائن، كما أن عدم اكتراث المزارعين بخطورتها، أدى إلى بقائها وزيادة توّسّعها بمرور الزمن، حيث أن حركة المزارعين بين منطقة وجود المسكيت حول طوكر وبين المناطق المروية داخل الدلتا في بداية الموسم، جعلت ثمار المسكيت تصل إلى كل مكان تصل إليه ماشيتهم عند حركتها داخل الدلتا، حيث أن الماشية تمكث ثلاثة أشهر بين أشجار المسكيت حول مدينة طوكر ويقدم لها أصحابها ثمار المسكيت علفاً حيث أن ثمار المسكيت تبقى صالحة للإنبات بعد خروجها من معدة الحيوان (النذير، 1996، ص2).

3. أسباب إدارية تخطيطية :

التوزيع الواسع للشتل دون ضوابط من خلال الإدارة المسؤولة والمنظمات وعدم إصدار التشريعات والأوامر اللازمة لحظر إدخالها في المناطق الزراعية مع ضعف مجهودات الإزالة لعدم توفر التمويل بالإضافة إلي السماح للحيوانات بالرعي في الدلتا (المصدر السابق) .

اتضح من الدراسة الميدانية ان انتشار المسكيت عزي لأسباب مختلفة، وارجع هؤلاء انتشاره الي الحيوان 47،4% ثم الإنسان 31،6% واخيراً الي المناخ 21% والشكل 7 يوضح ذلك .

شكل { 7 } سبب انتشار اشجار المسكيت بمنطقة
الدراسة



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م

آثار انتشار أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة :

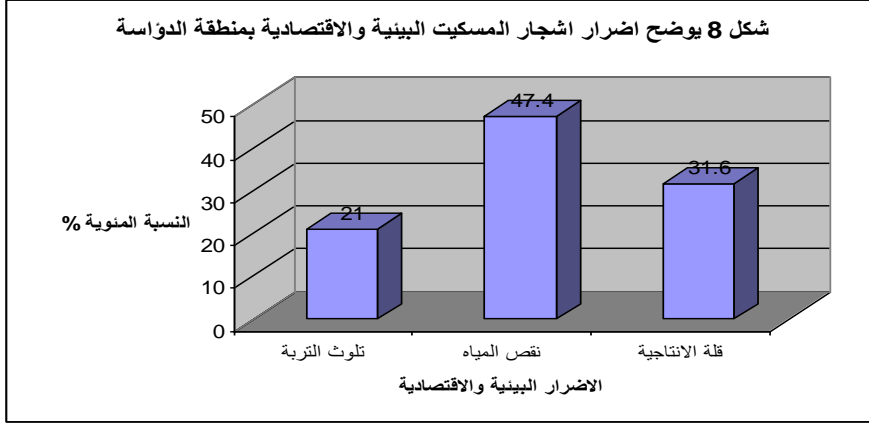
نتجت عن انتشار أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة عدد من الآثار، تم

تقسيمها الي ثلاثة انواع وهي :

أولاً : الآثار البيئية :

أدي انتشار أشجار المسكيت الي حدوث اضرار بيئية والتي اشار اليها جميع افراد عينة الدراسة حيث تمثلت في قلة الانتاجية وذكر ذلك 31,6%، ونقص المياه 47,4%، والشكل 8 يوضح ذلك، كما ادت أشجار المسكيت الي تلوث التربة وذكر ذلك 21% ويتضح من ذلك ان اكثر الاضرار التي تسببها أشجار المسكيت هي تأثيرها علي المياه سواء من ناحية الكمية او زيادة ملوحتها، ولذلك ذكر جميع افراد عينة الدراسة ان أشجار المسكيت ضارة 100% بهم ولذلك لجأوا الي مكافحتها ويستخدمون لذلك آلات بدائية مثل الفأس

حيث ذكر جميعهم انهم يكافحون بإزالتها عن طريق الفأس ولذلك تنمو أشجار المسكيت مرة أخرى.



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م

ثانياً : الآثار الاقتصادية:

ذكر 68،4 % من المبحوثين بمنطقة الدراسة ان المساحات المزروعة قد تغيرت وكان التغير سالب حيث تقلصت المساحات المزروعة وارجع 84،3% السبب إلى انتشار أشجار المسكيت برغم أنهم لا يقومون بزراعته، فأدى انخفاض المساحة المزروعة إلى انخفاض الانتاج الزراعي وبالتالي انخفاض الدخل بالنسبة للمزارعين وخاصة كما ذكرنا أن معظم سكان منطقة الدراسة هم مزارعون، إضافة لهذه الآثار السالبة هنالك آثار ايجابية تتمثل في أن عدداً من السكان يعتمدون عليه كمصدر للدخل بقطع الأشجار وبيعها أما حطب او فحم . معظم الأخشاب المعروضة للبيع سواء داخل مدينة أو في الطريق بين سواكن وطوكر من أشجار المسكيت، كما أن هنالك كميات كبيرة من الفحم يتم تصنيعها وبيعها في اسواق بورتسودان، وكذلك في مدينة أبو حمد



بولاية نهر النيل ويقوم بذلك بالإضافة إلى التجار، شركات تعمل في صناعة الفحم والصورة 2 توضح ذلك .

الصورة 2 كميات من الفحم المنتجة بمنطقة الدراسة

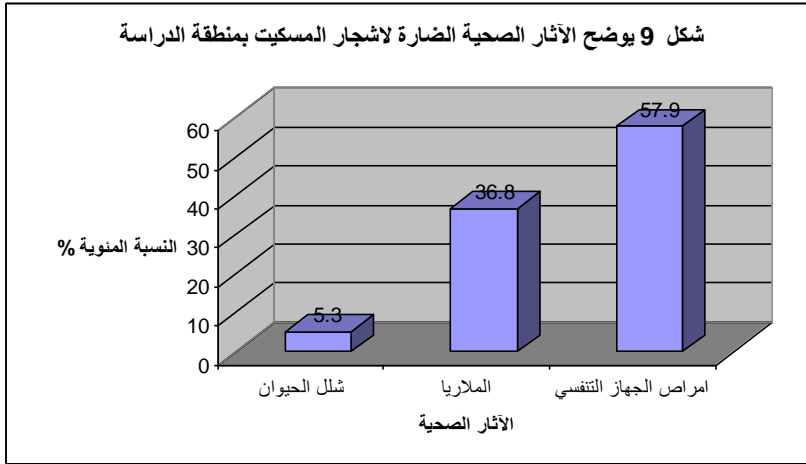


المصدر : الدراسة الميدانية 2020م

ثالثاً : الآثار الصحية :

من خلال الدراسة الميدانية ذكر أفراد عينة الدراسة أن أشجار المسكيت لها آثار صحية ضارة وليس هنالك آثار صحية نافعة وتتمثل آثاره الصحية في أنها تسبب مشاكل في التنفس والحساسية والربو وذكر ذلك 57,9% من افراد عينة الدراسة، أيضا من الامراض التي تسببها هذه الشجرة الملاريا حيث يتجمع الناموس بكثافة فيها مع ملاحظة انها منتشرة بين المساكن أو حول المدينة فتسبب ذلك بنقل الامراض لهم، بالإضافة الي اضرارها الصحية للإنسان فهي أيضا ضارة صحياً بالحيوان حيث تؤدي الي حدوث شلل للحيوان عند تناولها كغذاء عدا الإبل والشكل 9 يوضح ذلك. ونشير إلى أن

معظم الحيوانات الموجودة بمنطقة الدراسة تتمثل في الابقار والضان والماعز مما يؤكد خطورة أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة . وهكذا فان هذه الشجرة تعتبر ضارة سواء للإنسان او الحيوان وتقوم مضارها فوائدها ولذلك لابد من إزالتها.



المصدر : الدراسة الميدانية 2020م

طرق مكافحة المسكيت بمنطقة الدراسة :

نتيجة للأضرار الناتجة عن انتشار شجرة المسكيت بمشروع دلتا طوكر لجأ المزارعون الي مكافحتها ولكنهم يستخدمون طرق بدائية في ذلك يتمثل في ازلتها بالفأس وذكر جميع افراد عينة الدراسة انهم يكافحونها عن طريق هذه الآلة ولذلك تنمو مرة اخري، ومعروف ان مكافحتها بطريقة علمية وجذرية يحتاج الي اموال ضخمة لا يتمكن المزارع من القيام بها ولذلك يحتاج الي مساعدته في عملية مكافحتها سواء من قبل الدولة او المنظمات المهمة بذلك .



النتائج :

- 1- ينتشر المسكيت بكثافة كبيرة ويعتبر من اكبر المعوقات التي تهدد المشاريع التنموية بمنطقة الدراسة .
- 2- لا توجد خرائط توضح مدي انتشار أشجار المسكيت بدلتا طوكر . ومن هنا نؤكد تحقق الفرضية الأولى القائلة (لا توجد خرائط توضيحية للتوزيع الجغرافي لأشجار المسكيت بمنطقة الدراسة) .
- 3- انتشار أشجار المسكيت بكثافة ادي الي تقليص كمية المياه بالمنطقة مما يقلص المساحة المزروعة . وهنا تحقق الفرضية الثانية (انتشار أشجار المسكيت ادي الي نقص في مساحات الارض الزراعية بالمنطقة) .
- 4- لأشجار المسكيت آثار صحية ضارة بالإنسان مثل أمراض الجهاز التنفسي والحساسية والربو والملاريا بمنطقة الدراسة . وهنا تحقق الفرضية الثالثة (لأشجار المسكيت آثار صحية بمنطقة الدراسة) .
- 5- خصوبة التربة بالمنطقة وتحمل أشجار المسكيت لملوحة التربة ساهمت بشكل كبير في انتشارها الكثيف بالمنطقة .
- 6- لأشجار المسكيت آثار بيئية واقتصادية سالبة تتمثل في اجهاد وتلوث التربة وبالتالي انخفاض الانتاجية مما يؤثر سلبا علي مستوي الدخل للفرد بالمنطقة .
- 7- تعتبر أشجار المسكيت ذات قيمة اقتصادية باعتبارها مصدرا للدخل لكثير من السكان من خلال توفير فرص عمل كقطع الاخشاب وصناعة الفحم بمنطقة الدراسة وهنا تحقق الفرضية الرابعة (أشجار المسكيت ذات قيمة اقتصادية للسكان بمنطقة الدراسة) .



- 8- ساهم الحيوان والإنسان والمناخ في انتشار أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة. وهنا تحقق الفرضية الخامسة (لعب الحيوان والإنسان دوراً اساسياً في انتشار أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة).
- 9- انخفاض المستوي التعليمي اثر سلبا في طريقة تعامل السكان مع شجرة المسكيت بالمنطقة .
- 10- لأشجار المسكيت آثار صحية ضارة بالحيوان عند يتناولها كغذاء مما يصيبه بشلل الحيوان بمنطقة الدراسة .
- 11- انتشار أشجار المسكيت بكثافة حول وداخل الدلتا، أثر كثيراً على فصائل نباتية مهمة في حياة المواطنين مثل الدوم والأناب.
- 12- طرق مكافحة أشجار المسكيت بدائية وغير فعالة بمنطقة الدراسة .
- 13- ساهمت حركة الحيوان للرعي مساهمة كبيرة في انتشار أشجار المسكيت بالمنطقة .

التوصيات :

- 1- ضرورة تضافر الجهود الحكومية والدولية لمكافحة أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 2- ضرورة الاستفادة من التجارب الدولية والاقليمية لإيجاد وسائل فعالة لمكافحة أشجار المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 3- ضرورة وضع حل لحركة الحيوان بين المساحات الزراعية والرعية بتجميع الحيوانات في مناطق مخصصة لمنع انتشار أشجار المسكيت بالمنطقة .



- 4- ايجاد فرص عمل بديلة لبعض السكان المحليين لإقناعهم بضرورة مكافحة أشجار المسكيت بالمنطقة .
- 5- انشاء مركز علمي متخصص يضم ذوي الاختصاص لدراسته والاستفادة منه ووضع افضل الوسائل لمكافحته بالمنطقة .
- 6- ايجاد فصائل نباتية أخرى لوقف الزحف الصحراوي يمكن التحكم بها والسيطرة عليها بدلاً عن المسكيت بمنطقة الدراسة .
- 7- استخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS لدراسة وتحديد نطاقات أشجار المسكيت لتسهيل مكافحتها بالمنطقة .
- 8- نشر الوعي البيئي وسط السكان المحليين للمحافظة علي الموارد البيئية بمنطقة الدراسة .



قائمة المصادر والمراجع:

- 1- محمود، تاج السر (1996): (تجربة شعبية لإزالة شجرة المسكيت من دلتا طوكر)، ورقة لورشة عمل محاربة شجرة المسكيت، وزارة الزراعة، بورتسودان .
- 2- دبلوب، سيد أحمد محمد أحمد (1996): (وسائل التحكم في انتشار المسكيت)، ورقة لورشة عمل محاربة شجرة المسكيت، وزارة الزراعة، بورتسودان .
- 3- دفع الله، طلعت عبد الماجد (1996): (الطرق العلمية والتجريبية للتخلص من شجرة المسكيت)، ورقة لورشة عمل محاربة شجرة المسكيت، وزارة الزراعة، بورتسودان .
- 4- النذير، عبد الحليم (1996): أثار انتشار المسكيت علي الأراضي الزراعية بولاية البحر الأحمر)، ورقة لورشة عمل محاربة شجرة المسكيت، بورتسودان .
- 5- عبد اللطيف، عبد العظيم (1996): (ضرر المسكيت المباشر بالحيوان ومقاومته) ورقة لورشة عمل محاربة شجرة المسكيت، وزارة الزراعة، بورتسودان .
- 6- الماحي، عمر (1996): (تعريف وتصنيف تاريخ دخول شجرة المسكيت والمناطق المتأثرة بها بولاية البحر الاحمر)، ورقة لورشة عمل محاربة شجرة المسكيت، وزارة الزراعة، بورتسودان .
- 7- بعشر، مصطفى محمد (1996): (الأثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لاستضافة شجرة المسكيت والتخلص منها عن طريق إبادتها)، ورقة لورشة محاربة شجرة المسكيت، وزارة الزراعة، بورتسودان.
- 8- وزارة الزراعة والري (2002): التقرير الوطني لمكافحة التصحر في اليمن، صنعاء .
- 9- مالك، خالد بن عبد الله (2004): الشجرة الغازية نعمة ام نغمة، مجلة الجزيرة، العدد 69، سلطنة عمان، مسقط.
- 10- جامعة الدول العربية (2012م): المركز الوطني لدراسات المناطق الجافه والأراضي القاحلة، اشجار المسكيت في الوطن العربي، القاهرة .

المقابلات :

- 1-المسؤولين بوزارة الزراعة الولائية ببورتسودان .
- 2-المزارعين بمشروع دلتا طوكر .



صفحات مطوية من نضالات ومعاناة الحركة العمالية العربية ال فلسطينية أثناء الانتداب البريطاني (1917 - 1946)

أ. د فتحي حسن نصار ■
أكاديمية الدراسات العليا / مصراته ■

المقدمة

لعل ما كتب عن قضية فلسطين يفوق في حجمه وعدده ما كتب على أية دولة أخرى، ومن هذا المنطلق، يرى البعض ان القضية اشبعت بحثا في معظم جوانبها سواء، على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو وغير ذلك، غير أنني أود القول، أننا ما زلنا نحتاج الى المزيد، والسؤال لماذا؟

الجواب لأنها قضية حق، وهي قضية حية ومستمرة مع حركة التاريخ التي تؤكد أن ارادة الشعوب هي من ارادة الله وهي التي تنتصر في النهاية، من هنا تأتي أهمية الكتابة في أي موضوع عن القضية الفلسطينية لأن ذلك يؤكد على حيويتها وان النصر آت لا ريب فيه، وقد وقع اختياري لهذا الموضوع كون ان نضال الحركة العمالية العربية الفلسطينية ومعاناتها على المستويين النقابي والسياسي لم ينل الاهتمام الكافي، على الرغم من أن الفلاحين والعمال العرب الفلسطينيين هم الذين تحملوا العبء الاكبر في الدفاع عن فلسطين، التي وقعت بين مطرقة الاستعمار البريطاني وسندان الحركة الصهيونية المسنودة من كل قوى الشر في العالم، من هنا تكمن مشكلة البحث.



يمكن تلخيصها في عدد من الاسئلة كيما يلي :

1. ماذا فعلت حكومة الانتداب البريطاني داخل فلسطين لتنفيذ وعدها المشؤوم المسمى بوعد بلفور الصادر في 2 نوفمبر 1917 ؟
2. ما موقف اتحاد عمال اليهود (الهستدروت) من محاولة العمال العرب للدخول في المنظمة العمالية العبرية، الهستدروت ؟
3. ما الصعوبات التي واجهها العمال العرب في تكوين نقابة لهم ؟
4. ما أشكال النضال الذي خاضته الحركة العمالية ؟

الفرضية : إن فرضية البحث تمكن في الصعوبات التي واجهت الحركة العمالية، من الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية، ومع ذلك تمكن العمال العرب من تكوين اتحاد لهم، وخاضوا عدد من أشكال النضال والمشاركة في المؤتمرات الدولية لتوضيح وشرح الاخطار المحدقة بهم الا أن مؤامرات قوى الشر كانت أقوى من كل محاولاتهم في داخل فلسطين ومن القوى الدولية خارج فلسطين .

مناهج البحث:

اعتمد الباحث على عدد من المناهج التي تحقق أهداف البحث ومنها:

1. المنهج التاريخي الذي يتناول الدور التاريخي لنضال الحركة العربية الفلسطينية والصعوبات التي كانت تواجهها .



2. المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف العلاقة تحالف الحركة الصهيونية والاحتلال البريطاني والوقوف ضد الحركة العمالية العربية الصهيونية
حدود البحث:

1. الحد الزمني: يتمثل في فترة الاحتلال البريطاني على فلسطين، 1917 - 1946 .

2. الحد الجغرافي: يشمل فلسطين التاريخية .

3. الحد البشري: ويتمثل في عرب فبسطين والحركة الصهيونية والاحتلال البريطاني، وقوى الشر الأخرى المتحالفة مع الحركة الصهيونية .

4. الحد الموضوعي: يتمثل في كيف واجهت الحركة العربية العمالية الفلسطينية، الحركة الصهيونية والاحتلال البريطاني ؟

سبب اختيار عنوان البحث:

القاء الضوء على دور الحركة العمالية العربية الفلسطينية في النضال ضد الاحتلال البريطاني و الحركة الصهيونية

المفاهيم الاجرائية :

وردت بعض المفاهيم التي تحتاج الى تفسير وفق ما يقصده الباحث في

سياق بحثه وهي كالتالي



1. الهستدروت ،كلمة عبرية تعني الاتحاد العام للعمال اليهود في (اسرائيل)، وقد اتسمت بالشوفينية والعنصرية، لذلك نفر منها اليهود غير الصهاينة¹
2. معنى النقابة، هي بمثابة مدرسة للشغيلة، يجري فيها تعليمهم من خلال الممارسات اليومية للنقابات، فالحركة العمالية لا تظهر كطبقة الا ان تعي مصالحها الطبقية، وتناضل في سبيلها، لذلك اثرنا في كتابة عنوان البحث الحركة العمالية وليس الطبقة العمالية².
3. الشوفينية : هي كلمة عبرية وتعني التعصب العنصري للصهاينة بصفة عامة
4. الاضرابات، هي مدرسة ،يتعلم فيها العمال خوض غمار المعارك ضد أعدائهم الطبقيين، وهي احدى وسائل نضالات العمال³
5. التعاونيات، تعني توحيد الشغيلة (الفعلة)، في مؤسسات انتاجية أو استهلاكية أو تعاونية⁴.
6. الكيرين كايमित ،كلمة عبرية تعني صندوق المال اليهودي .
7. التشريعات، يقصد بها، سن قوانين لصالح العمال، كتعويضهم في حالة اصابتهم بأذى جسماني أثناء تأديتهم للعمل، بشرط ألا يكون ذلك بتقصير

1 - ليلي سليم القاضي، الهستدروت، مركز الابحاث، بيروت، شؤون فلسطينية ، مارس 1967، ص 131 .

2 -انظر، لينين، عن النقابات، تعريب، الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1963، ص 55 .

3- فتحي حسن نصار، تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1985، 151 . 3.

4 المرجع نفسه، ص 169 .



منهم وكذلك عند الوفاة بسبب حوادث العمل، فان عائلاتهم تعوض بمعدل
أجرة ثلاث سنوات، على ألا يزيد عن 350 ليرة فلسطينية⁵.

هيكلية البحث:

جرى تقسيم هذا البحث الى ثلاث مباحث كالآتي :

المبحث الاول كفاح الحركة العمالية النقابي .

المبحث الثاني : كفاح الحركة العمالية السياسي

المبحث الثالث : كفاح الحركة العمالية العربية فيما بين عامي 1939 –

1946 .

وسوف يتم مناقشة هذه المباحث كما يلي :

المبحث الاول: كفاح الحركة العمالية النقابي

يمكننا ارجاع أسباب ضعف التنظيم النقابي في فلسطين بعد تأسيس
جمعية العمال العربية في حيفا عام 1921 م، الى ضالة العمال العرب نسيباً، ثم
أن هؤلاء العمال لم يكن لديهم من الوعي الكافي بأهمية التنظيم النقابي، بسبب
تفشي وارتفاع نسبة الأمية بين صفوفهم كبقية البلدان العربية الاخرى آنذاك .
وقد تمثل النضال النقابي العربي في ما يلي

1-:- الاضرابات

ظلت الحركة العمالية أسيرة العجز خلال فترة عشرينيات القرن
الماضي، على الرغم من قيامها ببعض الاضرابات الاقتصادية، خلال أعوام

5 سعيد حماده، النظام الاقتصادي في فلسطين، الجامعة الامريكية، بيروت، 1939، ص
379 .



1924، 1927، واضراب 1929 وتركزت مطالب تلك الاضرابات في زيادة الاجور وتحديد ساعات العمل.

وكانت تلك الاضرابات، عفوية وتقتصر للتنظيم السليم، الا ان الأمر اختلف في ثلاثينيات القرن الماضي، وفيما بين عامي 1930-1935، حيث خاض العمال العرب، ستة واربعون اضرابا، شارك فيها نحو أربعة الاف عامل هذا ينسف مزاعم الحركة الصهيونية بعدم قدرة العمال العرب النضالية اذا ما قورنوا بالعمال الصهاينة المدعومين من القوات البريطانية الاستعمارية، وكان العمال العرب يضربون في كل عام بمناسبة وعد بلفور المشئوم، ومما يؤخذ على جمعية العمال العربية أنها كانت تقوم بدور الوسيط وأصحاب الأعمال، ولم تقر مبدأ الاضراب بذريعة أنه يلحق الضرر بالعمال وأصحاب العمل على حد سواء⁶.

2-التعاونيات

عرفت الحركة العربية العمالية، أول أشكال التنظيم التعاوني من خلال روابط أخوية بين العمال فقد كانت هذه اللجنة، قد تطورت بروح تعاونية، تحت اسم الجمعيات العمالية، عند اشتداد حدة البطالة وارتفاع الاسعار، ولم يكن لعرب فلسطين طوال عشرينات القرن الماضي جمعيات تعاونية ذات شأن يذكر، في حين كان لدى للحركة الصهيونية 249 جمعية تعاونية، ويرجع تأسيس أول جمعية عربية محضة الى العام 1931 باسم شركة تعاون عمال

6 - لجنة توثيق الحركة لعمالية (كلمة معروف حسونة



العرب الفلسطينين المحدودة الضمان، وبلغ رأس مالها ألف جنيه فلسطيني، كانت موزعة على ألف سهم⁷.

إن هذه الجمعيات قد حمت العمال من الاستدانة من السماسرة والمرابين بتسليفهم من المصرف الشعبي . وبهذا تكون تلك التعاونيات التي أسستها الجمعية، قد قدمت خدمات جلية للعمال العرب من خلال القروض وأعطت لهم سلفاً، وأوقفت استغلال الشركات واحتفظت بالعديد من الودائع⁸.

3-التشريعات

ظلت الحركة العمالية العربية الفلسطينية طيلة فترة الاحتلال البريطاني البغيض، دون أية تشريعات عمالية تذكر، مما حرّمها من كافة الضمانات الضرورية لحياتها، نتيجة لذلك وقع العامل العربي، فريسة لمزاج صاحب العمل، يحسم من أجرته كما يشاء ويطرده من العمل متى يريد دون تعويض وبلا أدنى حقوق ويتفنن في كيفية استغلاله، فلم يكن هناك قانون لحماية العامل العربي وكان يعاني من طول ساعات العمل وتدني الاجور، مما اسفر عن تدهور صحته وانعكس ذلك على كل أفراد اسرته .

وعلى الرغم من تواضع التشريعات الصادرة، فقد ظل أمر تنفيذها، يعتمد على حسن نوايا أصحاب الاعمال لعدم المتابعة من قبل السلطات البريطانية الحاكمة، ولم يكن هناك محاكم للفصل بين العمال وأصحاب العمل .

7 فتحي حسن نصاباً، مرجع سابق، ص 170 .

8 المرجع نفسه، ص 175.



المبحث الثاني : كفاح الحركة العمالية السياسي

لقد خاضت الحركة العمالية كفاحاً مزدوجاً تمثل في النضال ضد الحركة الصهيونية وضد الاحتلال البريطاني لفلسطين الداعم للصهاينة، وسوف نقوم بتناول ذلك كالتالي :

1- كفاح الحركة العمالية ضد الغزوة الصهيونية لفلسطين، وتتمثل فيما يلي

أ- الهجرة. ب- الاستيلاء على الأراضي. ج- العمل.

أ- الهجرة

فتحت السلطات البريطانية بعد احتلالها لفلسطين، كل المداخل وتشجيع الصهاينة للهجرة الى فلسطين، فتزايدت أعدادهم، مما شكل تحطيم كامل للاقتصاد الفلسطيني، وكان سبباً للنهوض الثوري، فعند نزول هؤلاء المهاجرين على سبيل المثال في مرفأ يافا، كانت ثورة يافا في 27 اكتوبر عام 1933 ضد الهجرة الصهيونية، وقدمت جماهير العمال والفلاحين بطولات نادرة وعمت تلك الثورة معظم مدن وقرى فلسطين، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل قاموا بتشكيل لجنة لحراسة السواحل والحدود كان ذلك في 14 يوليو 1934، ومارست تلك اللجنة عملها كما تنبغي أن يكون غير أن سلطات الاحتلال قامت بإصدار بلاغ حكومي حمل رقم 28 / 34، تضمن أنه لا يحق للأشخاص الغاديين والهيئات غير الرسمية أن تلقي القبض على المهاجرين غير الشرعيين⁹.

99 - انظر صحيفة الكرمل، عدد 21840، بتاريخ 23 أغسطس 1934، ص 2.



صفحات مطوية من نضالات ومعاناة الحركة العمالية العربية الفلسطينية أثناء الانتداب البريطاني (1917 - 1946)

واحتجت جمعية العمال العربية عام 1936 من خلال تقديم مذكرة قدمتها للسلطات البريطانية حول منح السلطات شهادات هجرة لليهود والتحيز الكامل للهستدروت، بمنحه المقاولات وكافة الامتيازات الاقتصادية .

ب-الأرض *10

فضل القوانين الصادرة من سلطات الاحتلال البريطاني، ارتفع عدد المساحات بحوزة الصهاينة، وتسربت الأراضي الزراعية، تسرب الماء من الكف، وارتفع عدد المستوطنات الصهيونية من 19 مستوطنة الى 203 مستوطنة، كل ذلك كان يتم برعاية السلطات الحكومية، فكانت ثورة فلسطين الكبرى (1936 - 1948) ولعل أهم أسبابها هو حرمان الفلاح العربي من أرضه، وتحوله الى مجرد عامل في المدينة، حيث عاش حياة التشرد والبطالة والكفاف.

ج- العمل

ركزت الحركة الصهيونية بشكل خاص على هجرة العمال الصهاينة المهرة لفلسطين والقادمين من الدول الأوروبية، الحاصلين على مؤهلات علمية، فشهد عام 1934 دخول 43359 يهودي الى فلسطين، منهم 35182 من العمال

10 ليس هدف هذا البحث تبع بيع الأراضي، فقد باع ما سموا بملك الغائبين وهم سكان بيروت ودمشق حوالي 90% من جملة الاراضي المباعة وهم ليسوا من فلسطين، أما الفلاح الفلسطيني فلم يقدر على البيع الا في أضيق الظروف، بالخصوص راجع كامل محمود خله، مرجع سابق ص ص 492- 494 .



المهرة¹¹، مما أدى الى تجمعات عمالية صهيونية كبيرة، عملت على تحويل الاقتصاد في فلسطين من اقتصاد زراعي عربي الى اقتصاد زراعي صهيوني، مما ألحق ضررا بالغا بالصناعات العربية القديمة والحرف اليدوية، مثل صناعة النسيج والمدابغ والاحذية وغيرها، والتي كانت معظمها في يد العمال العرب. والادهي من ذلك هؤلاء العمال الصهاينة أصبحوا أداة الاستعمار، صناعيا وزراعيًا من خلال اصرارهم على تطبيق مبدأ غزو العمل، بمعنى مقاطعة اليد العاملة العربية مقاطعة تامة¹²، كما أشرفت الهستدروت على تنفيذ مخطط تهويد العمل .

نتيجة لهذه الحركة الشوفينية تفشت البطالة عند العمال العرب، فكان السلاح هو الرد وخاض العمال العرب عدة اشتباكات ضد الصهاينة والسلطات البريطانية المساندة لها .

2- كفاح الحركة العربية العمالية ضد الاستعمار البريطاني

لم تكتمل الحركة العربية العمالية بكفاح اقتصادي تمثل بالمطالبة برفع الاجور وتحديد ساعات العمل وحسب وانما ساهمت في كافة المعارك الوطنية، ففي 21 فبراير 1922 ، عند صدور الكتاب الابيض، وهو من أخطر وثائق بريطانيا، بعد وعد بلفور، هبت جماهير العمال والفلاحين ضد السياسة البريطانية المنحازة بالكامل للصهاينة وأضربت جميع المدن الفلسطينية ضد

11 -رزاق ابراهيم حسن، العمل والعمال في الأرض المحتلة، مكتب العمل العربي، بغداد ،، 1979، ص12 .

12 -أميل توما، مرجع سابق، ص 68 .



صفحات مطوية من نضالات ومعاناة الحركة العمالية العربية الفلسطينية أثناء الانتداب البريطاني (1917 - 1946)

سلطات الانتداب، وأعلنت البلاد اضرابا شاملا كان العمال أول من قام بتطبيقه في بداية 1925، احتجاجا على وصول بلفور لفلسطين، وفي عام 1929، شكلت الركة العمالية، جمعية لحراسة المسجد الأقصى، وفي 23 أغسطس من نفس العام، عقب صلاة الجمعة نشبت عدة اشتباكات عنيفة، شارك فيها العمال والحرفيون الموجودين في مدينة القدس الى جانب العمال القرويون الذين تدفقوا الى المدينة حاملين السيوف والمسدسات والعصي واصطدموا برجال الشرطة البريطانية الذين أطلقوا نيرانهم على الجماهير العربية وانتشرت هذه الهبة (الثورة) في كافة مدن فلسطين في حيفا والخليل وعكا وصفد وجنين وغزة¹³. وغيرها حتى شملت معظم المدن الفلسطينية دور العمال في ثورة 1933 بعد أن تأكد لدى الجماهير الشعبية، ان مشروع انشاء الوطن اليهودي في فلسطين هو وليد السياسة الاستعمارية البريطانية، انطلق ألف عامل في مظاهرة يوم 13 اكتوبر 1933، في مدينة يافا لم يستطع البوليس البريطاني تفريقها، وتكرر ذلك يوم 27 من الشهر نفسه وتحول ذلك اليوم الى يوم الدم بسبب تزايد أعداد القتلى والجرحى في الجانب الفلسطيني .

وفي ليلة 2 نوفمبر عام 1935، ذكرى وعد بلفور قررت القيادة القسامية العمالية، (عمال وفلاحين)، تفجير الكفاح المسلح، الذي فتح صفحة جديدة، فقاتل القسام ورفاقه العمال قوات الاحتلال البريطاني في معركة مواجهة مع القوات البريطانية يوم 9 نوفمبر من العام ذاته، استشهد فيها القسام وعدد من رفاقه، واختفى الباقون، استعدادا لمواصلة ثورة فلسطين الكبرى من عام 1936

13 فتحي حسن نصار، مرجع سابق، ص 217 .



حتى 1939، طول ثورة في التاريخ الفلسطيني، قال عنها جورج اطنبوس، هي ثورة الفلاحين والعمال وليست من تدبير الزعماء¹⁴. ومع بداية الحرب العالمية الثانية، تحولت فلسطين الى قاعدة لجيوش الحلفاء، ودخلت الباد والحركة العمالية في طور جديد.

المبحث الثالث : كفاح الحركة العمالية العربية فيما بين عامي 1939 - 1946.

- 1- مؤتمر عموم المعسكرات العرب الأول أبريل 1943
 - 2- موقف الحركة العربية من الصراع العربي - صهيوني
 - 3- مساهمة الحركة العمالية في مؤتمري لندن وباريس العماليين الدوليين عام 1945.
 - 4- المؤتمر العام لجمعية العربية عام 1946.
- وسوف يتناول الباحث بالتفصيل هذه المحاور كالتالي:

1- مؤتمر العمال العرب الأول 4 أبريل 1943

لدعم المجهود الحربي، زادت سلطات الانتداب البريطاني من اقامة عدد كبير من معسكرات العمل الحربي في فلسطين، فعملت أعداد غفيرة من الفلاحين والعمال فيها، وبالتالي اشتد عود الحركة العمالية العربية وحركتها النقابية لاشتغال فيعا حتى بلغ أعدادهم عام 1943، 45 ألفا من العمال العرب في تلك المعسكرات.

14 - انظر لكتاب ه يقظة العرب، ترجمة، ناصر الدين الأسد واحسان عباس، بيروت، 1978، ص534.



وكانت مطالب المؤتمرين كما يلي

1. زيادة أجور العمال ومساواتهم بأجور العمال اليهود، وتأمين وسيلة نقلهم من منازلهم الى مواقع العمل .
2. أن تسن الحكومة قانونا للتعويض عند الاصابة .

ردود الفعل الصهيونية على مقررات المؤتمر

عقب اسبوع من انتهاء المؤتمر في 10 من الشهر ذاته، قدمت الهستدروت بعض المطالب العمالية للجيش البريطاني باسم جميع العمال عربا ويهودا بحجة المصلحة العامة، بمعنى انها مسؤولة عنهم جميعا، ولم تمضي سوى أيام قليلة حتى أعلنت عن فشل المفاوضات فقررت الاضراب في كافة المعسكرات، وطالبت العمال اليهود والعرب بالأضراب، غير ان العمال العرب قد عرفوا الخاة ولم يستجيبوا لما طالبت به الهستدروت .

وعلى العموم، كانت فترة النصف الأول من اربعينات القرن الماضي، شهدت نشا نقابيا ملحوظا تضمن ذات المطالب والمتمثلة في انخفاض الاجور وتحسين شروط العمل والاعتراف بالنقابات العربية والغاء التمييز في الاجور وتم فتح مكتب عمل للعمال العرب واستحداث تشريعات عمالية وجريدة عمالية عربية . غير هذه المكتسبات كانت تواجه صعوبات كثيرة وبعضها ظل مجرد حبر على وق وظلت السلطات البريطانية تتجاهل وجود نقابات العمال العربية عكس موقفها من الهستدروت.



2- موقف الحركة العربية من الصراع الأنجلو - صهيوني خلال عامي

1944-1945

كان موقف الحركة العمالية العربية تجاه هذا الصراع من خلال مواقف منظماتها النابية، والذي تمثل بشكل رئيس في في جمعية العمال العربية الفلسطينية التي ظلت حتى اخر لحظة، تمثل اكبر نقابي عمالي، ومثل الشق الاخر مؤتمر العمال العرب، وكانت جمعية العمال حريصة على صداقة بريطانيا ومحاولة اقامة علاقات مع حزب العمال البريطاني، وظلت مواقفها هامشية مؤمنة بطريقة الغزل مع بريطانيا دون الصدام معها. عكس الجناح اليساري ما الحركة الوطنية والمتمثلة في عصابة التحرر الوطني ومؤتمر عمال العرب ورابطة المثقفين العرب ومجموعة حمدي الحسيني، فقد كانت أكثر وضوحا، وقد اكدت أن تحريرها واستقلالها لن يتحقق الا من خلال أبناء شعبها بتعاون الشعوب العربية والاسلامية وأحرار العالم.

خاتمة

كان الانتداب البريطاني على فلسطين نكبة حقيقية وسببا رئيسا في العمل على تهويد البلاد، ففتح أبواب البلاد برا وجوا وبحرا والسماح لتدفق الهجرات اليهودية من كل بقاع العالم ومنحهم كافة الامتيازات الاقتصادية والامنية، فكانت الحركة العمالية العربية ليست محصلة ذاتها، تكونت نتيجة لتدهور أوضاع الفلاحين والبدو الذين تحولوا الى عمال مأجورين بأجور متدنية بلا رعاية صحية بلا تعويضات عند الاصابة با نقابات حقيقية بلا حقوق، عكس الهستدروت، التي كانت تتمتع بكل الامتيازات والرعاية من سلطات الانتداب .



صفحات مطوية من نضالات ومعاناة الحركة العمالية العربية
الفلسطينية أثناء الانتداب البريطاني (1917 - 1946)

وعلى الرغم من تلك الظروف البائسة تمكن العمال من الوقوف في وجه السلطات البريطانية وخاضوا عدة اضرابات ووقفوا ضد موجات الهجرة الصهيونية، وحققوا بنضالاتهم ودمائهم بعض المطالب غير أن المؤامرات الدولية كانت أكبر من قدراتهم، ن مكنت بريطانيا العصابات الصهيونية من توطيد نفوذهم داخل البلاد، انسحبت من فلسطين وحولت القضية للأمم المتحدة، فدخلت البلاد في مرحلة تاريخية لا زلنا نعيش ماسيها حتى اللحظة، وما زالت قوى الثورة الحية قادرة على انتزاع النصر وهوات لا ريب فيه انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا .



قائمة المراجع:

- 1 - ليلي سليم القاضي، الهستدروت، مركز الابحاث، بيروت، شؤون فلسطينية ، مارس 1967، ص 131 .
- 2 -انظر، لينين، عن النقابات، تعريب، الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1963، ص 55 .
- 3- فتحي حسن نصار، تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1985، 151 .
- 4-سعيد حماده، النظام الاقتصادي في فلسطين، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1939، ص 379
- 5 - لجنة توثيق الحركة لعمالية (كلمة معروف حسونة .
- 6-انظر صحيفة الكرمل، عدد 21840، بتاريخ 23 أغسطس 1934، ص 2
- 7- رزاق ابراهيم حسن، العمل والعمال في الأرض المحتلة، مكتب العمل العربي، بغداد ،، 1979، ص12 .
- 8- انظر لكتاب ه يقظة العرب، ترجمة، ناصر الدين الأسد واحسان عباس، بيروت، 1978، ص534 .



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899- 1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونمي)

أ.د أحمد عبد الدايم محمد حسين ■
جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية ■

المقدمة

من الأيسر أن نتناول منهجاً لمؤرخ ما بجملة دراساته وأعماله، إذا كان الهدف رصد اتجاهات التحول والتطور الذي حدث لذلك المنهج ومحاولة تقييمها. لكن من الأصعب أن نتناول منهجه في دراسة بعينها. والأكثر صعوبة أن تكون الدراسة الأولى له هي محل المقارنة، وبالتالي فإن طرح هذا الموضوع ليس سهلاً، خصوصاً وأن أحد طرفي المقارنة، يونان لبيب رزق، كان علماً مصرياً في مجاله، والآخر نيجيرياً هو ابن المدرسة الغربية. غير أن المقارنات المنهجية من ذلك النوع تثري العاملين وتقدم زوايا مختلفة لرؤيتهم لمسألة الحكم الثنائي للسودان في الفترة من 1899-1924. وخاصة وان الرجلين من المبرزين الأفريقيين في تخصصاتهم، وبالتالي اختلفت رؤيتهم التحليلية عن رؤى غيرهما من المؤرخين الغربيين لفترة الحكم الثنائي.

والدراسة تسعى لهدفين رئيسيين: أولهما، رصد اشكالية فترة الحكم الثنائي للسودان وخصوصاً في فترته الأولى، وإيمان الباحث بأن النقد العلمي هو أحد أساسيات البحث، وأنه يعد طريقاً للوصول للحقيقة، ووسيلةً للاحتكام إلى النصوص والأدلة قبل النظر إلى الأشخاص وتقديسها واعتقاد العصمة فيها، شريطة ممارسة هذا النقد في إطار من الضوابط العلمية. ثانيها، استفادة الباحث الشخصية من هذه الورقة، والتي لم تكن مقصورة على معرفة بدايات تشكيل الوعي الفكري لرمزين مهمين في تخصصهما فحسب، بل الاستفادة من



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونمي)

أهمية منهج المقارنة بين دراستين وطريقة تناولهما للحدث التاريخي الواحد أيضاً. وتحاول هذه الدراسة قراءة طبيعة الحكم الثنائي، المصري - البريطاني، للسودان في الفترة من 1899 إلى 1924 قراءة نقدية عبر تناول المنهج لدراستي كل من الدكتور يونان لبيب رزق والدكتور فابيونمي. وفي هذا الإطار تم تقسيم الورقة إلى ستة محاور رئيسية:-

أولاً- التعريف بالكاتبين ودراستهما حول الحكم الثنائي للسودان.

ثانياً- الإشكالية والمنهج لدراستهما.

ثالثاً- البنية والمحتوى.

رابعاً- المصادر المستخدمة.

خامساً- موقف الدراستين من بعض القضايا.

سادساً- بعض الملاحظات على الدراستين.

أولاً- التعريف بالكاتبين ودراستهما حول الحكم الثنائي للسودان:

لقد جاءت دراسة يونان لبيب رزق تحت عنوان " السودان في عهد الحكم الثنائي الاوّل 1899- 1924 " وهي عبارة عن 519 صفحة، مكتوبة باللغة العربية، نشرتها جامعة الدول العربية عام 1976. أما دراسة فابيونمي فقد جاءت تحت عنوان " السودان في العلاقات المصرية - البريطانية دراسة حالة في سياسات القوة 1800- 1956 " - The Sudan in Anglo - Egyptian Relation , A case Study in Power Politics 1800-1956, ، عبارة عن 486 صفحة، مكتوبة باللغة الانجليزية، نشرتها مؤسسة لونجمانز Longmans ، في لندن عام 1960 .

والدكتور يونان لبيب رزق هو أحد أعلام مؤرخي الجيل الثالث من المؤرخين المصريين الأكاديميين، وهو من الذين يحظون باحترام الجميع، ودراسته - موضوع المقارنة - هي في الأصل رسالته للدكتوراة. وحصل عليها بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب جامعة عين شمس، تحت إشراف العالم الجليل الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبدالكريم في يونيو 1967. وقد خرجت في شكل كتاب سنة 1976، أي بعد تسع سنوات من الحصول على درجة



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونمي)

الدكتوراه. وهذه الدراسة تمثل المرحلة الأولى في تشكيل يونان، وبالتالي فإن ماورد فيها من ملاحظات لا تشكل نقدا للرجل بقدر ما هي محاولة للتعرف على منهجه فيها وكيفية تشكيل وعيه التاريخي. أما فابيونمي فهو نيجيري الأصل ، ودراسته أيضاً هي في الاصل رسالته للدكتوراه ، وقد حصل عليها من كلية الاقتصاد (قسم العلاقات الدولية) من جامعة لندن ، تحت إشراف البروفسور ماننج Manning سنة 1958، أي قبل رسالة الدكتور يونان بتسع سنوات ، وخرجت في شكل كتاب سنة 1960.

وفابيونمي هو ابن المدرسة الغربية تعليماً وتفكيراً، إلا أن تقديمه لنفسه عن كونه ليس مصرياً ولا بريطانياً ، يوفر سوء الظن المبيت لدى أي مؤرخ عربي في أي مؤرخ عربي يتناول التاريخ العربي ، فإصرار فابيونمي على ذكر هويته الوطنية في مقدمته، بأنه نيجيري الأصل ، يشير إلى أن صاحب العمل ليس له مصلحة مع طرف دون آخر وعلى القارئ أن ينتبه لموضوعيته، بل أكثر من ذلك فهو يعترض على الكتابات الغربية لتاريخ العرب، لقلة معرفة مؤلفيها باللغة العربية، ويمتد اعتراضه على كتابة العرب لتاريخهم لقلة معرفتهم التاريخية، لهذا نراه يشير إلى أنه سيسخر عقله لفهم الأحداث السياسية وليس للسخرية أو الغضب منها، وأنه سيسعى لفهم المشاكل التي سجلها التاريخ، خصوصاً تلك المشاكل الخاصة بصراع المصالح ، لتفسير الحقائق ومحاولة العيش في توافق وانسجام، وانتهى إلى أنه لن يقدم الفتوى أو الحكم، بل يمكن – من خلال قراءته تجنب الإشارات الظاهرة لعدم التوافق والعيش في انسجام⁽¹⁾.

والناظر لكلا الدراستين يدرك أنهما لم يدرسا فترة زمنية واحدة ، وبالتالي من الصعوبة بمكان عقد مقارنة منهجية شاملة بينهما ، لذا فإن المقارنة ستكون محصورة عبر فصول معينة من دراسة فابيونمي ، تلك التي تناولت

(1) Fabunmi L.A.: - The Sudan in Anglo –Egyptian Relation ,A case Study in Power Politics 1800 -1956,Longmans. London,1960 ,PP .xv,xvi.



نفس الفترة الزمنية لدراسة الدكتور يونان ، وتتجنب التوسع للفترة ما بعد سنة
1924 .

ثانياً- الإشكالية والمنهج لدراستهما:-

في هذا المحور سنحاول الإجابة على أسئلة ثلاث: هل المؤلفان عنيا بإشكالية دراستيهما؟ ولماذا أخفق أحدهما في دعمها دون الآخر؟ وكيف أنجز كليهما عمله؟ من المؤكد أن دراسة يونان لبيب رزق قد جاءت استكمالاً لدراسته في الماجستير (حصل عليه سنة 1963) عن العلاقات الخارجية للدولة المهدية 1885 – 1899، وظهر هذا بوضوح في إشكالية دراسته. فقدم إشكالية دراسته للحكم الثنائي الأول باعتبار أن الدولة المهدية تعد انفصالاً ظاهرياً، مستشهداً بحملة النجومي على مصر سنة 1889 ومحاولة إقامة وحدة نيليه، على حين اعتبر أن الحكم الثنائي يعد اتصالاً ظاهرياً انتهى سنة 1924 وقد أتى على كل الخيوط (2). ومن ثم وجب علينا أن نتساءل بحسن نية أين هي الخيوط التي تتبعها يونان حتى يطرح إشكاليته تلك في شكل حكم؟ فدراسته لم تفصل لنا تلك الخيوط، لهذا نجد أن سياق النتائج يخالف الطرح والمقدمات. وبالرغم من أنه لم يشرح الأسباب الحقيقية لهذا الاتصال الظاهري عبر دراسته إلا أن سياقها وما تشير له المراجع التاريخية الأخرى لا تعبر عن أن هذا الاتصال كان ظاهرياً. بل إن الشواهد التاريخية لا تدل على أن المهدية - التي عادت بعد الحرب العالمية الأولى- كانت تحمل مشروعاً وحدوياً من قبل مثلما هو حالها من بعد، فهي قلب المشروع الانفصالي. وبالتالي كيف يكون الاتصال ظاهرياً في ظل تشجيع المصريين للحركة الوطنية السودانية رغم أنهم أحد طرفي الحكم الثنائي؟ ولماذا لم يركز على الانقسامات السودانية التي حدثت خلال تلك الفترة وتفضيل القسم الأكبر منهم لمصر؟ ولهذا فإننا نقدح ليس فقط في طرحه بل في تعليقه حول انتهاء كل الخيوط مع مصر بعد عام 1924 بقوله "بأن المسألة ليس علم يرفع أو معونة تدفع حيث لم يبق أي ظل واقعي لمصر"

(2) يونان لبيب رزق :- السودان في عهد الحكم الثنائي الاول 1899- 1924، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1976، ص 7



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

وهذا مخالف لما تقول به المصادر التاريخية، حيث ظل التواصل المصري مع السودان قائماً، ليس فقط في المعونة بل في بقاء الأقباط المصريين وفي تعيين الحاكم العام وفي المحاكم الشرعية وقاضى القضاة (ظل مصرياً حتى سنة 1947) وفي بقاء المنهج المصري في بعض أنواع التعليم⁽³⁾. وفي بقاء نسبة كبيرة من الموظفين، فكانت نسبة الموظفين المصريين سنة 1930 تقدر بـ 22% مقابل 20% من الموظفين البريطانيين⁽⁴⁾. ناهيك أن إشكاليته كانت تقتضى الحديث عن مصادر قوة مصر وبريطانيا، وهذا ما لم يفعله.

وفي تقديري أن الإشكالية التي طرحها يونان ناتجة عن الإشكالية التي حملها عنوان الدراسة نفسها. فالحكم الثنائي الأول لم يقل به أحد من الدارسين. فإضافة كلمة "الأول" تطرح أن يكون هناك حكم ثاني، وظهر هذا في عدم تحمسه فيما بعد للكتابة عن هذا الحكم الثاني، لأنه - في تقديري - كان سيقع في إشكالية أخرى وهي، من أي سنة سيبدأ هذا الحكم الثنائي الثاني، فلو ابتداءً بسنة 1936 على اعتبار أن المعاهدة هي التي أعادت مصر مرة ثانية إلى السودان، ففي هذه الحالة سيقع في خطأ تاريخي، ناهيك عن أن هذا الأمر لم يقل به أحد من المؤرخين من قبل أو من بعد. حتى استخدامه لمصطلح "الأول" في العنوان لم يستخدمه أحد من بعده، اللهم الا تلميذه يواقيم رزق مرقص⁽⁵⁾. مما يدل على أن الرجل كان مصرأً على استخدام مصطلح "الأول" عبر تلميذه، ونشك في أن الرجل قد استمر إيمانه بهذا المصطلح، لأنه لم يتشجع للكتابة فيما بعد عن الحكم الثاني أو يسرب الفكرة عبر تلاميذ آخرين.

(3) أحمد عبد الدايم محمد حسين :- مصر والإسلام في السودان (دراسة وثائقية للفترة من 1936 إلى 1956)، في المؤتمر الدولي : الإسلام في أفريقيا، الكتاب السابع، دار أفريقيا العالمية للطباعة، 2006، ص ص 279-283، وكذلك انظر، أحمد عبد الدايم محمد حسين :- التعليم المصري في السودان 1943-1952 " دراسة وثائقية"، عبادة كحيلية (محرر) :- مصر والوطن العربي تواصل ام انقطاع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2008، ص ص 151-153 .

(4) Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,P.195.

(5) يواقيم رزق مرقص رزق :- تطور نظام الإدارة في السودان في عهد الحكم الثنائي الاول: 1898- 1924، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 1981 .



ومع أننا نختلف مع إصرار يونان على إضافة مصطلح "الأول" للعنوان لاعتماده على أن شواهد الحكم قد انهارت سنة 1924 بخروج الجيش والمدرسين المصريين، إلا أننا نعتبر هذا الإصرار يدل على أن الرجل كانت لديه قدرة على التأويل منذ بداية تشكيله، وبالتالي فإن اختلافنا معه ينصب في حدود هذا التأويل ليس أكثر.

واشكالية الطرح، بأن الاتصال كان ظاهرياً، واشكالية استخدام مصطلح "الأول" خالفها كثير من الدراسات، فرسالة ابراهيم حسن شحاتة للدكتوراه - نوقشت في آخر الستينيات- ركزت على فترة محددة خلال ما يطلق عليه مصطلح "الأول" وهي الفترة من 1899 - 1914، وتعرض فيها لأثر السياسة الانجليزية في العلاقات المصرية السودانية (6). واتضح هذا بوضوح عبر الدراسات اللاحقة، فدراسة عبدالفتاح عبدالحميد منصور (7) تناولت الحكم الثنائي حتى سنة 1924 دون القول بالمصطلح. وكذلك سارت دراسة صلاح الدين حافظ في عدم استخدامها لمصطلح "الأول"، بل دلت على أن الاتصال لم يكن ظاهرياً (8). وكذلك الأمر فعلت دراسات كل من حلمي جرجس غبريال ♥ والسيد سمير عبدالمقصود ♥ و ابراهيم عكاشة على ♥ ومحمد عبدالفتاح ابراهيم ♥

(6) ابراهيم حسن شحاتة :- السياسة البريطانية في السودان واثرها على العلاقات المصرية السودانية 1899-1914، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1967 .

(7) عبدالفتاح عبدالحميد منصور:- العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899-1924، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993 .

(8) صلاح الدين حافظ متولى :- الجيش المصري في السودان من 1899 الى 1924، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1986 .

♥ حلمي جرجس غبريال :- موقف الإدارة في السودان من نمو الحركة الوطنية خلال الحربين العالميتين 1914-1947، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1976 .

♥ السيد سمير عبدالمقصود :- التعليم في عهد الحكم الثنائي في السودان في الفترة من 1899-1924، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، 1994 .

♥ ابراهيم عكاشة على :- حركة التبشير الديني في جنوب السودان 1899-1947، رسالة دكتوراه، 1978 .



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

ومحمد عبدالجواد ♥ فجميعها لم تتحسس لا للمصطلح ولا للإشكالية. هذا بالإضافة إلى أن الأمر لم يقتصر على الدراسات المصرية فقط، بل امتد للدراسات السودانية أيضاً. فدراسة التيجاني عامر ♥ وجعفر محمد دياب ♥ والريح محمد دياب ♥ خالفت اشكالية الطرح والمصطلح معاً، لهذا فإننا نخلص إلى أن كل الدراسات العربية عدا دراسة يواقيم رزق مرقص لم تستخدم مصطلح "الأول"، ومع اعترافها بضعف الدور المصري في الإدارة إلا أنها خالفت اشكالية يونان وقالت بأن الاتصال لم يكن ظاهرياً، وركز بعضها على فترة داخل الحكم الثنائي والبعض الآخر أخذ الحكم الثنائي حزمة واحدة. ونخلص في النهاية إلى أن يونان لم يكن موفقاً في اختياره لإشكاليته، فلم تُظهر دراسته بأن اشكاليته كانت هي الأطروحة المركزية بحيث أخفق في معالجتها، وربما يكون قد تبنى تلك الاشكالية فقط عند كتابته للمقدمة، أو ربما يكون قد شغل نفسه بالإعلان عن نفسه في بداية حياته بطرح تلك الاشكالية دون أن يشعرنا بها خلال متن الدراسة نفسها .

وفيما يتعلق بمنهج دراسة يونان فيمكن القول بأن الدراسة – كغيرها من الدراسات التاريخية في مقتبل العمر- كانت تعاني أزمة في المنهج، إلا أنه يمكن اعتبارها أنها تدور حول التاريخ السياسي والعسكري، بل إنه حينما استخدم التفسير المادي في تناول الفترة 1914-1918 لم يتضح أن هناك فكراً اقتصادياً لدى مصر وبريطانيا، بل بدا الأمر مجرد أحداث سياسية بكل ابعادها

- ♥ محمد عبدالفتاح ابراهيم :- سياسة تنظيم الإدارة والحكم في السودان 1899-1952، رسالة دبلوم غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1953 .
- ♥ محمد عبدالجواد :- التنظيم القضائي في السودان في عهد الحكم الثنائي وبعد الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب والاجهزة العلمية، 1969 .
- ♥ التيجاني عامر :- السودان تحت الحكم الثنائي 1898-1914، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 1979 .
- ♥ جعفر محمد دياب :- العلماء والسياسة البريطانية في السودان 1898 – 1924، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، 1987 .
- ♥ الريح محمد دياب :- الزراعة في السودان في فترة الحكم الثنائي 1899-1956 ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، 1987 .



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فاييونمي)

الاقتصادية والاجتماعية. ناهيك عن استخدامه للدراسة الطولية والعرضية بمعنى انه استخدم المنهج الزمني في تقسيم الابواب على حين استخدم منهج التقسيم الموضوعي عبر فصول الدراسة. وبرر ذلك بأن بعض الموضوعات انتهت قبل الحرب العالمية الاولى (مثل الحدود والرق والثورات المهدية ونظم الحكم) إلا أن بعضها - كنظم الحكم- قد استمرت كما هي بعد الحرب العالمية الاولى. ورغم أن موضوعه كان جديداً في التناول إلا أن تفسيراته كانت محدودة، فجاها بمعلومات كثيرة دون أن يهتم بتحليلها، فكثير من الموضوعات التي فتحها لم تأخذ حظها في التفسير، هذا بالإضافة إلى أن ثقته المفرطة في الوثائق والأسانيد قد أوقعته في عدة اخطاء تاريخية سيأتي الحديث عنها فيما بعد.

أما فيما يتعلق بإشكالية الدراسة عند فاييونمي فقد طرح على نفسه عدة اسئلة حاول أن يجيب عليها عبر دراسته منها، هل العلاقة بين مصر وبريطانيا هي صورة للعلاقة بين الشرق والغرب وبين القوة والضعف؟ وهل يمكن ان تشكل القوى الضعيفة مصدراً للقوة في العلاقات الدولية؟ وأين السودان خلال حقبة الصراع البريطاني - المصري؟ واستطاع خلال السياق العام لرسائلته الإجابة على تلك الاسئلة، خصوصاً تركيزه على الإشارات المدللة على عدم هامشية الدور المصري في ظل الحكم الثنائي، وأنها شكلت قوة فاعلة ومؤثرة على المسرح السياسي السوداني، تستوى في هذا مع انجلترا إن لم تتفوق عليها، ناهيك عن استعراضه للأسباب التي جعلت من بريطانيا هي القوى المهيمنة. وختلف مع فاييونمي في اختياره للمدة الزمنية فموضوع السودان في العلاقات المصرية البريطانية من 1800- 1956 يشير إلى طول الفترة الزمنية مقارنة بفترة الدكتور يونان، وهذا الأمر نظرياً، أما عملياً فإن دراسته تركز على فترة الحكم الثنائي من 1899- 1956.



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

ومن ناحية المنهج، فإن فايونمي استخدم إحدى مدارس المنهج التقليدي* في دراسة العلاقات الدولية، فقد استخدم منهج سياسيات القوة الذي يعتمد على أن القوة هي القاعدة القانونية حتى إذا كانت الصراعات يتم تغليفها باطار قانوني ومبررات اخلاقية. ورغم أن منهجه يتناسب مع المناهج السائدة في أواخر الخمسينيات، إلا أنه لا يمكننا الحكم عليه في ظل التطورات المنهجية التي حدثت في دراسة العلاقات الدولية الآن، فمنهج سياسيات القوة حينها كان منهجاً مستحدثاً.

وفى تقديري أن فايونمي سار على نهج الدراسات الاجنبية التي أخذت الحكم الثنائي كسلة واحدة، لأنها لم تعتبر خروج المصريين من السودان سنة 1924 قد غير من شكل الحكم الثنائي أو ألغى اتفاقيته التي تعد هي أساسا للحكم، أو أسقط العلم المصري الذي ظل يمثل رمزاً للسيادة المصرية على السودان وعلامة على استمرار اشتراكها في الحكم، لذا يمكن القول بأن هذا الخروج سنة 1924 كان خروجاً ظاهرياً. فدراسة بيتر وودورد⁽⁹⁾ Peter Woodward للسودان تخطت فترة الحكم الثنائي، على حين أشارت دراسة ديلي Daily بخطأ امكانية تسمية الحكم الثنائي " بالأول والثاني" فقد بدأ ديلي دراسته بسنة 1934⁽¹⁰⁾. وهذا يعد خلافاً صريحاً لما يمكن أن يطلق عليه البعض الحكم

* فمدرسة المنهج التقليدي لها مدارس عديدة اضافة لما استخدمه فايونمي من منهج سياسيات القوة، فهناك المنهج التاريخي يهتم بالتطور الدبلوماسي وتحري الاسباب وراء النجاح والاحفاق، وهناك المنهج القانوني يعتمد على أن الاعتبارات القانونية هي التي تحكم العلاقات الدولية، وهناك منهج المصالح القومية وهي أن المصلحة القومية هو هدف السياسة الخارجية. أما بالنسبة للمناهج المعاصرة في دراسة العلاقات الدولية فهناك نظرية المباريات وهي مستمدة من المنهج الإحصائي وان الدول عبارة عن لاعبين ملتزمين بقواعد تحكمهم، وهناك منهج تحليل النظم من خلال مدخلات ومخرجات كل دولة، وهناك مدرسة دور الفاعلين الدوليين أي هناك أطراف فاعلة غير الدول لذا تهتم بنطاق التفاعل والعمليات الدولية، هذا بالإضافة الى مدرسة ما بعد الحداثة والمدرسة السلوكية وغيرها.

(9) Peter Woodward:- Sudan ,1898-1989 ,The Unstable

(10) Daily M.W.:- Imperial Sudan ,The Anglo -Egyptian

Condominium 1934-1956 ,Cambridge University Press, 1991.



الثاني منذ سنة 1936 . ولم تكن ورقة ديلي فريدة في هذا الاتجاه فقد أكدت ورقة جيمس كوري (من 20 صفحة) عن التعليم من 1900- 1933⁽¹¹⁾ . باعتبار ان عام 1924 لم يكن العام الذي يمثل نهاية الحكم الثنائي الأول الذي أصر عليه الدكتور يونان. وكذلك دراسة ليليان ساندرسون (من 14 صفحة) عن التعليم في جنوب السودان خلال فترة الحكم الثنائي 1898- 1956⁽¹²⁾ . وأيضا ورقة جابرييل واربيرج (12 صفحة) وهي تتحدث الحكم الثنائي ككل⁽¹³⁾ . ومن الاجانب من سار على درب فابيونمي ، كدراسة ساندرسون للسودان الحديث على اعتبار أن دراسة الحداثة والتحديث في السودان تبدأ منذ ضم محمد على للسودان سنة 1820⁽¹⁴⁾ . ومن ثم نخلص إلى أن يونان كان متفرداً ليس فقط عن فابيونمي بل عن مجمل الدراسات العربية والأجنبية التي خالفته في القول بالمصطلح والاشكالية. أما اختيار فابيونمي لسنة 1800 كبداية للدراسة لم يقدم له ما يبرره ، وإن كان قد اعتمد في هذا على بداية علاقات الرحالة الاوربيين بالسودان ، وهذا الاختيار – في تقديري - لم يكن فيه موقفاً ، باعتبار أن السودان في تلك السنة لم يكن من الناحية الاستراتيجية بذات الحجم لبريطانيا في علاقاتها مع مصر وهو أيضا خارج النفوذ المصري. وفي تقديري

11) Currie , James :- The Educational Experiment in the Anglo – Egyptian Sudan , 1900-33,Patt11, Journal of the African Society, Vol.34,No.134,Jan.1935.

(12)Sanderson , Passmor,Lilian :- Education in the Southern Sudan : The Impact of Government –Missionary-Southern Sudanese Relationships Upon the Development of Education during the Condominium Period ,1898-1956 , African Affairs,Vol.79 ,No.315 ,April 1980.

(13)Warburg Gabriel R. :- The Condominium Revisited :The Anglo-Egyptian Sudan 1934 -1956 : A Review Article , Bulletin of the School of Oriental and African Studies , University of London , Vol.56 ,No.1,1993.

(14)Sanderson G.N. :-The Modern Sudan ,1820-1956 ,The Present Position Studies, The Journal of African History , ,Vol.4,No.3,1963.



أن هذا الاختيار يرجع إلى تأثيره بدراسة جون مارلو عن مصر وبريطانيا منذ سنة 1800 وحتى سنة 1953 وعنوانها باللغة الانجليزية -Marlowe John: Anglo-Egyptian Relations 1800-1953,London,1954. وبالتالي لم يتضح كيف لعب السودان دوراً في العلاقات المصرية البريطانية عبر تلك البداية. وفوق هذا فإن دراسته من بداية الفصل الثالث وحتى الفصل السادس عشر تتحدث عن الحكم الثنائي من بدايته 1899 وحتى استقلال السودان.

ثالثاً – البنية والمحتوى :-

ويبدو واضحاً في تقديري أن يونان اقتفى خطى فابيونمي إذ سار على نفس خطته البحثية من الناحية الشكلية، وربما يكون ذلك راجعاً لأن دراسة فابيونمي قد ظهرت سنة 1960، حيث تظهر استفادة يونان من بنية فابيونمي في تقسيمه الدراسة إلى أبواب ثم إلى فصول، واقتربا سوياً إلى حد التشابه في عدد الفصول. فإذا كان يونان قد قسم دراسته إلى أربعة أبواب فإن فابيونمي قد قسم دراسته إلى خمسة، لكن بلغت محصلة الفصول عند يونان 17 فصلاً بما فيها الفصل التمهيدي، على حين بلغت عند فابيونمي 18 فصلاً بالفصل بالتمهيدي. وإذا أضفنا خاتمة الدكتور يونان - كما فعل فابيونمي- لبلغت 18 فصلاً، ولو طرحنا الخاتمة من فابيونمي لصار عدد الفصول عنده 17 فصلاً مثلما هو الحال عند يونان.

وقد جاء الفصل التمهيدي (25 صفحة) عند يونان على طريقة الرافي (15). حيث تحدث تحت عنوان سقوط المهديّة على احتلال دنقلة انتهاء باحتلال الخرطوم، ورغم أن الرافي سماها حملة دنقلة إلا أن يونان سماها احتلالاً. وبالطبع نحن لا نشاركه في التسمية، بل نميل إلى ما ارتضته الدراسات السابقة - سواء العربية أو الانجليزية- إلى استخدام لفظ استرداد (16).

(15) عبد الرحمن الرافي :- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، دار المعارف، ط6، القاهرة، 1999، ص ص 333-337 .

(16) للمزيد انظر ؛ على محمد محمد بركات :- السياسة البريطانية واسترداد السودان 1889-1899، رسالة دبلوم غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1966، ، وكذلك انظر :



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة
منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونمي)

ويعيب هذا الفصل أنه لم يصبح تمهيداً لكل فصول الدراسة بل حدثت عملية ارتداد تاريخي في أكثر من فصل (فصل التعليم وفصل مكافحة الرق). أما الفصل التمهيدي عند فابيونمي (19 صفحة) فقد جاء على طريقة السير هارولد مكمايكل في فصوله الثلاث الأولى⁽¹⁷⁾. واعتبره فابيونمي بمثابة الفصل الأول في للدراسة، على حين اعتبره الدكتور يونان فصلاً مستقلاً.

وشرع الرجلان في تقسيم دراستيهما إلى أبواب، فالباب الأول عند يونان جاء تحت عنوان الحكم الثنائي (وهو 50 صفحة من ص 40 الى ص 90) ويضم فصلان، الأول عن الحكم الثنائي والثاني عن اتفاقية يناير 1899، وجاء الباب الثاني تحت عنوان السودان من 1899-1914 (ويشمل 254 صفحة من ص 91 الى ص 345) وهو أطول أبواب الرسالة، ويضم ثمانية فصول من الثالث إلى العاشر، وهذا ما أحدث خللاً في الدراسة مقارنة ببقية الأبواب ، فهو يقارب ثلثي الرسالة .

وجاء الباب الثالث عند يونان بعنوان الحكم الثنائي في السودان والحرب العالمية الأولى 1914 – 1918 ، وهو عبارة عن فصلين الحادي عشر والثاني عشر (بمجموع 47 صفحة من ص 347 الى ص 394) وهو أقل أبواب الدراسة عدداً . أما الباب الرابع والأخير فقد جاء تحت عنوان الحركة الوطنية في السودان ونهاية الحكم الثنائي الأول 1918-1924 (يضم 88 صفحة من ص 395 الى ص 493) يضم أربعة فصول من الثالث عشر إلى السادس عشر. ومن خلال التقسيم السابق نلاحظ أمرين مهمين : الأول ، أن الفترة ما قبل عام 1913 قد أخذت ثلثي الدراسة بحيث ضمت عشر فصول ، وقد يكون هذا الأمر انعكاساً للمصادر التي حصل عليها يونان بوجود مادة غزيرة في السودان تختص بهذه الفترة. الثاني، أن الموضوع كان كبيراً للغاية خصوصاً أنه يتناول السودان تحت الحكم الثنائي وبالتالي من الصعب حصره في دراسة

Hamilton ,J.De C.:- Anglo-Egyptian Sudan from
Within,London,1935 . .

(17) Sir Harold Macmichael:- The Anglo-Egyptian Sudan ,
London,1934,PP.11-50. .



واحدة، لهذا عجت الدراسة بالعناوين التي تصلح كل منها أن تكون موضوعاً
لدراسة مستقلة .

أما فايونمي فبعد فصله التمهيدي شرع في تقسيم دراسته إلى خمسة
أبواب ، أربعة منها تعد متناً للدراسة والباب الأخير للملخصات والنتائج. وجاء
الباب الأول عند فايونمي بعنوان الخلفية التاريخية لبواعث الصراع الإنجليزي
– المصري (وهو يضم 91 صفحة من ص 21-112) . وسيكون تركيزنا
على الفصلين الثالث والرابع باعتبارهما محوراً للمقارنة مع دراسة يونان،
حيث جاء الفصل الثالث بعنوان استرداد السودان واتفاقية الحكم الثنائي لسنة
1899، وجاء الفصل الرابع بعنوان بداية الضغوط المصرية وتصدى
البريطانيين لها، وهذا الفصل يمثل قمة التناقض بين وجهتي نظر الدكتور يونان
وفايونمي، الأولى التي تقول بالاتصال الظاهري والثانية التي تدلل على القوة
السياسية التي تملكها مصر رغم أنها الطرف الضعيف في الحكم الثنائي وكيف
أنها أصبحت تخيف بريطانيا. وهذا لا يمنع أن مقدمات الفصل الخامس وأجزاء
من الباب الثاني، خصوصاً الفصول من السادس إلى التاسع، وكذلك الفصل
الخامس عشر تدخل في المقارنة مع دراسة يونان .

أما الباب الثاني عند فايونمي (111 صفحة من ص 111 الى ص 222)
فيضم أربعة فصول وينقسم الى جزئين: الأول جاء بعنوان الدوافع الرئيسية
لأسباب التوتر البريطاني – المصري ويضم الفصلين السادس والسابع. والجزء
الثاني استكمل دوافع التوتر المصري – البريطاني ويضم الفصلين الثامن
والتاسع. أما الباب الثالث فقد جاء بعنوان الحرب وتطورات ما بعد الحرب في
الصراع (41 صفحة من ص 223 الى ص 264) وهو أقل أبواب الدراسة،
على حين جاء الباب الرابع بعنوان المرحلة النهائية للنزاع وعودة بزوغ
السودانية 1948-1956 ، ويضم خمسة فصول من الفصل الثاني عشر إلى
الفصل السادس عشر (بمجموع 116 صفحة من ص 265 الى ص 381)
وهو أكبر أبواب الدراسة .

أما الباب الخامس والأخير فقد جاء بعنوان الملخص والنتائج، وضم
الفصلين السابع عشر والثامن عشر (37 صفحة من ص 383 الى ص 420)



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونمي)

وهذا الباب يدل على مقدرة فائقة لدى فابيونمي في تلخيص وتمحيص أفكاره عبر الدراسة واختزالها. وما يميز دراسته هو عرضة لثمان ملاحق قبل المصادر والمراجع، على حين خلت دراسة يونان من أية ملاحق بما يشير إلى أن فابيونمي عرض رسالته للدكتوراه كاملة في الكتاب المنشور، على حين لم ينشر الدكتور يونان خاتمة رسالته أو أية ملاحق .

رابعاً - المصادر المستخدمة :-

تنوعت المصادر المستخدمة في كلا الدراستين ما بين وثائق غير منشورة ووثائق منشورة ومراجع عربية وانجليزية ودوريات، إلا أن أحدهما لم يعتمد على الرسائل العلمية مما يدل على ريادتهما في هذا المجال، وهناك مصادر مشتركة بين الرجلين لكن تم توظيفها حسب تخصص كل منهما وحسب اشكالية دراسته .

ففيما يتعلق بالمصادر المستخدمة عند يونان فنراه يعلن في مقدمة دراسته بأنه قضى في الخرطوم عاماً وتسعة أشهر (سبتمبر 1965 الى مايو 1967) وأنه اطلع على أغلب الوثائق السودانية التي تعالج تلك الفترة ناهيك عن معابشته للجو الذي جرت فيه الأحداث (18). وبالتالي شكلت الوثائق السودانية أهم المصادر التي اعتمد عليها، بل إن كثيراً من الباحثين يعترفون بأنهم استفادوا من تلك الوثائق التي أتاحتها لهم على ميكروفيلم في كلية البنات جامعة عين شمس (19). وهذا يدل على قيادة الرجل وفضله في خدمة الدراسات السودانية ليس في مجال الدراسة فقط بل في إتاحة الوثائق للباحثين. ومع أن بعضهم اعتمد على النص العربي لبعض تلك التقارير - خصوصاً تقارير المالية والحالة العمومية - التي اعتمد يونان عليها في نصها الإنجليزي للفترة من 1903 - 1913، فقد كانت تترجم بمطبعة المقطم في مصر فور انتهاء التقرير(20). وبالتالي ما الذي جعل يونان يحتفي بالتقارير الانجليزية

(18) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص 10 .

(19) حلمي جرجس غبريال :- المرجع السابق، ص 575-581 .

(20) انظر ملاحق رسالة صلاح الدين حافظ متولى :- المرجع السابق ، وكذلك مصادر ومراجع حلمي جرجس غبريال مقار :- المرجع السابق .



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

دون النظر في ترجمتها العربية؟ ربما كانت ظروف اقامته في السودان كعضو للبعثة التعليمية المصرية كمدرس بمدرسة الاقباط الثانوية بأمر درمان قد فرضت عليه هذا الاختيار (21)، دون أن تكون لديه فرصة لمطابقة النص الإنجليزي بالعربي أو الاستفادة من الترجمة بشكل أو بآخر، ومع ذلك تظل ريادته في الاعتماد على تلك المصادر لأول مرة في عمل أكاديمي. غير أننا نلاحظ أن هذا الاختيار قد أوقعه في أخطاء، بحيث جعله يثق ثقة مفرطة في تلك الوثائق، ناسياً المقولة الشهيرة " أننا نعتمد على الوثائق في كتابة التاريخ ولا نبحث عن التاريخ في الوثائق " بل إن الأخطاء التي وردت عنده في صفحات 32-35 وفي ص 86 وفي صفحتي 440 و 441 خير دليل على ذلك*.

وأهم المجموعات التي اعتمد عليها يونان هي تقارير المخابرات سواء القاهرية أو السودانية ووثائق دار المحفوظات البريطانية Public Record Office بالإضافة إلى الوثائق المنشورة كالتقارير السنوية للمديريات والحاكم العام وتقارير المالية والحالة العمومية ومجموعة محاضر مجلس شورى القوانين ما بين 1909-1912 ومحاضر مجلس النواب لسنة 1924 (22). وبتحليل تلك الوثائق المنشورة وغير المنشورة نجد إنها تركز على الفترة قبل سنة 1913، خاصة أن الإدارة البريطانية ظلت تقدم تلك التقارير للحكومة المصرية والبرلمان حتى تتم الموافقة على الميزانية. أما من ناحية المراجع والدوريات فقد اعتمد يونان على 46 مرجعاً أجنبياً و23 باللغة العربية و11 مقالة معظمها من The Journal of African History و The Journal of African Society.

ومن خلال توظيف يونان للوثائق داخل الفصول يمكن القول بأنه اعتمد على سرد الوثائق دون تحليلها، وبتحليل مصادره عبر الفصول يتضح أن الدراسة تعد وثائقية بالدرجة الأولى، وتبدأ كذلك من فصلها التمهيدي. ومع أن

(21) لطيفة محمد سالم :- دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، مهداة الى المؤرخ الكبير يونان لبيب رزق، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 21 .

* راجع النقطة الخاصة بالملاحظات على الدراستين فيما بعد

(22) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص ص 497-505 .



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة
منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

الفصل الأول اعتمد على بعض المراجع العربية والانجليزية كمحمد فؤاد شكرى ♥ ومكى شببكية ♥ وكرومر ومكمايكل إلا أنه لم يخلو من الاعتماد على بعض وثائق الخارجية البريطانية وكتاب الحكومة المصرية الأخضر الذى صدر من رئاسة مجلس الوزراء سنة 1953، على حين راح في الفصل الثاني يستشهد بعبده الله العريان ♥ وفايونمي وكرومر والكتاب الاخضر ومكى شببكية وبعض وثائق دار المحفوظات السودانية. أما فصول الباب الثاني فهي أكثر فصول الدراسة استخداماً للوثائق ، ففي الفصل الثالث والرابع كان يونان أكثر استخداماً لوثائق Central Records Office-Sudan والتقارير السنوية 1899-1910 Annual Reports وفى الفصل السادس اعتمد على محاضر مجلس شورى القوانين 1909-1911 والتقارير السنوية لمديريات أعالي النيل وبحر الغزال وفاشودة حتى سنة 1913، وأيضا على مكمايكل وليليان ساندرسون ♥. أما الفصل السابع فقد اعتمد في معظمه على مصادر مصرية خصوصاً التقارير السنوية الخاصة بمصلحة المالية ومحاضر مجلس شورى القوانين وجريدة اللواء . واعتمد في الفصل التاسع على التقارير السنوية الخاصة بمصلحة التعليم حتى سنة 1913، على حين اعتمد في الفصل العاشر على كتابي محمد فؤاد شكرى " مصر والسيادة على السودان، والخديو اسماعيل والرق في السودان " وعلى التقارير السنوية للمديريات. واعتقد أن هذا الاعتماد الكبير على الوثائق كان يحتاج إلى الاهتمام أكثر بتوظيف الهامش، فكثير من الإشارات في المتن كانت تحتاج إلى تعليق أو

♥ محمد فؤاد شكرى :- مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر 1820-1899، القاهرة، 1957 .

- ♥ Shibika Mikki :- British Policy in the Sudan 1882 -1902 ,London,1952.
- ♥ El-Erian Abdullah:- Condominium &Related Situation in International Law with special reference to the Dual Administration of the Sudan and the legal Problems Arising out of it , Cairo,1952.
- ♥ Sanderson,Lilian :- Education Development in the Southern Sudan 1900-1948,S.N.A.1962.



تفسير في الهامش، فعلى سبيل المثال وردت بعض الألفاظ في الوثائق كانت تفرض عليه التدخل ، واشهرها ما ورد ص 190 من تسمية الوثائق لثورة الملا المجنون "محمد عبدالله حسن " فكان ينبغي التعريف به وبدوره الوطني في الصومال ، والمجال لا يتسع لذكر المزيد.

أما الباب الثالث فقد اعتمد فيه على المراجع الأجنبية ووثائق المخابرات المركزية السودانية، على حين اعتمد في الباب الرابع على العديد من المراجع العربية والانجليزية ومناقشات مجلس العموم البريطاني ومحاضر مجلس النواب لسنة 1924 وبعض الجرائد السودانية. ونخلص في النهاية إلى أن استخدام يونان للمصادر السودانية كان يفوق استخدامه للمصادر المصرية والبريطانية، بل إنه لم يستخدم الوثائق المصرية المودعة بدار الوثائق اللهم إلا المنشور من محاضر مجلس شورى القوانين والنواب والكتاب الاخضر.

أما فابيونمي فقد قسم مصادره الرسمية والمعنية -عبر الفصول التي حددناها من قبل للمقارنة - إلى بريطانية ومصرية وسودانية ، وبالنسبة للبريطانية فقدم لنا إضافة مهمة لم تتوفر في دراسة يونان حيث استخدم وثائق وزارة الحرب والخارجية البريطانية والأوراق البرلمانية وكذلك التقارير الرسمية للوكلاء والقناصل العموميين وتقارير الإدارة المالية السودانية من 1883-1914، وكذلك سلسلة الاتفاقيات بعد سنة 1919، وأوراق المفاوضات مع الوفد المصري سنة 1922 وتقارير عن الفترة من 1914-1919 ومن 1920-1922، مما يعد إثراءً للمادة التاريخية . ومن ثم فإنه قدم لنا مصادر لم يطلع عليها يونان الذي لم تتح له فرصة السفر الى بريطانيا على حين تعلم فابيونمي ودرس هناك.

أما مصادره المصرية فقد اعتمد على الوثائق التي جمعتها وزارة الخارجية المصرية من مصادر وتقارير لدعم موقفها لعرض قضيتها على مجلس الأمن سنة 1947، وعلى تقارير مجلس الوزراء ووثائق عن السودان للفترة من 1899-1953 والتي جمعتها الجمعية المصرية للقانون الدولي في مارس 1953. ولا يعني هنا تلك المصادر التي ركزت على الفترة التي تلت سنة 1947. أما مصادره السودانية فقد اعتمد على تقارير الحاكم العام (1921-



1927) وتقارير اللجنة الاقتصادية المركزية -الخرطوم لسنة 1915-1916 وقوانين السودان لسنة 1918 و1922 وجرنال الغرفة التجارية بالخرطوم 1915-1917 و1919-1920 . وتلك المجموعات لم يطلع عليها الدكتور يونان رغم اقامته في السودان ، وهذا ما جعل كلا الدراستين تقدمان لنا رؤية مختلفة عن الأخرى بقدر ما يتيح لها من مصادر ومعلومات .هذا بالإضافة إلى اعتماد فابيونمي على عدد كبير من المراجع والدوريات سواء العربية أو الانجليزية ، فأشهر الجرائد التي اعتمد عليها التايمز ، واعتمد أيضاً على التسجيلات السنوية 1885,1899,1914,1921,1924 Annual Register وما أشرنا إليه من مصادر هي التي استخدمها فابيونمي في الفصلين الثالث والرابع والأجزاء التي أشرنا إليها - موضوع المقارنة مع يونان- ناهيك عن بعض المراجع لمكي شببكية عن السياسة البريطانية في السودان، ومكي عباس عن السودان المصري الإنجليزي، وكرومر عن مصر الحديثة، والموسوعة البريطانية لتعريف الشخصيات، وما كتبه عبدالمنعم عمر♥ والسيد صبري♥ وروز♥ وجون مارلو عن العلاقات المصرية البريطانية.

ولاشك أن وجود فابيونمي في بريطانيا قد أتاح له مادة وثائقية ومصادر مهمة، ناهيك عن زيارته لكل من مصر والسودان سنة 1956 لاستكمال مادته العلمية ، بل إنه حينما جاء الى مصر لم يدخر جهداً ، فقد تنقل بين القاهرة ومدن القناة وأسوان ، ثم ذهب للسودان وسمع من الأطراف التي شاركت في الأحداث مما جعل مادته المصدرية متميزة ، ولهذا قدمت دراسته الكثير مما كان مستغلقاً فهمه من قبل .

-
- ♥ The Ministry for foreign Affairs : The Sudan Question based on British Document and compiled by Abd El-Moniem Omar, Librarian, Egyptian National Library,Cairo,1952. .
 - ♥ Al-Sayd Sabry :- The 1899 Convention is Null and Void in Egyptian /Sudan , by The Press Section of The Egyptian Information Development ,Cairo ,1947.
 - ♥ Rose J.H. :- Cambridge History of The British Empire ,Vol.1,1929.



أما عن استخدام كلا الدراستين للعلوم المساعدة فلا شك أن دراسة فايونمي تميزت باستخدامها للعلوم المساعدة بصورة موسعة ، وقائمة المصادر في نهاية دراسته تدلل على ذلك . فقد اعتمد على المراجع الاقتصادية والجغرافية والرحلات والأدب والأثار ناهيك عن كتب الأجناس والإحصاء ، فضلا عن أن كلا الرجلين كانت لديه القدرة على تعلم لغة أخرى غير لغته الأم والاستفادة منها استفادة كبيرة ، بل لم يكتفيا بتحصيل المادة عبر الكتب والمراجع بل سافر كليهما للبلد المعنى بمحور الدراسة، لذا فإن كلا الرجلين قد جاءت رؤيته حسب ما أتيج له من مصادر ومعلومات مع اختلاف درجة الاستفادة كل منهما من هذه المصادر، فقد جاءت دراسة يونا لبيب سرداً تاريخياً ويمكن اعتبارها معلوماتية بالدرجة الأولى، على حين تميزت دراسة فايونمي بالتحليل والمقارنات والوصول إلى نتائج هامة.

خامساً - موقف الدراستين من بعض القضايا :-

لا يعنينا في هذه النقطة الحديث عن القضايا التي طرحتها إحدى الدراستين ولم ترد عند الأخرى، فمسألة التعليم كقضية هامة، ثم مسألة الحرب ومقاومة بريطانيا للدعاية التركية - الألمانية ركز عليهما يونا (الفصل التاسع والحادي عشر) إلا أن فايونمي لم يتعرض لهما. كذلك الأمر فإن تركيز فايونمي على أهمية قناة السويس (الفصل السابع) لم تلق اهتماماً من قبل يونا. ومن ثم فإن حديثنا سوف يتركز حول بعض القضايا التي كانت موضع اهتمام كلا الدراستين وأهمها :-

1- استعادة السودان ؛ فقد اعتبر يونا في فصله التمهيدي بأن استعادة دنقلة تعد احتلالاً وليس استرداداً ، كما قالت به غالبية المراجع التاريخية. أضف إلى ذلك أنه لم يورد الدوافع الخاصة بكل دولة (بريطانيا ومصر) لتلك الاستعادة ، فقد اعتبر أن المسألة برمتها كانت تنسيقاً إيطالياً - بريطانياً، ودلل على ذلك بعدم خطاب الخديوي للقوات المرسله إلى السودان، رغم اعترافه بأن الحكومة المصرية هي التي مولت عملية الاستعادة، وأن خطابها السياسي يدور حول الاستعادة وليس الاحتلال⁽²³⁾. وهذا الأمر يخالف ما أشار إليه فايونمي بأن

(23) يونا لبيب رزق :- المرجع السابق، ص ص 14-17 .



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونا لبيب رزق والنيجيري فابونمي)

استعادة السودان ترجع لعدة أسباب تتعلق ببريطانيا ومصر على السواء. فبالنسبة لبريطانيا كان أمر استعادة السودان قد جاء بسبب رد الفعل البريطاني تجاه مقتل غردون ، وفرصة بريطانيا بعد موت المهدي 1885، ثم اجتياح أفريقيا من قبل أوروبا بعد مؤتمر برلين، وبروز الولايات المتحدة ورغبتها في أن تجد لها مكاناً في العالم القديم وفي الأسواق خصوصاً مصر والسودان . وتجاهل يونا ما أشار إليه فابونمي من الدوافع المصرية في مياه النيل ومحاصرة المصريين في السودان وقتلهم على يد اتباع المهدي بحيث تلاقحت مصالح مصر وبريطانيا في وجوب الاستعادة (24). فمنذ تحذير صمويل بيكر للحكومة المصرية من خطورة احتلال أي دولة لأعالي النيل على مستقبل مصر، أشرفت المخابرات المصرية تحت إشراف ونجت رئيس المخابرات على إصدار ثلاث كتب خلال الفترة من 1891 - 1896 تدلل على اهتمام الحكومة المصرية باستعادة السودان (25). مما يدل على أن عملية الاستعادة كانت عملية مخططة من قبل المخابرات المصرية تلاقحت فيها أهداف الطرفين بريطانيا ومصر ، لهذا يتسق استخدام فابونمي لمصطلح استعادة مع نهج غيره في هذا الاستخدام. من ثم فقد عنوان فصله الثالث بـ " استعادة السودان واتفاقية الحكم الثنائي 1899 " حيث استخدم مصطلح استعادة reconquest ولم يستخدم مصطلح احتلال occupation الذي استخدمه يونا، حينما تحدث عن احتلال دنقلة ثم الموقف بعد احتلال دنقلة . ولا اعتقد أن وثائق وزارة الخارجية التي اعتمد عليها يونا في تلك النقطة قد استخدمت هذا المصطلح. وأيضاً لم يقدم يونا المبرر الذي دعاه لاستخدام هذا المصطلح اللهم – في اعتقادي – أن دراسته للفترة المهدية قد أثرت عليه ، أو أن الذين ساعدوه في الحصول على

Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,PP.41-49. (24)

(25) الأول " المهدية والسودان الإنجليزي المصري " سنة 1891 من تأليف ونجت نفسة، به اشارات مسبقة لشكل الحكم القادم في السودان، ثم كتاب الاب جوزيف أوفلدر سنة 1895 " عشر سنوات في اسر المهدي " ثم كتاب رودلف سلاطين " السيف والنار في السودان " سنة 1896، للمزيد انظر، محمد سعيد القدال :- تاريخ السودان الحديث 1820 - 1955، ط2، مركز عبد الكريم ميرغني، الخرطوم، 2002 ص ص 306، 326 .



الوثائق السودانية – وعلى رأسهم محمد ابراهيم أبو سليم ♥ - كان هواهم مع المهديّة، وبالتالي رأى رأيهم بأن الأمر يعد احتلالاً .

2- دوافع الحكم الثنائي؛ لقد تناولت كلتا الدراستين هذه المسألة، ففي فصله الأول علل يونان دوافع اتفاق الحكم الثنائي بين مصر وبريطانيا بما يمكن اعتباره الدوافع البريطانية لعقد الاتفاق، فذكر عدة أسباب أهمها دفع مصر لتكاليف الحكم، وعدم امكانية تجاهل الدور المصري، وعدم وجود مصلحة في تحمل الحكم المباشر، وتجنب الاعتراضات الدولية التي يمكن أن تثيرها فرنسا ناهيك عن إبعاد نظام الامتيازات الأجنبية وإبعاد التدخل العثماني، والنظر للسودان في اطار سياسة بريطانيا في القارة الافريقية⁽²⁶⁾. وبالمقابل نجد فابيونمي يتفق مع يونان في سببين هما وجوب تهدئة فرنسا، ثم في منع التدخل العثماني. ويضيف أسباباً ودوافعاً أخرى تفرد بها عن يونان ، تلقى مزيداً من الضوء وتفسر الكثير مما ظهر على المسرح السياسي فيما بعد، كاستثناء القوى الأوروبية الأخرى والولايات المتحدة، وإعطاء مصر دور التابع في ادارة السودان، وتأسيس السيادة البريطانية في السودان واستخدامه في التأثير والتحكم في مصر والحاقه بالإمبراطورية البريطانية⁽²⁷⁾.

3- استعراض الحالات التاريخية للحكم الثنائي؛ فحينما استعرض يونان الحالات التاريخية للحكم الثنائي اعتمد في مصادره على عبدالله العريان ، لهذا قال بأن حالات الحكم الثنائي تعود للقرن التاسع عشر، بمعنى أنها تمت في نفس القرن الذي عقدت فيه اتفاقية الحكم الثنائي ، وهذا يرجع إلى أن عبد الله العريان هو الذي قال بعدم وجود حالات للحكم الثنائي قبل ذلك⁽²⁸⁾. في حين لو

♥ يفرد بعدد وججم كبير من ابحاثه عن المهديّة ، للمزيد انظر، جابرييل واربيرج :-
اختلاف الرؤى التاريخية في وادي النيل، ترجمة حذيفة الصديق عمر، مطبعة البريد
الحديثة، الخرطوم، 1999، ص ص 92، 93

(26) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص ص 44-49 .

(27) Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,P.53.

(28) سمير المنقبواي :- تطور المركز الدولي للسودان، الطبعة الاولى، 1958، ص 134



رجع إلى فابيونمي نفسه لوجد أن القرن 17 و 18 قد شهد عدة حالات لهذا الحكم⁽²⁹⁾.

4- **نظام الحكم** ؛ فقد تعرض يونان لنظم الحكم في الفصل الخامس دون أن يقدم في فصله التمهيدي خلفية عن نظام الحكم المصري في الفترة التي سبقت الثورة المهدية، وبالتالي ظل الالتباس الذي روج له الانجليز وموظفيهم بأن الإدارة المصرية للسودان كانت سيئة للغاية. في حين ناقش فابيونمي هذه المسألة في الفصل الثاني، وأشار إلى أن المصريين يعتبرون حكمهم للسودان لم يكن سيئاً كما كانت تردد الإدارة البريطانية ، وقال بأنهم حافظوا على الأمن وحاربوا تجارة الرقيق . وأشار بوضوح إلى إشادة الموظفين الأوربيين تحت الإدارة المصرية بالجهود التي بذلت في هذا المجال، بل إن صمويل بيكر، وهو أحد الأوربيين الانجليز، ذكر في أحد كتاباته سنة 1861" بأن السائح البريطاني قد أصبح في امكانه الآن السفر بمفرده عبر أنحاء السودان شاعر بالأمن مثلما يشعر به وهو جالس في حديقة هايد بارك في المساء"⁽³⁰⁾. مما أثر في دور السياسة البريطانية في مجال التقدم الإداري ومحاربة تجارة الرقيق، وهو ما كان يتطلب أن يكون هناك عنواناً عند يونان في فصله التمهيدي لمناقشة أهم قضيتين ركزت عليهما الإدارة البريطانية، إلا أن افراده الفصل الخامس لنظام الحكم، ثم الفصل العاشر عن الرق، قد أظهر الأمر على أن الإدارة البريطانية قد فعلت الكثير في هذين المجالين، في حين أن ما حدث كان استكمالاً لما فعلته الإدارة المصرية في فترة سابقة .

وفى هذا الخصوص أشار فابيونمي إلى أنه قابل العديد من هؤلاء الذين أداروا السودان في القرن العشرين وذكروا له بأن إدارة المصريين للسودان في القرن التاسع عشر كانت سيئة باعتباره أول مستعمرة لهم، فلم تكن لديهم الخبرة الكافية⁽³¹⁾. وهذا يعنى أن هؤلاء الموظفين الذين أداروا السودان هم الذين كانوا يشيعون هذا الكلام، وكان على يونان - بحكم أن دراسته كانت تالية لدراسة

Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,P.60. (29)

Ibid.P,P.24. (30)

Ibid.P.25. (31)



فايونمي - أن يتنبه لهذا الخيط الذي استغله الانجليز أحسن استغلال، واستطاعوا من خلاله تحقيق مكاسب سياسية داخل المجتمع السوداني، مما أثر في كسب الزعامات الدينية السودانية إلى جانبها، وهذا يفسر لماذا انسأقت تلك الزعامات وراء ترديد نغمة الإداريين البريطانيين عن سوء الإدارة المصرية وإشادتهم بالإدارة البريطانية الجيدة⁽³²⁾. مع أن كثيراً من هؤلاء الإداريين البريطانيين الذين ذهبوا للسودان لم تكن لديهم الخبرة الكافية بسبب صغر السن وعائق اللغة والدين⁽³³⁾. ومن ثم بدا واضحاً أن يونان يقول بأن هناك تطور حدث في نظام الحكم والإدارة المركزية إلا أن فايونمي يختلف في القول بأن الانجازات التي تحققت بدأتها الإدارة المصرية بمفردها من قبل.

5- تحليل اتفاقية الحكم الثنائي؛ كلاهما حلل اتفاقية الحكم الثنائي مادة مادة، بل إن فايونمي قام بنشر الاتفاقية في ملاحق دراسته، وكلاهما علق عليها وانتقدها، ومع ذلك تجاهلا سويماً أثر الاتفاقية على الحركة الوطنية المصرية ومستقبلها، فالاتفاقية - في تقديري - ساعدت بطريق غير مباشر في فرض وسائل جديدة في الكفاح بل أتاحت الفرصة أمام جيل من "الحقوقيين" لقيادة الحركة الوطنية لإدراك وفهم الاتفاقيات التي وقعتها الحكومة المصرية، ومن ثم تعد هذه الاتفاقية وسيلة من وسائل الإدارة البريطانية في فرض أسلوب الكفاح السلمى على الحركة الوطنية المصرية.

(32) خالد عيد الناغية :- الزعامة الدينية في السودان في ظل السيطرة البريطانية (1914-1924)، عاصم الدسوقي (محرر) :- الدين والدولة في العالم العربي، اعمال ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2003، ص ص 148-151 .
(33) للمزيد انظر :

Mangan J.A.: - The Education of an Elite Imperial Administration :
The Sudan Political Service and The British Public School System,
The International Journal of African Historical Studies
,Vol.15,No.4,1982,PP,675-690.

وايضا انظر :- Daily,M.W.: - The Development of the Governor
Generalship of the Sudan, The Journal of African
History, Vol.24, No.1, (1983).



وفي هذا الشأن ذكر فابيونمي عدم وجود معارضة للاتفاقية مدلاً على الضعف الذي وصل له السلطان العثماني، وتجاهل يونان الانتقاد المصري للاتفاقية اللهم حين تحدث عن موقف مصر من اعلان الحكم الثنائي، فأوضح بأن هذا الأمر حدث عبر اعتراض مصر على رفع العلمين المصري والبريطاني - وهذا قبل توقيع الاتفاقية - حين أشار إلى تعليق جريدة الاهرام يوم 5 يناير على عملية رفع العلمين المصري والبريطاني في 4 يناير 1899 بأن رفع العلمين يعد مخالفة شكلاً ووصفاً للإدارة المصرية ، وحرص الاهرام تركيا للاحتجاج على هذا الأمر، وأشار إلى تأبين مصطفى كامل لذكرى الاتفاقية سنة 1900⁽³⁴⁾. وفي تقديري كان من المهم التركيز على هذا الجانب بصورة أوضح، خصوصاً أن مصطفى كامل كان قد وجه نقداً للاتفاقية في أكثر من مناسبة داخل مصر وخارجها ، بل إن جريدة اللواء قد حملت على الاتفاقية نقداً منذ صدورها سنة 1900⁽³⁵⁾. وفي تقديري أن الاتفاقية قد جاءت تأكيداً واعترافاً بشرعية مؤتمر برلين (نوفمبر 1884- فبراير 1885) بالسيادة المصرية على السودان تحت الإدارة البريطانية بمشاركة مصريه ضعيفة.

وتجاهلت كلا الدراستين الاشارات الأولى للمحاولات المصرية لاختبار شروط الاتفاقية ومدى تأثير مصر فيها، من خلال زيارة الخديوي للسودان أواخر سنة 1901، حين وصل الخرطوم في 3 ديسمبر وظل هناك حتى 7 ديسمبر وتم استقباله استقبالاً رسمياً، في حين ظهرت بوادر استثناء الحكومة المصرية من السودان منذ سنة 1906 حينما لم يحضر أي ممثل لها في حفل افتتاح سكة حديد بورسودان في يناير 1906. وعلى مستوى المصريين الموجودين في السودان فقد حدث تمرد لفرقتين من فرق الجيش المصري في يناير 1900 وبداية الانقلاب البريطاني⁽³⁶⁾. في حين أشار فابيونمي إلى استمرار الانتقادات المصرية والدولية حتى تم الاتفاق الودي سنة 1904 ثم هدأ

(34) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص ص 51-55 .

(35) عبدالرحمن الرافي:- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، دار المعارف، ط6، القاهرة، 1999، ص ص 333-337 .

(36) نفسه، ص ص 145، 153، 454، وكذلك رسالة صلاح الدين حافظ .



تماماً بتطبيق نظام المحاكم المختلطة في السودان - كما هو في مصر - سنة 1910⁽³⁷⁾. أما في مصر فقد ظلت الانتقادات للاتفاقية بل جاء اغتيال بطرس غالى بسبب توقيعه على الاتفاقية⁽³⁸⁾.

6- العامل الاقتصادي؛ فقد أعطى فابونمي أهمية كبيرة للعامل الاقتصادي في إعطاء مكانة متميزة لبريطانيا لتصبح قوة فاعلة في السودان من خلال مشروع الجزيرة، للتخلص من التحكم الأمريكي في القطن، ولكنه اعتبر أن الفترة التي تلت عام 1924 هي أهم الفترات بالنسبة لمسألة القطن بحيث أصبح 80% من صادرات السودان تتكون من القطن، لذا استطاعت بريطانيا أن تخلق طبقة المستفيدين ارتبطت مصالحهم بالوجود البريطاني، لهذا نراه قد أفرد الفصل الثامن عن أهمية العامل الاقتصادي وجعله الأساس في تأثير بريطانيا في السودان عبر الاستثمار والتحكم في التجارة والمواصلات، وشرح كيف أصبحت 92.6% من صادرات السودان تنقل - سنة 1915- على ظهر السفن البريطانية، وركز على تأسيس اللجنة الاقتصادية المركزية القاصرة على البريطانيين فقط سنة 1906⁽³⁹⁾. في حين لم يعط الدكتور يونا الأهمية الكافية للعامل الاقتصادي إلا حينما تحدث عن الضرائب وقانون الضرائب سنة 1912 ومشكلة المواصلات . ولم يكن فابونمي هو وحده من الأجانب الذي أعطى أهمية كبيرة للعامل الاقتصادي، فكثير من الدراسات الأجنبية ركزت على هذا الجانب لتأسيس التأثير البريطاني في السودان، بل إن بعضهم قال بأن بريطانيا كانت لديها خطة اقتصادية منذ تقديم وليم جارستين لمشروع الجزيرة سنة

Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,PP.58,59. (37)

Raid. M.Donald :- Political Assassination in Egypt , 1910-1954 , (38)

The International Journal of African Historical Studies

,Vol.15.No.4 (1982) . P.627. and see Fabunmi L.A.: - The Sudan

in Anglo -Egyptian Relation ,A case Study in Power Politics

1800-1956,Longmans.London,1960,P.59.

لأسباب طائفية والبعض الآخر قال بان الامر يتعلق بموقفه من حوادث دنشواى وتمديد

امتياز قناة السويس، للمزيد انظر، عاصم الدسوقي :- مصر المعاصرة في دراسات

المؤرخين المصريين دراسة فى الكم والكيف، دار الحرية، 1976، ص 34 .

Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,PP.177-186,189 . (39)



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة
منهجية بين دراستي يونا لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

1899 ومطالبته بضرورة بناء سد عند سنار على النيل الأزرق إلى أن تطور المشروع حتى المرحلة الرابعة التي تبدأ سنة 1923⁽⁴⁰⁾. وقال بذات العامل أيضا مؤرخون سودانيون كمحمد سعيد القدال حين ذكر بأن اندفاع بعض المصريين بعد اتفاق الحكم الثنائي للمضاربة على الأراضي جعل الإدارة البريطانية تحاول أن توقف هذا الاندفاع ، فأصدرت قانون الأراضي لسنة 1899 الذي قرر أن من يمتلك لمدة خمس سنوات يستمر في الملكية . كما أصدرت قانون سنة 1903 وقانون 1905 وقانون تسجيل الأراضي لسنة 1912⁽⁴¹⁾.

وإذا كان يونا لم يركز على المصريين الذين جاءوا الى السودان بغرض التجارة وتصدير اللحوم والماشية إلى مصر، ناهيك عن المدرسين وعمال السكك الحديدية، فإن هذا الأمر قد ساعد في افتقاده لتلك الخيوط التي جعلته يتصدى لإشكالية الاتصال الظاهري. وكما ذكرنا من قبل فإن كثيراً من الدراسات دحضت مسألة الاتصال الظاهري ولم يقل بها مصريون فحسب ، بل تحدث بها مؤرخون سودانيون، وركزوا على الدور المصري في تقديم الخدمات التعليمية والصحية للسودانيين، فمثلاً ظل الجيش المصري يشرف على الصحة منذ سنة 1898 وحتى سنة 1904، وعن ارتباط مصالح الأقباط المصريين التجارية مع الانجليز ، ناهيك عن دور المعلمين المصريين أمثال فؤاد الخطيب وعبد الرؤوف سلام في بث الوعي وتغذية الطلاب بالرابطة الاسلامية والعربية والرابطة مع مصر والوقوف ضد الحكم البريطاني⁽⁴²⁾. وإذا كان فايونمي قد ركز على العامل الاقتصادي ودوره في تأسيس القوة البريطانية الفاعلة في السودان إلا أنه – رغم قوله بقوة التأثير المصري – لم يركز على تلك الخيوط المؤسسة لفاعلية هذا التأثير.

Allen R.W.:- Irrigation in The Sudan , Journal of African Society (40)
, Vol.23, No.92.(Jul.1924), PP.258,259.

(41) محمد سعيد القدال :- المرجع السابق، ص ص 359، 360 .

(42) نفسه ، ص ص 386، 388، 390، 425.



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

وحيثما تحدث يونان عن العامل الاقتصادي تحدثت عن التنظيمات المالية بين مصر والسودان وزيادة الأعباء المالية على مصر مقابل مياه النيل، وذلك بعد نشر تقرير وليم جارستين عن النيل سنة 1904، وطرحه بضرورة نقل مشاريع المياه من مصر إلى أبعد مديريات السودان⁽⁴³⁾. والغريب أن يونان لم يعلق على هذا الأمر، خاصة أن اقتراحات جارستين كانت مضللة، فقد كان يهدف من وراء ابعاد المشروعات النيلية إلى السودان التسويق لمشروع الجزيرة الذي قدمه سنة 1899⁽⁴⁴⁾.

7- **الحركة الوطنية**؛ أفرد يونان الفصل الرابع لتصفية المهديّة واستخدم مصطلح "ثورة" لما قام به كل من الخليفة شريف وود حبوبة، ومصطلح "اضطرابات" لما حدث في دنقلة، ثم مصطلح "حركات" لما قام به على عبد الكريم سنة 1900 في أم درمان ومحمد الأمين سنة 1903 ومحمد ود آدم والشريف الشهابي. ويختلف معه المؤرخون السودانيون حيث يضعون كل تلك التسميات تحت عنوان "حركات دينية" واعتبروها بمثابة إرهابات للحركة الوطنية السودانية⁽⁴⁵⁾. بل إن أحد الدارسين المصريين سار على نهجهم وجعل الحركات الدينية هي بذرة الحركة الوطنية⁽⁴⁶⁾. وبالمقابل فإن فايونمي أجرى تقييماً للوعي السياسي في السودان للفترة ككل من 1899-1953 في الفصل الخامس عشر، حيث اهتم بالوعي السياسي في بدايته واعتبره ضعيفاً، لهذا لم يهتم بتلك البدايات، فقد ركز على الفترة من 1921-1924 وقال بأنها تحمل اتجاهين: أحدهما يطالب بالاستقلال، والآخر يطالب بالوحدة مع مصر⁽⁴⁷⁾.

8- **أسباب التوتر المصري – البريطاني حول السودان**؛ حينما أفرد يونان الفصل الثالث عشر للسودان بين مصر وبريطانيا 1918-1924 بناه ونسجه

(43) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص 270 وما بعدها .

(44) Allen R.W.:- Op.Cit.,P.258.

(45) محمد سعيد القفال :- المرجع السابق، ص 408، وكذلك انظر؛ احمد دياب :- العلاقات المصرية السودانية 1919-1924، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص 23 .

(46) حلمي جرجس غبريال :- المرجع السابق، ص ص 54-145 .

(47) Fabunmi L.A.:- Op.Cit.,PP.327-328.



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونمي)

على طريقة فابيونمي تماماً في الباب الرابع. وتميز فابيونمي عن يونان بأن جعل الأهداف المصرية والبريطانية عبارة عن استراتيجية ثابتة لم تتغير، في حين طرحها يونان لتكون مرتبطة أكثر بالفترة 1918-1924، فقد ناقش يونان موقف مصر وأسباب تمسكها بالسودان وركز على العامل التاريخي والاقتصادي ومياه النيل وإمكانية منافسة القطن السوداني للقطن المصري. وبالنسبة لبريطانيا فقد أشار إلى أهمية العامل الاقتصادي ونمو المصالح البريطانية في السودان وارتباطها بالقطن وتكوين طبقة من الاتباع تحمي مصالحها، بما لا يتجاوز خمسة عشر صفحة من فصل استكمل بقيته في الحديث عن المفاوضات (48). أما فابيونمي فقد أفرد الباب الرابع بجزئيه لمناقشة الدوافع الرئيسية لأسباب التوتر البريطاني المصري وأفرد الفصلين السادس والسابع للمصالح المصرية المباشرة في السودان، ممثلة في مياه النيل والتخوف من الزيادة السكانية واستخدام السودان كسوق ومنفذاً للاستثمارات المصرية الرأسمالية. وهذا يفسر لماذا ارتبطت البرجوازية المصرية التي ظهرت في ثورة 1919 في مشروع المفاوضات بمياه النيل لتحقيق مكاسب لها في السودان، وتراجع طرح الحزب الوطني في مسألة السيادة على السودان. وتحدث في الفصل السابع عن الدوافع الجيوسياسية والفكرية باستخدام السودان كدولة عازلة ضد رياح البحر المتوسط ووحدة وادي النيل ومصالح مصر في أفريقيا. أما بالنسبة للمصالح البريطانية فتحدث في الفصل الثامن والتاسع عن الدوافع الاقتصادية والمصالح الاستراتيجية وعن الدوافع النفسية والسياسية (49). ويدلل اتساع المساحة التي أعطاها فابيونمي لهذه القضية على عمق الأفكار والدوافع التي ألقى الضوء عليها. ومع ذلك لم يستقد يونان من القضايا التي طرحها فابيونمي ليناقتها في دراسته، بل الأغرب أنه لم يعتمد على فابيونمي في مصادره عند تعرضه لهذه النقطة تحديداً، رغم أن بنائها مستمد من فابيونمي الذي يعد أحسن من كتب فيها.

(48) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص ص 397-412 .

(49) Fabunmi L.A.:- Op.Cit.,PP.111,222.



9- الجماعة السياسية الناشئة في السودان بعد الحرب العالمية الأولى؛ إن تناول يونان لثورة 1919 وأثرها في الحركة الوطنية السودانية في الفصل الرابع عشر، وحوادث سنة 1924 في الفصل الخامس عشر، ثم حادثة السردار ونهاية الحكم الثنائي الأول في الفصل السادس عشر تضم تفاصيل كثيرة لم يتعرض لها فابيونمي لكنها لا تقود إلى النتيجة التي قدم لها يونان في مقدمته بأن الحكم الثنائي "الأول"، على حد تعبيره، كان اتصالاً ظاهرياً، فمن خلال فصوله تعرض لتأثير السياسيين والضباط المصريين في السودانيين، لكنه لم يحاول أن يتتبع الانقسام الذي حدث للجماعة الناشئة في السودان منذ الحرب العالمية الأولى بصورة مستقلة، اللهم إلا إشارات صغيرة لا تقود إلى النتيجة التي قال بها فابيونمي بوجود اتجاهين، الاستقلال ووحدة وادي النيل، وكانت هذه النقطة تحتاج إلى تركيز خاص يناسب الطرح الذي قال به في مقدمة الدراسة.

ويتضح الاختلاف تماماً بين الرجلين، فحينما تناول فابيونمي العقيدة المصرية لوحدة وادي النيل وأشار بصفة خاصة إلى عدة عوامل منها العامل الجغرافي والعرق والاثني والتاريخي والتكامل الاقتصادي دلل على تحليله المتميز لمصادر القوة، وفي ذات الوقت عاب على مصر طرحها لوحدة مصر والسودان فقط وليس لكل دول حوض النيل بحكم العامل الجغرافي، وبالتالي ألمح إلى أن مصر تهتم بالمياه ولا تهتم بالإسهام في تنمية الأقطار الأخرى . وفي تقديره هذا يعد قراءة مسبقة لما تسير عليه مصر هذه الأيام، فهي الآن تقوم بالتعاون والتنمية مع دول الحوض ولا تعمل على المنافسة.

10- حوادث سنة 1924 ومقتل السير لي ستاك؛ فقد تحدث فابيونمي عن اعتراض مصر على اشتراك السودان في معرض ويمبلي سنة 1924 حينما سألت الحكومة المصرية عن عدم استشارتها في هذا الأمر، في حين لم يجب الحاكم العام وأجاب المندوب السامي اللورد اللنبي، بأن بريطانيا لم تعترض على اشتراك السودان في المعرض المصري دون استشارتهم في ذلك من قبل

(50)



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة
منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فابونمي)

وتحدث فابونمي عن مقتل السردار والإنذار البريطاني المنزل للحكومة المصرية بتقديم اعتذار وتقديم المتهمين للعقاب ودفع غرامة 500.000 جنية وسحب الضباط المصريين خلال 24 ساعة ، وزيادة مساحة مشروع الجزيرة الى 300.000 فدان. وقال بأنه بفصل القوات المصرية عن السودانية وسحب السودانيين من الجيش المصري حدث تغيير مهم في شكل علاقة الحكم الثنائي⁽⁵¹⁾. في حين لم يعلق يونان على هذا الإنذار اللهم اشارته خلال عنوان دراسته بانتهاء الحكم الثنائي الأول، مع أنه كان من الأولى أن يعطى مساحة أكبر للتعليق على الإنذار وكيف أثر في شكل العلاقة ، ولم يصف كثيراً إلى النقد الذي وجهه فابونمي سواء في المواد أو في حوادث الاغتيال⁽⁵²⁾.

أما فابونمي فقد انتقد الإنذار وبنوده، بل واستعرض عدد الاغتيالات السياسية في مصر من 1919-1924 والتي شملت مصريين وبريطانيين ولكن تم التركيز على حادثة السردار. وهو يطرح مسألة مهمة في هذا الأمر حيث يقول أنه لم يكن هناك ما يدعو لهذا الإنذار لأن الحاكم العام بالأساس هو جزء من الحكومة المصرية بصفته حاكماً عاماً وقائداً للقوات المصرية، وبالتالي فهو ليس أجنبياً على أرض مصر ، بل إنه التحق بالقوات المصرية منذ سنة 1899 أي أن له 25 سنة يعيش في مصر والسودان، وقال بأنه بسحب القوات المصرية تأسست قوة دفاع سودانية ورفع تعبير السودانيين التقليدي بالولاء (عبر صلاة الجمعة) لملك مصر⁽⁵³⁾.

وفي موضع آخر ذكر فابونمي الإنذار وأنه كان جزءاً من سياسة التهديد والقوة البريطانية باعتبارها مطلوبة تجاه مصر، وأن هذا الاتجاه تم التعبير عنه في البرلمان البريطاني منذ تم توقيع اتفاقية 1899 "بأن بعض المصريين لا تنفع معهم وسيلة إلا القوة" مما ترتب عليه إنذارين أحدهما سنة 1924 والآخر سنة 1942، وترتب عليهما ازدياد الوعي القومي للتدخل في الأمور الداخلية

Ibid, PP.87,88. (51)

(52) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص ص 490، 491 .

(53) Fabunmi L.A.:- Op.Cit.,PP.88,93,95,96.



خصوصاً إنذار سنة 1942 وما تلاه من محاولات لإلغاء معاهدة 1936⁽⁵⁴⁾. ومع ذلك فإن فابيونمي لم يعتبر الإنذار بمثابة نهاية للحكم الثنائي، بل قال بأنه قلل من تأثير مصر في السودان بخروج جيشها، واعتبر الإنذار أحد مراحل العلاقات المصرية البريطانية، وأسماها "الدبلوماسية غير العاقلة"⁽⁵⁵⁾. وخلص فابيونمي إلى أن مصالح بريطانيا عالمية ومصالح مصر اقليمية، لذا تركزت المفاوضات فيما بعد حول جر مصر لمعاهدة الدفاع عن الشرق الأوسط، في حين كانت مصر ترى نفسها في وحدة وادي النيل⁽⁵⁶⁾. وفي تقديره أن رؤية مصر لمصالحها في هذه الناحية كانت أوضح خصوصاً أن المصالح الدولية لبريطانيا قد ظهرت فيما بعد. وبالمقابل فإن يونان أخذ نصوص الإنذار عن فابيونمي، وأضاف بأنه رغم تأييد الحكومة البريطانية لفكرة الإنذار إلا أنها انزعجت من الأعمال المفاجئة التي قام بها اللبني، وأشار إلى تعديل وزارة الخارجية لبعض شروط الإنذار، حيث حذفت طلب التعويض ومنطقة الجزيرة وخففت من لهجة الاتهام الواردة في الديباجة، ورغم احتجاجات مصر واستقالة سعد زغلول وتعيين وزارة جديدة (وزارة أحمد زيوار باشا) إلا أن بريطانيا لم تستجب، فقد نجحت في أهم هدفين في خطتها، وهما الإطاحة بوزارة سعد زغلول وانتهاء الوجود المصري في السودان. واستخدم يونان إشارة فابيونمي على أساس أنها ملاحظته هو، بأن الجلاء المصري الأول عن السودان استتبع استقالة وزارة شريف باشا، وأن الجلاء الثاني استتبع استقالة وزارة سعد زغلول، في حين أن فابيونمي (ص 26) كان يقصد المقارنة بين موقف حكومة ثورة يوليو 1952 من الجلاء عن السودان وموقف كل من شريف باشا وحكومة الوفد سنة 1951 بما يشي بوجود تساهل من قبل حكومة الثورة في هذا الاتجاه. في حين أضاف يونان إضافات مهمة في تلك المشكلتين اللتين واجهتا القوات المصرية خلال عملية الخروج: الأولى، عدم تنفيذ أمر صادر من الحاكم العام وغير موقع من الملك. والثاني،

Ibid ,PP.88,93,95,96. (54)

Ibid ,P.332. (55)

Ibid ,P.398. (56)



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونومي)

حدوث ثورة عسكرية من قبل الضباط السودانيين المرتبطين بالمصريين بقيادة عبدالفضيل الماظ والسيد فرج⁽⁵⁷⁾. وفي تقديري أن حادثة الإنذار عند يونان جاءت كسرود تاريخي يفتقد إلى الدرس والنتائج التي تترتبت فيما بعد وجعلت مصر تستفيد منها استفادة كبيرة . وإذا كان يونان يؤيد انتهاء الوجود المصري عند تلك السنة إلا ان فايونومي وغيره يعتبرونها أنها أضعفت التأثير المصري. وبالطبع نحن نميل للرأي الثاني لبقاء تأثير مصري قوى.

ورغم أن يونان يقول بأن الوضع القانوني لمصر في السودان ظل قائماً بعد سنة 1924 إلا أن السلطة المصرية في تلك البلاد كانت قد أنهيت فعلاً، وأن وزارة الخارجية البريطانية تمسكت بالحكم الثنائي خشية الانتقادات الدولية، فمرسوم تعيين جيوفري أرشر من قبل ملك مصر حاكماً عاماً على السودان يؤكد ذلك. واعتمد يونان على الاجراءات التي اتبعت لإنهاء الوجود مثل الغاء الدعاء لملك مصر في الصلاة واستقبال الحاكم العام بالنشيد البريطاني وليس النشيد المصري⁽⁵⁸⁾. وفي تقديري ان النتائج التي انتهت اليها دراسة يونان تخالف اشكالية الدراسة التي عرضت في المقدمة، على اعتبار أن الحكم الثنائي كان اتصالاً ظاهرياً، ومعالجاته في كتاباته اللاحقة عن وحدة وادي النيل وعن الثوابت والمتغيرات في العلاقات المصرية السودانية، يدلل بأن قد تراجع عن ذلك الطرح الذي قال به في دراسته الأولى.

سادساً – ملاحظات على الدراستين :-

♥♥ لاشك ان هناك نقاطاً هامة تؤخذ على الدراستين : ففيما يتعلق بدراسة يونان ؛ يلاحظ أن إغراقه في التفاصيل حاد به عن خدمة اشكالية الدراسة، ناهيك عن أن اعتماده المفرط على التقارير والوثائق الانجليزية جعله يغفل الخيوط التي تعبر عن شواهد الوجود المصري، بل إن تركيزه على تلك المصادر أغرقته في تفاصيل ما قبل سنة 1913 .

♥♥ هناك أخطاء في اسماء الاماكن والاشخاص ؛ فعلى سبيل المثال فإن ذكره لمدينة الفاشر(ص 20) فأعتقد أنه يقصد بها مدينة القاش، فبالرغم من

(57) يونان لبيب رزق :- المرجع السابق، ص ص 475، 479 .

(58) نفسه، ص ص 484- 489 .



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونا لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

ايضاحه في الهامش أنها ليست فاشر الغرب ، إلا أنه لا توجد مدينة بهذا الاسم في الشرق، ولا يعقل أن يتم تسلم الفاشر من الايطاليين، في حين أن القاش هي التي كانت تحت سيطرتهم . أما فيما يتعلق بالأشخاص فإن ما ذكره في صفحتي 440 و 441 بأن "سوداني يدعى الشيخ محمد مادي هو من أتباع الطريقة العزيمية يمتلك عدة مطابع بالقاهرة، وأنه هو الذي طبع هذا المنشور في مطابعه وأرسله عن طريق بورسودان وأغلب ما جاء في هذا المنشور مأخوذ من مقال كتبه الشيخ مادي في جريدة الاخبار التي تصدر في القاهرة " ، نجد أنه قد ارتكب عدة اخطاء فيها ، أولها ان الشيخ ليس محمد مادي بل هو الشيخ محمد ماضي ابوالعزائم*، فالاسم الوارد في التقرير هو محمد ماضي Mohammed Madi حيث أخطأ في تأويلها من ماضي الى مادي . ثانيها أنه مصري وليس سوداني . ثالثها أنه مؤسس الطريقة العزيمية في مصر وليس أحد اتباعها، وتكراره لكلمة " مادي " مرتين يدل على عدم رجوعه للمصادر المصرية فلم يحقق في شخصية الرجل وهويته، لذا فإنه قد فقد مؤثر مهم من المؤثرات المصرية في السودان ، لأن الرجل أحد المتصوفين والمتخصصين في الحديث والتفسير ومن المؤثرين في توثيق العلاقات بين مصر والسودان. ويمكن القول بأن تلك الاخطاء وردت نتيجة اعتماده في هذه الفقرة على تقرير مكتب المحفوظات المركزية السودانية رقم 351 دون تمحيص ما جاء فيها من معلومات ، وهذه الفقرة خير دليل على الثقة المفرطة التي وضعها في الوثائق دون تحقيقها.

♥♥ هناك أخطاء تاريخية؛ وأشهرها ما ورد بين صفحات من 32-35، فحديثه عن أحمد فضيل في تلك الصفحات فيه تناقضات كثيرة، فما ذكره عنه في (ص 33) بأنه انتقل إلى الغرب (غرب النيل) نجده في (ص 34) لا زال

* فالشيخ محمد ماضي أبو العزائم ولد برشيد سنة 1287 هـ وعمل بالتدريس حتى صار أستاذاً للشريعة الإسلامية بكلية غردون حيث اقصاه الحاكم الإنجليزي من وظيفته في 1915/8/1 لتحذيره المسلمين من الوقوع في حبال الاستعمار، حيث اسس جماعة آل العزائم سنة 1311 هـ والطريقة العزيمية سنة 1353 هـ، انظر، محمد ماضي أبو العزائم -: الطهور المداد على قلوب الأبرار، مشيخة السادة العزيمية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1920، الطبعة الثانية 1977 .



موجوداً في الشرق . وما أورده عن مقتل الخليفة في (ص 33) بأنه قتل في صباح 23 نوفمبر 1899 ، خالفه في (ص 35) بالقول أنه قتل في 17 ديسمبر 1899. وفي (ص 50) أورد التاريخ صحيحاً في الهامش عن المتن، فالتاريخان الواردان في المتن الأصح أنهما 1897 و 1898 وليس 1867 أو 1868 . وفي (ص 86) ذكر بأن وينجت خلف كتشنر في ابريل 1901، في حين أن وينجت تولى في ديسمبر 1899 كحاكم عام . وما أورده في (ص 267) من خطأ بذكره بأن السيد جورست كان المستشار المالي للحكومة المصرية في يناير 1891. وما ذكره في (ص 445) من أن الحكومة البريطانية أصدرت تصريح 27 فبراير 1922 مع أنه 28 فبراير .

♥♥ هناك خلط في الأحداث والاتفاقيات ، فقد خلط في (ص 70) بين اتفاق 1894 ومشروع ماكينون 1890 وبين الاتفاق الألماني والاتفاق البلجيكي. وخلط بين المادة السادسة الواردة في اتفاق 1899 وتلك الواردة في مسودة الاتفاق الأولى لكرومر وهي ذات المادة التي الغيت من الاتفاقية وكان من المفترض أن يركز على المادة السادسة الواردة في الوثيقة. وأخطأ أيضاً في استشهاده بالمادة السادسة في المادة السابعة، وهكذا سار في بقية المواد.

♥♥ هناك أخطاء في الهوامش والاستشهادات؛ فاستشهاد يونا بمكمايكل (ص 390) لا بد أن يتغير من هامش 4 ليصبح هامش 3. وأن الرقم الوارد عنده (ص 423) نقلاً عن فابيونمي (ص 64) هو 446 وليس 664 وهو يخص عدد المبعوثين المصريين في أوربا سنة 1918 . وأخطأ حينما قسم الهامش الواحد في نهاية (ص 491) إلى عدة فقرات لم يشر إلى أي منها إلا في نهاية (ص 492) على أساس أن هذا الكلام مأخوذ عن فابيونمي من صفحات 94-96، مع أن الفقرة الأخيرة من (ص 491) مأخوذة من فابيونمي (ص 93) .

♥♥ هناك أخطاء في الاستنتاجات؛ فاستنتاجه (ص 315) عن أن النشاط التعليمي من سنة 1899-1914 قد حقق قطيعة مع الأزهر والسودانيين، هو استنتاج بعيد عن الصواب. فالتفحص يرى أن الأزهر جاء إليهم في السودان ، حيث أرسل إليهم 50 مدرساً ناهيك عن دوره في انشاء المعهد العلمي في أم



درمان ، وأعتقد أن هذا لا يعد قطعاً للخيط لكن عدم تتبعه من يونان جعله يفتقد أهم نقاط القوة لمصر في السودان في تلك الفترة . وهناك بعض المصطلحات الواردة كالإدارة المشتركة والسيادة ووحدة وادي النيل ، لكن لم يتضح في النهاية مدى انعكاس تلك المصطلحات على الشعبين المصري والسوداني وعلى التنظيمات السياسية المصرية والسودانية ، فعلى سبيل المثال كان فريق الحزب الوطني بقيادة مصطفى كامل يهتم بمسألة السيادة وسار على نهج الأحرار الدستوريين الذين يهتمون بالإدارة المشتركة، أما حزب الوفد فيهتم بوحدة وادي النيل. وعلى المستوى السوداني حدث انقسام إلى فريقين: الزعماء الدينون ويدعون إلى الاستقلال ويفضلون الإدارة البريطانية، في حين يفضل فريق آخر وحدة وادي النيل تحت الحكم المصري، ناهيك عن بعض المفردات التي وردت مثل سفر الولاء ووفد الولاء وصناعة عبد الرحمن المهدي والمشروع السياسي البريطاني الذي تم توظيفه ليقوده . هذا بالإضافة إلى أنه لم يفند ما جاء في الاتفاق بشأن السكة الحديدية بين اثيوبيا وبريطانيا سنة 1902 وأخذ استنتاجات فابيونمي على أنها مسلمات ولم يناقشها*.

♥♥ هناك أخطاء في الترجمة؛ فقد ترجم عن فابيونمي في صفحة 262 " أن الضباط البريطانيين شغلوا المناصب الكبرى بالرغم من أن مصر كانت تقدم خمسة أسداس القوة الحربية المشتركة في السودان" وبالرجوع للنص عند فابيونمي وجدنا أن مصر تدفع خمسة أسداس انفاق القوة العسكرية. وبالتالي هناك فرق كبير بين أن تقدم مصر خمسة أسداس القوة العسكرية وبين تقديمها خمسة أسداس الانفاق، والنص عند فابيونمي (ص 50) كالاتي :

" All The High Posts in The Administration were given to British Officers, even though, Egypt paid about five-sixths of the joint military expenditure "

أما فيما يتعلق بالمأخذ على دراسة فابيونمي؛ فنجد أنه قد اهتم بالكليات لخدمة إشكالية دراسته ولم يشغل نفسه بكثير من التفاصيل. ورغم أن أسلوب

* وهي كالاتي 1- أن الاتفاق تجاهل استشارة الحكومة المصرية . 2- أن مصر شكت من أن هدف الاتفاق كان ربط البلدين تحت السيادة البريطانية .



رؤى افريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

فايونمي كان اسلوباً سهلاً في توضيح فكرته، إلا انه أسهب في التحليلات وأغرق فيها، وعاد الى حقب تاريخية سابقة ليدلل على فكرته واستخلاص النتائج منها، بل أحيانا كرر تلك النتائج في فصول أخرى مما يشكل عبئاً على القارئ، وفوق هذا وذاك أفرد الفصلين الأخيرين لعرض ملخص الرسالة ونتائجها، رغم أنه كان ينهى كل فصل من فصوله بملخص وتمهيد للفصل الجديد، وهذا الأمر يشكل ارهاقاً للقارئ. ومع ذلك لا يخلو هذا التطويل والاسهاب في النتائج من مزايا وهو أن الفصلين الأخيرين يصلحان وحدهما للاستفادة من طرح الرجل كاملاً عبر دراسته .

♥♥ هناك أخطاء تاريخية، ففي الصفحة الثانية قال بأن موضوع دراسته السودان المصري قبل ثورة السكان الناطقين بالعربية تحت قيادة محمد المهدي سنة 1896-1898⁽⁵⁹⁾. مع أن ثورة المهدي تزامنت مع الثورة العرابية ووصلت قمتها سنة 1882⁽⁶⁰⁾. وكذلك ذكره في (ص 37) بأن غردون قتل في 26 فبراير 1885 مع أنه عاد في(ص 41) ليذكر أنه قتل في 25 يناير 1885. وأخطأ ص 292 حينما قال بأن الرئيس نجيب ولد في الخرطوم لأم سودانية من ضابط مصري فالصحيح أن أبويه مصريين مع الاقرار بأن والد نجيب تزوج من سودانية لكنها لم تتجب .

♥♥ **أخطاء في الاستنتاجات؛** فقد أخطأ حينما اعتبر أن أهل مصر الدنيا هم الذين يتحدثون العربية وأن مصر العليا تتحدث النوبية⁽⁶¹⁾. وربما تكون زيارته لأسوان واختلاطه بالنوبيين هناك وحديثه عن محافظها بأنه كان نوبياً، هو الذى أوقعه في هذا الخطأ. وحينما وصف المنطقة الشمالية في (ص 3) بأن " أهلها شعب مسالم وهم يشبهون الفلاحين المصريين بدرجة كبيرة (أهل زراعة) إلا أنهم لا يشبهونهم فالجريمة غير معروفة تقريباً بينهم لمدة عشرين سنة"، فلا يعقل أن منطقة كمنطقة حلفا تظل طوال تلك المدة بلا أي جريمة، وكأنها المدينة

Ibid ,P.2. (59)

(60) يونان لبيب رزق :- الثورة العرابية والثورة المهديّة علاقة ام لا علاقة ، مجلة مصر الحديثة، العدد الاول، 2002، ص 47 .

Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,P.151. (61)



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فاييونمي)

الفاضلة، فأبي معيار لنوعية الجرائم قد استند عليه في هذا القول. وحينما عرض فاييونمي لاستقالة شريف باشا ورفضه الانسحاب من السودان علق في الهامش مثيراً مسألة هامة، حيث لفت النظر إلى وجوب المقارنة بين موقف حكومة الوفد سنة 1951 والغاءها معاهدة 1936 وموقف حكومة نجيب الثورة عندما دعمت التخلي عن السودان منذ سنة 1952⁽⁶²⁾. وفي تقديري هذا استنتاج جانبيه الصواب، مع أنه متخصص في العلاقات الدولية ويعرف الظروف الدولية والاقليمية والفارق الزمني والتغيرات التي حدثت ما بين موقف شريف وحكومة الوفد وحكومة الثورة. ومقارنته التي ليست في محلها (ص ص 91 و 92) عن تشبيه المجموعة التي وضعت العراقيل ضد سعد زغلول ومقتل السير لى ستاك بمجموعة لافون سنة 1954، حيث شبه المجموعتين بمجموعة اجرامية، فالأولى مجموعة مصرية كانت أهدافها تختلف تماماً عن جهود مجموعة لافون، فهي مقارنة ليست صحيحة في حين أن يونان (ص 469) وصف تلك المجموعة بمجموعة الفدائيين (عبدالفتاح عنايت وعبدالحميد عنايت) فقد اعتقدوا أن الاستقلال لا يتم إلا عن طريق الاغتيال السياسي.

وأخطأ أيضاً في مقولته بأن مصر في افريقيا كاليابان في آسيا، فمنذ سنة 1930 كانت اليابان تغذى شعور العداة ضد امريكا في آسيا، وكذلك الأمر فإن مصر تغذى شعور العداة ضد بريطانيا في افريقيا، وكما أن اليابان استخدمت مصطلح "آسيا للأسيويين" فإن مصر استخدمت شعار "وحدة وادي النيل" وافريقيا للأفريقيين"، وكما أن اليابان سيطرت على 13.499.270 ميل من بريطانيا في أربعينيات القرن العشرين ضمتها إلى نفوذها، وعليه تعرضت للضرب في الحرب العالمية الثانية، فإن مصر ترغب في الحل محل بريطانيا. وبغض النظر عن أن مصر لم تستخدم مصطلح افريقيا للأفريقيين إلا في مرحلة متأخرة جداً في منتصف الخمسينيات، علماً بأن هذا المصطلح يرفعه الأفريكانست منذ العقد الثاني من القرن العشرين، فإن قوله بأن مصر ترغب في الحل محل بريطانيا بعيد عن الصحة، فاذا كانت مصر قد قبلت بإعطاء الحرية للسودان وهي التي لها حق السيادة عليها، فلا يمكن أن تطالب بأماكن

Fabunmi L.A.: - Op.Cit.,P.26. (62)



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة
منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فابيونمي)

ليس لها وجود فيها اللهم إلا مساعدة القارة في التحرر الوطني، حتى هو نفسه عارض استخدام مصر لوحدة وادي النيل بأنه مقتصر على مصر والسودان خاصة أن قوة مصر لا تسمح لها بالحلول محل بريطانيا .

♥♥ هناك خلط في الأحداث والاتفاقيات والأماكن ، فهناك خلط في عرض وترتيب المواد الخاصة باتفاق 1899 ، بالإضافة إلى أن نص المواد 7 و11 و12 غير وارده في ملحق وثيقة الاتفاقية المنشورة في ملحق دراسته، رغم أنه علق على تلك المواد في (ص 56). وفي ص 46 يقول بأن الاتفاق الألماني البريطاني قد اعترفت فيه ألمانيا بالنفوذ البريطاني على وادي النيل والصحيح أنه اتفاق 1890. وفي ص 49 قال عن عدوة بأنها قرب الحدود السودانية رغم أنها تقع ضمن أقاليم الداخل في إقليم التيجرى .



قائمة المصادر المراجع:

أولاً - الوثائق المنشورة :
أ- العربية:

- محمد ماضى أبو العزائم :- الطهور المداد على قلوب الأبرار، مشيخة السادة العزمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة 1920 ، الطبعة الثانية 1977 .
ب- الاجنبية:

-Al-Sayd Sabry :- The 1899 Convention is Null and Void in Egyptian /Sudan , by The Press Section of The Egyptian Information Development ,Cairo ,1947.

-Hamilton ,J.De C.:- Anglo-Egyptian Sudan from Within,London,1935 .

-Sir Harold Macmichael:- The Anglo-Egyptian Sudan , London,1934

-The Ministry for foreign Affairs : The Sudan Question based on British Document and compiled by Abd El-Moniem Omar, Librarian, Egyptian National Library,Cairo,1952. .

ثانياً- المراجع العربية والمعربة :

-أحمد دياب :- العلاقات المصرية السودانية 1919-1924 ، سلسلة مصر النهضة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985

-التيجاني عامر :- السودان تحت الحكم الثنائي 1898-1914 ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، 1979 .

-عبدالفتاح عبدالحميد منصور:- العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي 1899-1924 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993

-عاصم الدسوقي :- مصر المعاصرة في دراسات المؤرخين المصريين دراسة في الكم والكيف ، دار الحرية ، 1976

-عبدالرحمن الرفاعي :- مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، دار المعارف ، ط6 ، القاهرة ، 1999

-جابريل واربيرج :- اختلاف الرؤى التاريخية في وادي النيل ، ترجمة حذيفة الصديق عمر ، مطبعة البريد الحديثة ، الخرطوم ، 1999

-محمد عبدالجواد:- التنظيم القضائي في السودان في عهد الحكم الثنائي وبعد الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب والاجهزة العلمية، 1969 .

-لطيفة محمد سالم :- دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ، مهداة الى المؤرخ الكبير يونان لبيب رزق ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003

-محمد فؤاد شكري :- مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر 1820-1899 ، القاهرة ، 1957.



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

- محمد سعيد القدال :- تاريخ السودان الحديث 1820-1955 ، ط2 ، مركز عبد الكريم ميرغني ، الخرطوم ، 2002.
- يونان لبيب رزق :- السودان في عهد الحكم الثنائي الاول 1899-1924 ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1976 .
- يواقيم رزق مرقص رزق :- تطور نظام الإدارة في السودان في عهد الحكم الثنائي الاول 1898-1924 ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، 1981.

ثالثاً- المراجع الاجنبية:-

- Daily M.W.:- Imperial Sudan ,The Anglo-Egyptian Condominium1934-1956 ,Cambridge University Press, 1991.
- El-Erian Abdullah:- Condominium &Related Situation in International Law with special reference to the Dual Administration of the Sudan and the legal Problems Arising out of it , Cairo,1952.
- Fabunmi L.A.:- The Sudan in Anglo –Egyptian Relation ,A case Study in Power Politics 1800-1956,Longmans.London,1960.
- Rose J.H. :- Cambridge History of The British Empire ,Vol.1,1929.
- Shibika Mikki :- British Policy in the Sudan 1882 - 1902 ,London,1952.
- Sanderson,Lilian :- Education Development in the Southern Sudan1900-1948,S.N.A.1962.

رابعاً- الدوريات العربية والمعرية:-

- أحمد عبدالدايم محمد حسين :- مصر والاسلام في السودان (دراسة وثائقية للفترة من 1936 الى 1956) ، في المؤتمر الدولي : الاسلام في افريقيا ، الكتاب السابع ، دار افريقيا العالمية للطباعة ، 2006 .
- :- التعليم المصري في السودان 1943-1952 " دراسة وثائقية " ، عبادة كحيلة (محرر):- مصر والوطن العربي تواصل ام انقطاع ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 2008.
- خالد عيد الناعية :- الزعامة الدينية في السودان في ظل السيطرة البريطانية(1914-1924) ، عاصم الدسوقي (محرر):- الدين والدولة في العالم العربي، اعمال ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، 2003
- يونان لبيب رزق:- الثورة العرابية والثورة المهديّة علاقة ام لا علاقة ، مجلة مصر الحديثة، العدد الاول ، 2002.
- ### خامساً-الدوريات الانجليزية:



رؤى أفريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة
منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فايونمي)

- Allen R.W.:- Irrigation in The Sudan , Journal of African Society ,Vol.23,No.92.(Jul.1924)
- Currie , James :- The Educational Experiment in the Anglo – Egyptian Sudan , 1900-33,Patt11, Journal of the African Society, Vol.34,No.134,Jan.1935.
- Daily,M.W.:- The Devlopment of the Governor –Generalship of the Sudan, The Journal of African History,Vol.24,No.1,(1983).
- Mangan J.A.: - The Education of an Elite Imperial Administration : The Sudan Political Service and The British Public School System, The International Journal of African Historical Studies ,Vol.15,No.4,1982,PP,675-690.
- Raid. M.Donald :- Political Assassination in Egypt , 1910-1954 , The International Journal of African Historical Studies ,Vol.15.No.4 (1982)
- Sanderson , Passmor ,Lilian :- Education in the Southern Sudan : The Impact of Government –Missionary-Southern Sudanese Relationships Upon the Development of Education during the Condominium Period ,1898-1956 , African Affairs , ,Vol.79,No.315,April 1980.
- Sanderson G.N. :-The Modern Sudan ,1820-1956 ,The Present Position Studies, The Journal of African History ,Vol.4,No.3,1963.
- Warburg Gabriel R. :- The Condominium Revisited :The Anglo-Egyptian Sudan 1934 -1956 : A Review Article , Bulletin of the School of Oriental and African Studies , University of London , Vol.56 ,No.1,1993.

سادساً: الرسائل العلمية:

- إبراهيم حسن شحاته :- السياسة البريطانية في السودان واثرها على العلاقات المصرية السودانية 1899-1914، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1967.
- إبراهيم عكاشة على :- حركة التبشير الديني في جنوب السودان 1899-1947 ، رسالة دكتوراه ، 1978 .
- الريح محمد دياب:- الزراعة في السودان في فترة الحكم الثنائي 1899 - 1956 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 1987
- السيد سمير عبدالمقصود:- التعليم في عهد الحكم الثنائي في السودان في الفترة من 1899-1924 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب الزقازيق ، 1994 .



رؤى افريقية حول مسألة الحكم الثنائي للسودان 1899-1924 (مقارنة منهجية بين دراستي المصري يونان لبيب رزق والنيجيري فايونومي)

- جعفر محمد دياب :- العلماء والسياسة البريطانية في السودان 1898 – 1924، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، 1987.
- صلاح الدين حافظ متولى :- الجيش المصري في السودان من 1899 الى 1924، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة، 1986.
- حلمي جرجس غبريال:- موقف الإدارة في السودان من نمو الحركة الوطنية خلال الحربين العالميتين 1914-1947، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، 1976 .
- على محمد محمد بركات:- السياسة البريطانية واسترداد السودان 1889-1899 ، رسالة دبلوم غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، 1966
- محمد عبدالفتاح ابراهيم :- سياسة تنظيم الإدارة والحكم في السودان 1899-1952 ، رسالة دبلوم غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، 1953 .

الحمد لله على التمام

(وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

صدق الله العظيم